

الفوائد المشوق إلى
علوم القرآن
وعلم البيان

للإمام العالم تميم الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية
المتوفى سنة ٧٥١ هـ

حقوق الطبع محفوظة

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(رب يسر)

قال الشيخ الامام العالم العلامة . الحبر البحر القهاء . سيد الحفاظ .
وفارس المعاني والألقاظ . مفسر القرآن . ذو الفنون البديعة الحسان . أبو
عبد الله محمد بن قيم الجوزية رحم الله روحه ، ونور ضريحه *
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . أرسله
بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . فهدى
بنوره من الضلالة وبصر به من العمى . وأرشد به من الغي . وفتح به

أعينا عميا . وآذانا صما . وقلوبا غلغا . (وبعد) فإن الله تفضل على هذه الامة
أن جعلهم عدولا خيارا وجعلهم شهداء في أرضه شهداء على الناس يوم ترى الناس
سكارى وبعث اليهم أقربهم اليه محبة وإيثارا وأعظمهم لديه شرفا ومقدارا وأنزل
عليه كتابه المجيد الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد وحسبهم بذلك علواً ونخارا وجعله نوراً وسراطاً مستقيماً وحث على تعلمه
وعلمه ليعم باحسانه ويؤتي من لذه أجراً عظيماً وأقامه حجة على من ضل ومحجة لمن
اهتدى وأودعه حكمة وموعظة وهدى ونصبه دليلاً على الحق لا يضعف ولا يهوى
وسبيلاً يصدر عنه كل رشد واليه ينتهى وطريقاً تجلّ بأسلاك نفائس الاعمال أهل
سلوكها وبرهاناً واضحاً يزجرهم عن خلل انحلال عقائدهم وشكوكها وأودعه من
الاعجاز ما لا يحصر بمحصر حاصر ولا بعدة عاد من الامر والنهي والوعد والوعيد والحكم
والامثال والمواعظ وقصص القرون السالفة كاصحاب الرس وقوم عاد فكم في لفظه
من ايجاز يسفه حلم من يقول بلفظه وكم في معناه مغن للجاذ في حفظه أبدعت في
أنواع البديع كلماته وأغربت في أجناس التجنيس سورة وآياته ورمت أرباب الفصاحة
بالجود والى فصاحته وجزالته وأخرست ألسنتهم الذريرة فأعيتهم معارضته وإزالته
فأقروا له بعد تسفيه أحلامهم وتقريعهم وتعجيزهم بالخلابة والطلاوة وعلموا أنه
ليس من كلام البشر ولكن غلبت عليهم الشقاوة هذا مع أنهم لم يتدبروا أكثر
معانيه بل قالوا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه طلبوا الغلب وظنوا أنهم غالبون
وأوسعوا الطلب فولوا وهم خائبون يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم والله متم نوره
ولو كره الكافرون أنزله بلسان العرب ليكون حجة عليهم ونسخ به جميع الكتب
فكان أنزله أشد نازلة لديهم وجعل أعظم معجزاته دوام آياته متلوا بالالسنه
باقيا مع بقاء الازمنة محفوظه في الصدور منتقلة في الصحائف والمصاحف من لدن
الرسول محروسة من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان والذهول قرآنا لا يسأم منه
تأله مع تكراره وتواليه ولا يملأه واعييه بل تتوفر على توقيره دواعيه في كل
حين تظهر فيه من فضايا التنزيل وخفايا التأويل من نتائج أفكار الخلف غير

ما جادت به فطن السالف كل حرف منه تنفجر به ينابيع من الحكمة وكل كلمة
تقطر منها سحاب الرضوان والرحمة وكل آية تحتوى على بحار من الإعجاز زواجر
وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الأوائل والأواخر لم نجد له في الكتب السالفة نظيرا
ولم نعد إليه كف معروض منازلا كان أو مغيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على
أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فإرام أحد
معارضة إلا عرضت له عوارض النى والسكن ولا قصد مباراته إلا رمى به بجزر القول
وإن كان من أبواب الماس وعوض من كلامه الفصيح باللفظ الركيك والمعنى القبيح قام
إعجازه بمعجزهم وتحققوا أنه ليس من تسجيهم ولا ترجيزهم وصرفهم الإباء عن
ترك دين آياتهم إلى الدنية وصرفهم الحجة حجة الجاهلية عجزوا عن الايمان بسورة
أو آية وانتهوا من عنادهم في التكذيب به إلى غاية فأعقبهم نفاقا في قلوبهم وجعلهم
لمن بعدهم آية فهو الصراط المستقيم والذكر العظيم والكتاب الحكيم والنور
المنين والحبل المتين والعروة الوثقى والآية العظمى وكلمات الله والذكرى والدرجة
العليا وهو شفاء الغليل ودواء العليل والبرهان والدليل والبشير والنذير والبصائر
والمثاني والقصص والتذكرة والأنباء والآيات المبصرة والحكم والبلاغ والتبصرة
والبيان والتبيان والرحمة والبشرى والامان والروح والحديث والتزويل والميزان
وحق اليقين والنبأ العظيم والمحفوظ والكتاب الكريم والقول الفصل والهادى والناطق
والحق والغيب والمكنون والقول الثقيل والحسرة والعجب والصحف المطهرة والكتب
القيمة والخبر والكتاب العزيز والكتاب لا ريب فيه والحكم والمتشابهة والعصمة
والامم والأنس عند الوحشة والفرع والأمن عند الخوف والجزع والضياء يوم القدر
والظلمة والكشف يوم الكرب والغمة من حكم به عدل ومن عدل عنه هوى
قدمه فزل ومن استعصم به عصم ومن استعصم منه الرحمة رحم

(ولما) كان جامع هذه المعاني المتفرقة محتويا على بدائع المباني المشيدة والننون
للتأنقة وضروب من المقاصد الخفية والجلية وأنواع من خفايا أسرار العوالم العلوية
والسفلية أنزله على خير رسول قلبه منبع الحكم وسمعه مقر صريف القلم وعقله

قد استوى على سوقه واستتم لسانه عن الذال والخطأ في منعة وعصم وبصره
وبصيرته عنهما ما اختفى هدى ولا اكتم فبلغه من التبليغ مرامه وبين حلاله
وحرامه وعين فيه مراد الله من خلقه وأحكامه وعرف فيه ونصه وأظهر عامه
وما خصه وأبدى ناسخه ومنسوخه ومحكمه وفهم متشابهه ومبهمه وجلا غوامضه
وخفاياه وأوضح قصصه وقضاياه وأظهر عن أمثاله التي ليست لها أمثال وأعلم
بخفي إشاراته التي هي أدق من السحر الحلال وأرق من العذب الزلال وأنبا
بكنايته التي هي أجل من التصريح وصرح بحقيقته التي تسبق إليها الأذهان من غير
تعريض ولا تلويح وأوجز مجازه الذي بغير تدبر لا تجيزه العقول ولو شاء لطلع
هو والحقيقة سنان إلى غير ذلك من العلوم الظاهرة والفنون الباهرة (خلا) ما تضمنه
من العلوم الباطنة والمعاني التي هي إلى الآن في كأمها كامنه التي لم يطلع الله عليها
من خلقه أحدا والخفايا التي لم يُظهر عاينها إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رسدا فجزاه الله أحسن جزاء عنا وبلغه أفضل سلام منا
وصلى الله عليه وعلى آله ما طاع نجم وبدا وما اخضل نجم برذاذ وندا ورضى الله
عن أصحابه ليوث غابه وغيوث سحابه

(فكتاب الله تعالى) أشرف ما صرفت إليه الهمم وأعظم ما جال فيه فكر ومد
به قلم لأنه منبع كل علم وحكمة ومربع كل هدى ورحمة وهو أجل ما تنسك به
المتنسكون وأقوى ما تمسك به المتمسكون من استمسك به فقد علت يده بحبل متين
ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم وهدى إلى صراط مستقيم

(وقد) أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة
وأجناس البلاغة وأنواع الجزالة وفنون البيان وغوامض اللسان وحسن الترتيب
والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب وعذوبة المسامحة وحسن البلاغ وبهجة
الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألنى
بلاغة الباغاء من العذب وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه علومهم وكلت ألسنتهم
الذرية وأقصرت خطبهم المسهبة وقصائد هم المغربية وأراجيزهم المعربة وأسجاعهم

المطربة فعملوا أن معارضة مما ليس في مقدورهم ولا وسعهم ولا داخلها في
تقصيدهم ولا سجعهم وأن ذلك مسلوب ومصرف عن مفردهم وجمعهم وتركوا
الطعن فيه عند تقصيد رماحهم وأذعنوا للاستماع له والعجز عنه بعد تأييدهم
وجاحهم مع قدحه في أربابهم وفدحه لأبائهم وتسفيهه لأحلامهم وتبطله
لأنصابهم وأزلامهم فأمسك ذووا الاحلام منهم عن اللغو فيه والاعتدا وأقبلوا على
تذبره فهدى الله به من هدى ولم يبق على الطعن فيه وترك التدبير لمعانيه إلا من
غلبت عليه الشقاوة وختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فالتدبوا
لمعارضة ومباراته ومماثلته ومجاراته فأوقعه غيّه في عيّه ولكنه سقط في سقطات
لسانه بعد بلاغته ولسنه وصار بعد أن كان فارس الفصاحة والبيان ومالك قصبات
السبق في الرهان يضحك من لفظه من سمعه ويحط من قدره من رفعه وذهبت
من لفظه تلك الجزالة وأعظم الله من ضروب الجزاء والخذية الجزاء له كل ذلك
ليظهر لنا عظم قدر كلامه العظيم وأى رونق وبهجة للمحدث إذا قرن بالقديم فمن
جحد منهم انما فعل ذلك عناداً وحسداً لا بائه أن يقدم عليه أحداً

(روى) أن أبا جهل بن هشام هو والخنس بن قيس والوليد بن المغيرة اجتمعوا
ليلة يسمعون القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى به في بيته إلى أن
أصبحوا فلما انصرفوا جمعهم الطريق فنلوا وموا على ذلك وقالوا انه اذا رأىكم سفهاؤكم
تفعلون ذلك فعلموا واستمعوا الى ما يقوله واستمالهم وآمنوا به فلما كان في الليلة الثانية
عادوا وأخذ كل منهم موضعه فلما أصبحوا جمعهم الطريق فاشتد نكيرهم وتعاهدوا وتحالفوا
أن لا يهودوا فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة الى الخنس بن قيس فقال ما تقول
فما سمعت من محمد فقال ماذا أقول قال بنو عبد المطلب فينا الحجابة قلنا نعم قالوا فينا
السّدانة قلنا نعم قالوا فينا السّقاية قلنا نعم يقولون فينا نبي ينزل عليه الوحي والله لا
آمنت به أبداً (وروى) أن الوليد بن المغيرة سمع من النبي صلى الله عليه وسلم (إن
الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية فقال والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان
أسفله لعذق وان أعلاه لثمر ما يقول هذا بشر (وقال أيضاً) لما اجتمعت قريش عند

حضور الموسم ان وفود العرب ترد فاجموا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضاً فقالوا
نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن ولاهو بزمزمته ولا سجمه قالوا مجنون قال ماهو
بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر فقال ماهو شاعر قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه قالوا فنقول ساحر قال ماهو
بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما يقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا وانا أعرف
انه لا يصدق وان أقرب القول إنه ساحر وأنه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء
وأخيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته ففترقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فأنزل الله تعالى في الوليد (ذرني ومن خلقت وحيداً) الآيات

(وانما) يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم
البيان ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقالاتها في مواطن افتخارها ورسلها وأراجيزها
واسجاعها فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس
التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والامثال فاذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب
العزير ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان فقد أدرك فيه
العجب العجيب والقول الفصل الباب والبلاغة الناصعة التي تحير الالباب وتغلق دونهما
الابواب فكان خطابه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم ومجاراته لهم في ميدان
الفصاحة ليسبل ردآء عجزهم عليهم ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم فمجزت عن مجاراته
فصحاؤهم وكلت عن النطق بمنته السنة بلغاتهم وبرز في رونق الجمال والجلال في أعدل
ميزان من المناسبة والاعتدال ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسامعه من الروعة ما يملأ
القلوب هيبه والنفوس خشية وتستلذه الاسماع وتميل اليه بالحين الطباع سواء كانت فاهمة
لمعانيه أو غير فاهمة عالمة بما يحتويه أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة . . وسنورد في
كتابنا هذا أصولاً ومؤصلة وفوائد مفصلة من علم البيان وما ورد نظيره في القرآن ما تنقف
عليه ويعجبك عند النظر اليه

(قال المصنف رضى الله عنه) وهذه الجملة التي تأصلت ونحصلت والفوائد التي بعد
إجمالها فصلت نقلها من كتب ذوى الأتقان علماء علم البيان التي وقفت عليها وزرقت مهمة

اطلاعى اليها من كتب المتقدمين والمتأخرين وهى كتاب البديع لابن المعتز . وكتاب
الحالى والعاطل للحاتمي . وكتاب المحاضرة له . وكتاب الصناعتين للمسكرى . وكتاب الامع
للمجمي . وكتاب المثل السائر لابن الأثير . وكتاب الجامع الكبير لابن الأثير أيضاً . وكتاب
البديع لأسامة بن منقذ . وكتاب العمدة للزنجاني . وكتاب نظم القرآن له أيضاً . وكتاب
نهاية التأميل فى كشف أسرار التزويل لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم
الأصباري . وكتاب التفرغ فى علم البديع لزكي الدين عبد العظيم بن أبي الاصبع . وكل
كتاب من هذه الكتب أخذ من كتب شتى مع ما أضفت اليها من فوائد مستعذبة
وفرائد حسنة المساق مستغربة نقلتها عن الأمة الاعلام الأكابر ونقلتها عنهم من السنهم
لأنهم يطولون الدفاتر وما أضفت الى ذلك مما تفضل الله به ومنع من مهمل أبنته وبحمل
فصلته وشارد قيدته وحصاته ليكمل بهذا الكتاب النفع ويأتى على نهاية من حسن
الوصف وبديع الجمع واحياء علم البيان المطلع على نكت نظم القرآن الذى قد عفت
آثاره وقلت أنصاره وتقاعدت الهمم عن تحصيله وضعت العزائم عن معرفة فروعه
فضلا عن أصوله فما علم من علوم الاسلامية روى بالهجر والنسيان مارى به علم البيان
ولو أداموا النظر فيه والتامع لمعانيه لاطلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تهش لها
القلوب ودقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معاني
الكتاب العزيز بمغزل ولم يقم ببعض حقوق المنزل والمنزل ومن وقف على هذه الأصول
التي أصلتها والفصول التي فصلتها ظهر له مصداق هذه الدعوى وأخذ من التوصل الى
معرفة هذا العلم بالسبب الأقوى وحسن عنده موقعه وعظم فى نفسه محله وموضعه
وخالطت قلبه بشاشة رونقه وجليت فى عينه نضارة نظائره وحسن موقعه
(وكلام العرب) فى خطبها وأشعارها ونثرها ونظامها منقسم الى ثلاثة أقسام
ورد منها فى الكتاب العزيز قسمان وقسم لم يرد منه فيه شيء وسأين ذلك ان شاء الله تعالى



القسم الأول

(وهو ينقسم الى أربعة وثمانين قسماً)

(القسم الاول) في الكلام على الفصاحة ، والبلاغة ، والكلام عليهما من

وجوه ، الاول في حدهما ، الثاني في اشتقاقهما ، الثالث في التفرقة بينهما

(أما الأول في حدهما) فقد قال علماء هذا الشأن إنَّ حدَّ البلاغة بلوغ الرجل بعبارة كنهه ما في نفسه مع الاحتراز من الإيجاز الخجل والتطويل الممل . . وقال قوم البلاغة اتصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ . . وقيل البلاغة الإيجاز مع الافهام والتصرف من غير اضجار . . قال خالد بن صفوان أبلغ الكلام ما قلَّت ألفاظه وكثرت معانيه وخير الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره . . وقال غيره انما يستحق الكلام اسم البلاغة اذا سابق لفظه معناه الى قلبك (وأما) الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد

(الثاني في اشتقاقهما) قال علماء هذا الشأن إن اشتقاق البلاغة من البلوغ الى الشيء وهو الوصول اليه . . ويجوز عندى أن يكون الكلام البليغ الذى بلغ من جودة الألفاظ وعذوبة المعانى الى غاية لا يبلغ الى مثائها إلا مثله (وأما) الفصاحة فقالوا اشتقاقها من الفصيح وهو اللبن الذى أخذت منه الرغوة وذهب لبأؤه يقال فصح الرجل اذا صار كذلك وأفصح الشاة اذا فصَّح لبنها

(الثالث في الفرق بينهما) قال قوم من أرباب علم البيان الفصاحة والبلاغة متعاقبان على معنى واحد . . وقال قوم البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الألفاظ . . يقال معنىً بليغ ولفظ فصيح (وليست) الفصاحة والبلاغة مختصين بالألفاظ العربية وانما يطلقان على كل ما لفظه غريب وفهمه قريب (واذا) تقرر هذا فقد احتوى الكتاب العزيز

على جلد من ذلك أفرغت في قالب الجمال وأترعت لها كؤوس الاحسان والإجمال وأنت على معظمها وأجائها واستوفت نصاب ما كفا لازمة علم البيان وأدلتها وأنا أذكرها نوعا نوعا وقسما قسما محلا يبراهينه وشواهد سافرا عن نضارة وجوه نظائره وفوائده بعد استيفاء الكلام على الحقيقة والمجاز إذ الكلام لا يخلو عنهما أو عن أحدهما (فبدأ) بالكلام على الحقيقة . والكلام فيها من ثلاثة أوجه . الأول اشتقاقها . الثاني حدها . الثالث أقسامها (أما الأول) فالحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة وفي اشتقاقها قولان . أحدهما أنها مشتقة من حقق الشيء بحقيقه إذا أثبتته والآخر أنها من حققت الشيء أحقه إذا كنت منه على يقين (وأما الثاني) فلها حدان . الأول في المفردات . والثاني في الجمل . . فأما حدها في المفردات فهي كل كلمة أريد بها ما وقعت به في وضع واضح وقوع لا يُسند فيه إلى غيره كالأسد للحيوان الخصوص المعروف . . الثاني حدها في الجمل فهو كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه مثاله خالق الله العالم وأنشأ العالم - فأنشأ - واقعة موقع - خلق - (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة . حقيقة لغوية . وحقيقة شرعية . وحقيقة عرفية . . وهي على قسمين عامة وخاصة . فالعامة كاستعمال لفظ الدابة في الحمار وخاصة نحو استعمال لفظ الجوهر في المنحيز الذي لا ينقسم (وأما المجاز) فالكلام عليه أيضاً من خمسة أوجه . الأول في المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله . الثاني في حده . الثالث في اشتقاقه . الرابع في علة النقل . الخامس في أقسامه (أما الأول) فإن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله مياهم إلى الانساع في الكلام وكثرة معاني الالفاظ ليكثر الالتذاذ بها فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة وكما دق المعنى رق مشروبه عندها وراق في الكلام انخراطه ولذ للقلب ارتشافه وعظم به اغتباطه ولهذا كان المجاز عندهم منهلاً موروداً عذباً الارتشاف وسبيلاً مسلوكاً لهم على سلوكه انعكاف ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالاً من الحقائق وخالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائع ولفظ فائق واشتد باعهم في إصابة أغراضه فأتوا فيه بالخوارق

وزينوا به خطبهم وأشعارهم حتى صارت الحقائق دثارهم وصار شعارهم (وأما الثاني) .
 فخذة على قسمين • حدث في المفردات • وحدث في الجمل • • أما حده في المفردات فهو
 كل كلمة أريد بها غير ما وُضعت له في وضع واضعها • • وقيل حده استعمال اللفظ
 الحقيقي فيما وضع له دالا عليه ثانياً لتسويته علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز • •
 وأما حده في الجمل فهو كل جملة أخرجت الحكم المقاد به عن موضوعه بضرب من
 التأويل (وأما الثالث) فاشتقاقه من جاز الشيء يجوزُهُ إذا تعداه وعدل عنه • فاللفظ
 إذا عدل به عما يوجه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي
 أو جاوز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (وأما الرابع) فالعنى الذى وقع به النقل
 شيان • أحدهما أن يكون المنقول عن معنى وضع اللفظ بازائه أولاً من غير مناسبة ولا
 علاقة كالإعلام المنقولة وبهذا يتميز عن المشترك • الثانى أن يكون ذلك النقل لمناسبة
 بينهما أو علاقة ولا أجل ذلك لا توصف به الأعلام المنقولة لأنها مجازات مثل تسمية
 الرجل بالحجر فإنه ليس هذا النقل لتعلق بين حقيقة الحجر وبين ذلك الشخص وأما
 إذا تحقق الشرطان فإنه يسمى مجازاً وذلك مثل تسمية النعمة أو القوة باليد لما بينهما من
 التعلق فإن النعمة إنما تعطى باليد والقوة إنما تظهر بكاملها فى اليد • • ومن ذلك أيضاً
 تسمية المزايدة بالراوية وهى اسم للبعير الذى يحمل عليه فى الأصل ومثل ما بين الثبت
 والغيث والسماء والمطر حيث قالوا رعينَا الغيث يريدون الثبت الذى الغيث سبب نشوءه
 عادة وقالوا أصابتنا السماء يريدون أصابنا المطر • • وقال قوم المجاز لا يصح إلا بنسبة مع
 علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز وتلك النسبة متنوعة فإذا قوى التعلق بين محلى الحقيقة
 والمجاز فهو الظاهر الواضح وإذا ضعف التعلق إلى حد لم تستعمل العرب مثله ولا
 نظير له فى المجاز فهو مجاز التعقيد ولا يحمل عليه شئ فى الكتاب والسنة ولا يوجد
 مثله فى كلام فصيح • وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية فن العلماء من يتجاوز بها
 لقربها بالنسبة إلى العلاقة الضعيفة ومنهم من لا يتجاوز بها لأنخطاطها عن العلاقة القوية
 وهذا مذكور فى الكتب المختصة بأصول الفقه (الخامس) أقسامه وهى كثيرة •
 الأول مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق وأقسامه كثيرة • • وقد انتهت عندنا

ما احتوى عليه الكتاب العزيز الى أربعة وعشرين قسماً (الاول) التجوز بلفظ العلم عن المعلوم كقوله تعالى «ولا يحيطون بشئ من علمه» أراد بشئ من معلومه . وكقوله تعالى « ذلك مبلغهم من العلم » أى من المعلوم . وكذلك قوله تعالى « فما اختلفوا حتى جاءهم العلم » أى المعلوم (الثانى) التجوز بلفظ المعلوم عن العلم وسيأتى بيانه وأمثله (الثالث) التجوز بلفظ المقدور عن القدرة مثل قولهم رأينا قدرة الله أى مقدور الله . ومنه قوله تعالى «صنع الله الذى أتقن كل شئ» أى مصنوعه (الرابع) التجوز بلفظ الارادة عن المراد كقوله تعالى « يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله » والمعنى ويفرقون بين الله ورسله بدليل أنه قول بقولهم ولم يفرقوا بين أحد منهم ولم يقل ويريدون أن يفرقوا بين أحد منهم (الخامس) التجوز بلفظ المراد عن الارادة كقوله تعالى « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » معناه وإن أردت الحكم فاحكم بينهم بالعدل وفيه مجاز من وجهين . أحدهما التعبير بالحكم عن ارادته . والآخر التعبير بالماضى عن المستقبل (السادس) اطلاق اسم الفعل على الجزء الأول منه وعلى الجزء الاخير منه ومثاله قوله تعالى « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » أراد بالرمى المنفى آخر أجزاء الرمى التى وصل التراب به الى أعينهم وبالرمى المثبت شروعه فى الرمى وأخذه فيه فيكون المعنى وما أوصلت التراب الى أعينهم اذ شرعت فى الرمى وأخذت فيه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم صلى بى جبريل عليه السلام الظهر حين زالت الشمس أى شرع فى الصلاة وأخذ فيها وصلى بى الظهر فى اليوم الثانى حين صار ظل الشئ مثله أراد بذلك آخر أجزاء الصلاة وهو السلام . وهذا من مجاز التعبير بلفظ الكل عن البعض وكذلك نظائره ويصحح هذا ما بين الارادة والمراد من النسبة والتعلق ويجوز أن يكون المصحح كون المراد مسيئاً عن الارادة فيكون تجوزاً باسم المسبب عن السبب بخلاف التعبير بالمعلوم عن العلم فانه ليس مسيئاً عنه ولا مؤثراً فيه (السابع) التجوز بلفظ الامل عن المأمول وذلك فى قوله تعالى « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً » أى وخير مأمولاً (الثامن) التجوز بلفظ الوعد والوعد عند ريك ثواباً وخيراً أملاً . وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « أفمن

وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ » ومثله « إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا » أى موعوده
 (التاسع) إطلاق العهد والعقد على الملتزم منهما وهو فى القرآن كثير . من ذلك
 قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ »
 وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي » عبر بهذه العهود كلها عن موجها ومقتضاها وهو
 الذى التزم بها (العاشر) إطلاق اسم البشرى على الم بشر به وهو فى القرآن كثير .
 من ذلك قوله تعالى « بُشِّرْ أَكْثَمَ الْيَوْمِ جَنَاتٍ » وقال أبو على التقدير بشراكم اليوم
 دخول جنات أو خلود جنات لأن البشرى مصدر والجنات جرم فلا يخبر بالجرم عن المعنى
 وقال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام لاحاجة الى هذا التعسف لأن البشرى
 ليست عين الدخول ولا عين الخلود كما انها ليست عين الجنات ولا بد من تأويله على كلا
 القولين بما ذكرناه وإلا كان خلفاً لأن البشرى قول ولا يجوز أن يخبر عن القول بأنه
 جرم ولا بأنه دخول ولا خلود (الحادى عشر) إطلاق اسم القول على المقول فيه
 وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ » ومنه
 قوله « سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا » أى عن مداول قولهم . ومنه قوله
 تعالى « وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا » معناه وجب عليهم العذاب المقول فيه . ومنه
 قوله تعالى « فَبَرَأَ اللَّهُ عَمَّا قَالُوا » أى من مصولهم وهو الأذرة (الثانى عشر) إطلاق اسم
 النبأ عن النبأ عنه وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » ومنه قوله تعالى « قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ » وإن أريد به القرآن
 فهو من باب إطلاق اسم البعض على الكل لأن القرآن كله ليس هو نبأ . ومنه قوله
 تعالى « وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » (الثالث عشر) إطلاق الاسم على المسمى وهو فى
 القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْ بِهَا
 مَعْنَاهُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ الْإِسْمِيَّاتِ » ومنه قوله تعالى « سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى »
 أى سبِّح ربك الأعلى ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا اذا قرأوها
 قالوا سبحان ربى الأعلى . وقال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى سجودكم . ومنه قوله
 صلى الله عليه وسلم بسم الله الذى لا يضرُّ مع اسمه شئٌ فى الأرض ولا فى السماء .

ومن جعل الاسم هو المسمى في قوله « بسم الله الرحمن الرحيم » كان التقدير فيه أقرأ بالله أى بمعونه وبتوقيفه ومن جعله التسمية كان التقدير أن تبرك بذكر اسم الله وبهذا يُرد على من قدّر ابتدائي أو بدأتُ باسم الله إذ لا وجه للتبريك على بعض الفعل دون سائر ولا لنسبة ابتداء الفعل الى التوفيق دون سائر لأن الحاجة داعية الى التبرك والتوفيق في جميع الفعل دون انتهائه وابتدائه (الرابع عشر) اطلاق اسم الكلمة على المتكلم به ومنه في القرآن كثير من ذلك قوله تعالى « ولا تبدل لكلمات الله » أى لا تبدل لعذاب الله أو لا تبدل لمقتضى عذاب الله ومنه قوله تعالى « ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » تجوز بالكلمة عن المسيح لكونه تكون بها من غير أب بدليل قوله تعالى « وجهاني الدنيا والآخرة ومن المقربين » ولا تنصف الكلمة بذلك وأما قوله اسمه المسيح فإن الضمير فيه عائذ الى مدلول الكلمة والمراد بالاسم المسمى فالعنى المسمى المبشر به المسيح بن مريم (الخامس عشر) اطلاق اسم اليمين على الخلوفا وهو فى القرآن فى موضعين أحدهما قوله تعالى « ولا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم » أى ولا تجعلوا قسم الله أو يمين الله مانعا لما تحلفون عليه من البر والتقوى بالصلاح بين الناس^(١) (السادس عشر) اطلاق اسم الحكم على المحكوم به وذلك قوله تعالى « ان ربك يقضى بينهم بحكمه » أى بما يحكم به لكل واحد منهم من ثواب وعقاب فتجوز بالحكم عن متعلقه وهو المحكوم به وكذلك التعبير بلفظ القضاء عن المقضى به فى قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من سوء القضاء أى من سوء ما قضيت به إذ لا تصح الاستعاذة من قضاء الله لانه صفة قديمة له لا يمكن تبديلها ولا تغييرها ومثله « فاصبر لحكم ربك » أى فاصبر لما حكم به عليك وكذلك قول الداعى اللهم رضى بقضائك أى بما قضيت له أو على من غير معصية فإن المعاصى مقضية أيضاً وقد أمرنا الله تعالى بكرهاها ففتل أمر الله تعالى فى كرهاها وان وقعت (السابع عشر) التجوز بلفظ العزم على المعزوم عليه وهو كثير فى القرآن ومنه قوله تعالى « ولن

صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ، أى ان ذلك الصبر والغفر مما يعزم عليه من الأمور ومنه قوله تعالى « ولا تعزموا عقدة النكاح » تجوز بالعزم عن المعزوم عليه لتعلقه به ومعناه ولا تعقدوا عقدة النكاح أو يكون التقدير ولا تعزموا على تنجيز عقدة النكاح (الثامن عشر) التجوز بلفظ الهوى عن المهوى وهو فى القرآن العظيم فى موضعين أحدهما قوله تعالى « ونهى النفس عن الهوى » معناه ونهى النفس عما تهواه من المعاصى ولا يصح نهىها عن هواها وهو ميلها لأنه تكليف ما لا يطاق الا ان تقدر حذف مضاف معناه ونهى النفس عن اتباع الهوى فيكون من مجاز الحذف ومنه قوله تعالى « أرايت من اتخذ إلهه هواه » يحتل أن يريد به بهواه لانهم كانوا يعبدون الصنم فان استحسنوا غيره عبدوه وتركوا الأول ويحتل أن يكون المراد به مجاز التشبيه فان الانسان اذا طاول هواه فيما يأنه ويتركه فقد نزل الهوى منزلة المعبود المطاع (التاسع عشر) اطلاق اسم الخشية على الخشية وهو فى القرآن العزيز فى قوله تعالى « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون » معناه هم من عقوبة ربهم خائفون (العشرون) اطلاق اسم الحب على المحبوب وذلك قوله تعالى « انى أحبيت حب الخير عن ذكر ربى » معناه أحبيت محبوب الخير عن ذكر ربى (الحادى والعشرون) اطلاق اسم الظن على المظنون وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة » معناه أى شئ مظنونهم أهو الهلاك أو النجاة . الثانى قوله تعالى « وما خالفنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا » معناه ذلك الخلق الباطل مظنون الذين كفروا . وأما قوله تعالى « اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم » فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره اجتنبوا كثيراً من اتباع الظن ان اتباع الظن ذنب ويجوز أن يكون تجوز بالظن عن المظنون وهو أمره باجتنب فعل وقع منهم (الثانى والعشرون) اطلاق اسم اليقين على المتيقن وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » معناه واعبد ربك حتى يأتيك الموت المتيقن لكل أحد ومنه قوله تعالى « وكنا نكذب بيوم الدين

حتى أئانا اليقين» معناه حتى أئانا الموت المتيقن لكل أحد (الثالث والعشرون) اطلاق اسم الشهوة على المشتهى وهو في القرآن العظيم في موضعين • أحدها قوله تعالى « زين للناس حب الشهوات » أى حب المشتهيات بدليل أنه قال « من النساء والبنين » الثانى قوله « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا » معناه ان الذين يشتهون الفاحشة فى أعراض الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ولذلك أوجب عليهم فى الدنيا الحد وفى الآخرة العذاب ولا يتعلق الحد بمجرد حب الاشاعة (الرابع والعشرون) اطلاق اسم الحاجة على المحتاج اليه وهو فى القرآن العظيم كثير • فن ذلك قوله تعالى « ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » معناه ما كان دخولهم يدفع عنهم من قضاء الله وقدره شيئاً ولكن طلب حاجة فى نفس يعقوب قضاها ويحتمل ولكن حاجة فى نفس يعقوب قضى متعلقها لأن الحاجة الحقيقية التى هى الافتقار لا تقضى وانما يقضى متعلقها الذى هو المحتاج اليه • ومنه • ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » معناه ولا يجدون فى قلوبهم شئ يحتاجون اليه مما أعطيه المهاجرون • • وهذه الاقسام كلها من مجاز التعبير بلفظ المتعلق عن المتعلق به أو من مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق ومصحح الجاز فيه ما بينهما من النسبة

﴿ القسم الثانى ﴾

اطلاق اسم السبب على المسبب وهو أربعة أقسام

(القسم الاول) قوله تعالى « فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » سعى عقوبة الاعتداء لانه المسبب عن الاعتداء • ومنه قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » تجوز بلفظ الجنابة عن القصاص فانه مسبب عنها والتقدير جزاء جنابة قبيحة عقوبة قبيحة مثلها فى القبح وان عبرت بالسيئة عما ساء أى أحزن لم يكن من هذا الباب لأن الاساءة تحزن فى الحقيقة كالجنابة • ومنه قوله تعالى « ومكروا ومكر الله » تجوز

بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سبب لها . . . ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية وهذا متحقق من الله تعالى لاستدراجه إياهم بما أجرى عليهم من نعمته مع ما أعد لهم من نعمة (الثاني) إطلاق اسم الكتابة على الحفظ فإن الكتابة سبب لحفظ المكتوب وهو في القرآن العظيم في موضعين . أحدهما قوله تعالى « سنكتب ما قالوا له أى سنحفظه ولا ننساها حتى نحجزهم به . والآخر قوله تعالى « سنكتب ما قالوا وقتلوا الأنبياء » أى نحفظه عليهم فإن الملائكة قد كتبوا ذلك لما قالوا وقتلوا الأنبياء فاستعمل اللفظ المستعمل في حفظه دون كتابته (وأما) قوله تعالى « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » فإنه تجوز بالكتابة عن الثبوت والدوام فإن الكتابة مستمرة باقية في العادة (وأما) قوله تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » ففيه مذهبان . أحدهما أنه من مجاز الحذف تقديره إن المنافقين يخادعون رسول الله والله خادعهم فيكون خداعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة . وأما خدع الله إياهم فيجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه معناه أنه عاملهم معاملة المخادع بما أخفاه عنهم من إرادة إضرارهم وإهلاكهم ويجوز أن يكون حقيقة بما ذكرناه في المكر ويتأتى أن يكون مخادعهم الله من مجاز التشبيه بمعنى أنهم يعاملونه معاملة المخادع ويكون خدعهم من مجاز المعاملة ويجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب فيكون من مجاز المجاز فإن مخادعهم مجازية تجوز بها عن شبهها وكان إطلاق اللفظ من مجاز التشبيه (الثالث) إطلاق اسم السمع على القبول وهو في القرآن كثير . . . من ذلك قوله تعالى « ما كانوا يستطيعون السمع » معناه ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به لأن قبول الشيء مرتب على استماعه ومسبب عنه ويجوز أن يكون نفي السمع لانتهاء فائدته فيصير كقولهم أنهم لا إيمان لهم أى لا وفاء إيمان لهم . . . ومنه قول الشاعر

وإن حلفت لا ينقض النأى عهداً فليس لمخضوب البنان يمين

معناه ليس لمخضوب البنان وفاء يمين (الرابع) إطلاق اسم الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة وهو في القرآن كثير . . . فمن ذلك قوله تعالى « وما كان الله ليبضح إيمانكم » (٣ - فوائد)

معناه ما كان الله ليضيع أجر صلاتكم الى الصخرة قبل النسخ . ومنه قوله تعالى « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » معناه أفتعملون ببعض التوراة وهو فداء الأسارى فتجوز بالايان عن العمل بما يوافق الكتاب لأنه مسبب عن الايمان وتترك العمل ببعض وهو قتل اخوانكم واخراجهم من ديارهم . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضغ وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق . جعل القول وامطة الأذى عن الطريق ايمانا لأنها مسييان عن الايمان

❦ القسم الثالث ❦

اطلاق اسم المسبب على السبب وهو ثمانية أقسام

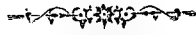
(القسم الأول) اطلاق اسم العقوبة على الاساءة والجنابة . ومنه قوله تعالى « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » معناه وإن أردتم معاقبة مسمى عاقبوه بمثل ما بدأكم به من الاساءة فقولوه - وإن عاقبتم - من مجاز التعبير بلفظ الفعل عن ارادته وقوله - بمثل ما عوقبتم به - من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب وقوله - فعاقبوا - حقيقة اكتشفها المجازان . وكذلك قوله « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم نبئ عليه لينضربه الله » فعاقب حقيقة وعوقب به من مجاز تسمية السبب باسم المسبب . ومن هذا النوع قول العرب كما تدن تدان معناه كما تفعل تجزى لأن الدين هو الجزاء فتجوز به عن الجنابة لأنه مسبب عنها . . . وكذلك قول الشاعر

ولم يثق سوى العدو ن دناهم كما دانوا

معناه جزيناهم بما فعلوا فدناهم حقيقة ودانوا مجاز (القسم الثاني) اطلاق الأكل على الأخذ لما كان الأكل مسيئاً عن الأخذ . ومنه قوله تعالى « ولأنأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » معناه لا تأخذوا أموالكم بالسبب الباطل كالقمار ونحوه (القسم الثالث) اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التي هي مسبب عنها . ومنه قوله تعالى « إن يكن منكم

عشرون صابرون يَفْلِحُوا مِائَتِينَ » عبر بلفظ الغلبة عن المقاتلة لأن الغلبة مسببة عن المقاتلة (الرابع) اطلاق اسم الرجز على عبادة الأصنام . ومنه قوله تعالى « وَالرَّجَزُ فَاحِجٌ » تجاوز بالرجز وهو العذاب الشديد عن عبادة الأصنام لأن العذاب مسبب عنها (وأما) قوله تعالى « وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ » فهو من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن سبب سببه لأن وساوس الشيطان سبب لمعصية الرحمن ومعصية الرحمن سبب لعذاب الديان فبان أن الوسوسة سبب للمعصية والمعصية سبب للعذاب ويجوز أن تجعل الوسوسة نفسها رِجْزاً لمشقتها على أهل الإيمان وكلما اشتدت مشقتها على النفوس فهو رجز . . قال أبو عبيد الرجز والرجس هما العذاب الشديد . وكذلك ما أشبهه (الخامس) اطلاق اسم المغفرة على التوبة . ومنه قوله تعالى « وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِأَذْنِهِ » تجاوز باسم المغفرة عن التوبة (السادس) اطلاق اسم الكبرياء على التملك لأنها مسببة عن الملك . ومنه قوله تعالى « وَتَكُونُ لَكُمْ أَعْيُنٌ عَلَى الْأَرْضِ » (السابع) اطلاق اسم القوة على السلاح لأن القوة على القتال تكون عنها . ومنه قوله تعالى « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ » لأن القوة على قتالهم مسببة عن الأسلحة فسموها باسم مسببها أو يكون ذلك من مجاز الحذف تقديره وأعدوا لهم ما استطعتم من أسباب قوة أو من أدوات قوة (الثامن) اطلاق اسم الاعطاء والإيتاء على الالتزام فمن ذلك قوله تعالى « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ » معناه إذا سلمتم ما التزمتموه بالمعروف لما كان التسليم مسيئاً عن الالتزام عبر به عنه . ومن ذلك قوله تعالى « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ » أي إذا التزمتم لهن مهورهن . . ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف تقديره إذا آتيت أهلكن مهورهن ولا يدل قوله فانكحوهن باذن أهلن على صحة النكاح بغيرولي لأنه لم يذكر المأذون له ويجوز أن يكون المراد الوكيل ويجوز ويحتمل أن تكون المرأة وحمله على الوكيل أولى لأن الغالب في الأنكحة أنه يتولى ذلك الرجال دون النساء فيجب الحمل على الغالب لأن مباشرة المرأة النكاح في غاية التدور فلا يجوز حمل الكلام عليه إذ لا يوجد مثل هذا نظير في كلام العرب من أنهم أرادوا بيان شيء والارشاد الى مصلحة فيبينورم بأند

أحواله مع الاستغناء عنه ويهملوا الأغلب مع مسيس الحاجة اليه



— القسم الرابع —

اطلاق اسم الفعل على غير فاعله لما كان سبباً له وهو أربعة أقسام

(الأول) نسبة الفعل الى من كان سبباً له . من ذلك قوله تعالى « قل هو من عند أنفسكم » وهو من عند الله على الحقيقة ولكنه نسب ما أصابهم من قتل اخوتهم الى سببه . ومنه قوله تعالى « فلا أنفسهم يمهّدون » والماهد هو الله على الحقيقة ولكنه نسب اليهم تمهيد المرقد لتسبيهم اليه بالعمل الصالح (الثاني) اطلاق نسبة الفعل على سبب سببه . وهو في القرآن كثير . ومنه قوله تعالى « ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار » نسبوا صلي النار الى سبب سببه لأن الكبراء أمرهم وهم امثلوه والمقدّم على الحقيقة هو الله تعالى وسبب كفرهم أمر رؤسائهم ايهم بالكفر . ومنه « فأخرجهم مما كانوا فيه » ومنه قوله تعالى « كما أخرج أيوبكم من الجنة » ومنه « فلا يُخرجنّكما من الجنة فتشقى » المخرج والنازع على الحقيقة هو الله تعالى (الثالث) نسبة الفعل الى الأمر به وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ومنه « الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحدٍ منهما » ومنه قوله تعالى « فاجلدوهم ثمانين جلدة » فان كان هذا أمراً لاوالة فهو أمر بالامر باقامة الحدود وان كان أمراً لمستوفي الحقوق أو مباشرها فهو حقيقة (فأما) قوله رَجَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً والغامدية . وقوله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . فكل ذلك من باب نسبة الفعل الى الأمر به . ومن ذلك قوله تعالى « ونادى فرعونُ في قومه » أى أمر من ينادى في قومه (الرابع) نسبة الفعل الى الآذن فيه وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « وأخذنّ منكم ميثاقاً غليظاً » الآخذ على الحقيقة هو الوليّ والمرأة الآذنة فيه وهذا أخذ مجازي

ونسبته اليهن مجازية أيضاً كما ذكرناه . . وقد اختلف في الميثاق فقيل انه العقد وقيل انه قول الولي زوّجتك على ما أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . ومنه قوله تعالى « فلا تَعْصُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ » وقوله تعالى « فَإِنْ طَلَّقَهَا فلا تحلُّ له من بعدُ حتى تنكحَ زوجاً غيره » نسب النكاح اليهن لاذنهن فيه وهذا على قول من قال ان المرأة العاقلة البالغة الثيب لا تنكح نفسها . وأما على قوله من قال انها تنكح نفسها فهو حقيقة فيهن مجاز فيا سواهن

القسم الخامس

الاخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم وفي خطابهم بما يتعلق ببعضهم وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ثم اتخذتمُ العجلَ من بعده وأنتم ظالمون » معناه ثم اتخذ العجل بعض أسلافكم فان جميع الخلف والسلف لم يتخذوا العجل إلهاً وإنما وجد من بعضهم فصار هذا كقول امرئ القيس

فإن تقتلوننا نُقتلكم وإن تقصدوا لِدِمٍ نقصد

معناه فان قتلتم بعضنا تقتلكم إذ لا يتصور أن يقتلوه بعد استيعاب جميعهم بالقتل وهذا الباب كله من مجاز الحذف وله قاعدة يتفرع عليها وهي ان كان البعض واحداً كان التقدير وإذ فعل أحدكم . ومثاله قوله تعالى « وإذ قتلتم نفساً » وان كان البعض أكثر من واحد كان التقدير وإذ فعل بعضكم . ومثاله قوله تعالى « وإذ قاتمٌ يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى اللهَ جَهْرَةً » وكان القائلون لذلك سبعين . ومن زعم أنه نسب الفعل اليهم لانهم رضوا به لا يستقيم قوله لأننا نعلم أنهم لم يتفقوا على الرضى في قتل النفس ولا باتخاذ العجل ولا بقولهم - لن تؤمن لك حتى نرى الله جهره - ولا بقولهم - لن نصبر على طعام واحد » وأيضاً فان نسبة الفعل الى الراضى به مجاز والى فاعله حقيقة فاذا حمل - على - عليهما كان حملاً على حقيقة غالبية ومجاز مغلوب وذلك لا يجوز

- القسم السادس -

اطلاق اسم البعض على الكل وهو سبعة عشر قسماً

(الأول) التعبير بالقيام عن الصلاة . ومن ذلك قوله تعالى « قم الليل إلا قليلاً » أى صلّ الليل إلا قليلاً . وقوله تعالى « لا تقم فيه أبداً » أى لا تصل فيه أبداً (الثاني) التعبير بالركوع عن الصلاة وهو فى قوله تعالى « واركع مع الراكعين » أى صلى مع المصلين . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون » أى وإذا قيل لهم صلّوا لا يصلون (الثالث) التعبير عنها بالسجود . وذلك فى قوله تعالى « ومن الليل فاسجد له » أى فصلّ له . ومنه قوله تعالى « فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » أى فإذا صلّوا فليكونوا من ورائكم . ومنه قوله تعالى « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » أى وهم يصلون لأن التلاوة منهي عنها فى السجود الحقيقى فلا يصح المدهح فيما نهى عنه (الرابع) التعبير عنها بالقراءة فى قوله تعالى « وقرآن الفجر » وفى قوله « فاقراءوا ما تيسر من القرآن » (الخامس) التعبير عنها بالتسبيح فى قوله « وسبحه ليلاً طويلاً » وفى قوله « وسبح بحمد ربك قبل طُلوع الشمس وقبل الغروب » وفى قوله « وسبحوه بُكْرَةً وَأَصِيلاً » وأمثاله فى القرآن كثير (السادس) التعبير عنها بالذكر فى قوله « واذكّر اسم ربك بُكْرَةً وَأَصِيلاً » وفى قوله « فإذا أمّنتم فاذكّروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » معناه فإذا أمّنتم فصلّوا لله (السابع) التعبير عنها بالاستغفار فى قوله « وهم يستغفرون » وحمله بعضهم على الحقيقة (الثامن) التعبير بالذوق عن الوجه فى قوله تعالى « يخشون للاذقان سجداً » وفى قوله « يخشون للاذقان يبيكون » أى للوجوه (التاسع) التعبير بالأنف عن الوجه فى قوله تعالى « سنسفه على الخراطوم » (العاشر) التعبير بالرقبة عن الجملة فى قوله تعالى « فتحرير رقبة » وفى قوله « وفى الرقاب » وفى قوله « فظلت أعناقهم لها خاضعين » فإن هذه الأفعال لا تختص بالرقاب بل تعم الأجساد وكذلك ما أشبهه

(الحادى عشر) التعبير باليدين عن الجملة وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى
 « ذلك بما قدمت يداك » (الثانى عشر) التعبير باليمين عن الجملة . ومنه قوله تعالى
 « لاخذنا منه باليمين » (الثالث عشر) التعبير بالمضد عن الجملة فى قوله تعالى « سنشد
 عضدك باخيك » (الرابع عشر) التعبير بالأصابع عن الكف والارجل كقوله
 تعالى « فاضربوا منهم فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (الخامس عشر)
 التعبير بالوجه عن الجسد . ومنه قوله عز وجل « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة »
 ومنه قوله تعالى « وجوه يومئذ عاملة ناصبة تصلى نارا حامية » عبر بالوجوه عن
 الأجساد لان العمل والنصب صفتان للأجساد (السادس عشر) التعبير بالمسجد الحرام
 عن الحرم كله فى قوله تعالى « انما المشركون نجس » فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
 عامهم هذا . (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره فلا يقربوا حرم المسجد
 الحرام (السابع عشر) التعبير بمكة عن الحرم كله فى قوله عليه الصلاة والسلام ان الله
 حرم مكة يوم خلق السموات والأرض لا يُفترُ صيدها ولا بعض شجرها . ومعلوم أن البلدة
 نفسه لا صيد فيه مباح ولا شجر أيضاً (وأما) قوله تعالى « ثم محابها » فانه تجوز
 بالبيت العتيق عن الحرم كله إذ لا يجوز النحر فيما اتصل بالبيت من المسجد المحيط
 (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره ثم محابها الى حرم البيت العتيق

- القسم السابع -

اطلاق اسم الكل على البعض وهو أحد عشر قدماً

(الأول) قوله تعالى « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » ومعلوم انه لم ير جلتهم وانما
 دائر وجوههم وما يبدأ منهم (الثانى) قوله تعالى « فأجلدوهم ثمانين جلدة » (الثالث)
 قوله تعالى « فامسحوا برؤوسكم » على قول من قال استيعاب مسح الرأس ليس بواجب
 (الرابع) قوله تعالى « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » وانما جعلوا بعض أناملهم (الخامس)

قوله تعالى « ادخلوا مصر » ومعلوم أنهم لم يستوعبوا (السادس) قولهم « خرجت من المسجد » ومثله في القرآن كثير (السابع) وصف البعض بوصف الكل وهو في قوله تعالى « يعلم خائمة الأعين » (الثامن) قوله تعالى « لنسفعن بالنّاصية ناصية كاذبة خاطئة » الخطأ صفة لكل فوصفت به الناصية (وأما) قوله - كاذبة - قال كاذب على الحقيقة هو اللسان ونسبة الكذب الى الانسان من مجاز وصفه بصفة بعضه وتجوز عن هذا المجاز بان وصفت به الناصية فيكون مجازاً عن مجاز (التاسع) نسبة الظن الى الوجوه في قوله تعالى « تظن أن يفعل بها فاقرة » فان الظن وصف للقلوب على الحقيقة ويضاف الى الأجساد على التجوز فيكون مجازاً عن مجاز (العاشر) وصف الوجوه بالخشوع فان محل الخشوع القلوب ثم توصف به الجملة ثم توصف الوجوه بصفة الجملة (الحادي عشر) وصفها بالرضى في قوله تعالى « لسعيها راضية » وصف لها بصفة القلوب وهذا كله من مجاز القلوب

- القسم الثامن -

في التجوز بوصف الكل بصفة البعض وهو أربعة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى « انا منكم ورجاؤن » والوجل الخوف ومحله القلب ويدل عليه قوله تعالى « وبشر المحبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » (الثاني) قوله تعالى « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً » والرعب انما يملأ القلوب فنسب الى الأجساد ووصف القلوب بالامتلاء مجازاً أيضاً (الثالث) قولك زيد عالم وجاهل وراغب وخائف وآمن ومتفكر وشاك ومتذكر وعاقل ولين وقاس وقانع فهذه كلها من أوصاف القلوب وقد وصفت بها الجملة (الرابع) قوله تعالى « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون بشيراً ونذيراً » وصف القرآن بالبشارة والنذارة وكلاهما بعض من أبعاضه لاشتراكه على الأمر والنهي والحدود والحلال والحرام وسائر الأحكام ونسبة البشارة والنذارة اليه مجازية أيضاً

— القسم التاسع —

اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه وهو قسبان

(الأول) قوله تعالى «واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف» معناه
واذا طلقتم النساء فتأربن انقضاء عدّهن وشارفنه فأمسكوهن بمعروف (الثاني) قوله
تعالى «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً» معناه والذين يقاربون الوفاة وترك
الأزواج ويشارفونها . . . وكذلك ما أشبهه



— القسم العاشر —

اطلاق اسم الشيء على ما كان عليه وهو قسبان

(الأول) من ذلك قوله تعالى «وآتوا اليتامى أموالهم» معناه الذين كانوا يتامى إذ
لا يتم بعد البلوغ (الثاني) قوله تعالى «ولا تعضلوهم أن ينكحن أزواجهن» معناه
الذين كانوا أزواجهن لأنها زلت في معقل بن يسار وأخته لما حلف أنه لا يزوجه
من زوجها عبدالله بن رواحة

— القسم الحادى عشر —

اطلاق اسم الشيء بما يؤل اليه وهو قسبان

(الأول) من ذلك قوله تعالى «كتب عليكم القصاص فى القتلى» أى فىمن يقتل
من القتلى (الثاني) قوله تعالى «انى أرانى أعصر خمرآ» أى أعصر عنبآ . . . ومن
ذلك قوله تعالى «ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً»

— القسم الثاني عشر —

اطلاق اسم المتوهم على الحق وهو خمسة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «يرونهم مثلهم رأى العين» أى فى ظنكم وحسبانكم
(والثانى) قوله تعالى «وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون» أى فى ظن الناظر اليهم
وحسابه (الثالث) قوله تعالى «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» ولم
يضر كالعرجون القديم الا فى الحسبان والظن ورأى العين . . وكذلك تقديره منازل انما
هى منازل من رأى العين فان القمر فى الفلك الأول والمنازل فى الفلك الثامن ولا يتصور
نزوله فى شئ منها وانما يقع ذلك فى نظر الناظرين وحسبان الظانين (الرابع) قوله
تعالى «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون»
أى يسبحون فى رأى العين فان الناظر الى الفلك يعتقد سالكاً والكواكب جارية
فيه وليس كذلك (الخامس) قوله تعالى «فكان قاب قوسين أو أدنى» أى كان قاب
قوسين أو أدنى فى ظن رائييه وحسابه

— القسم الثالث عشر —

اطلاق اسم الشئ على الشئ الذى يظنه
المعتقد والأمر على خلافه وهو ستة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً» ذكر
ذلك بالنسبة الى ظنهم وزعمهم إذ ليس له ضد ولا نقيض (الثانى) قوله تعالى «أين شركائى»
وليس هذا اثباتاً للشركاء بل هو يتنزل على قول الخصم معناه أين شركائى بزعمكم وقوله
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه «من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته لشركي» معناه
تركتك لشركي بزعمه (الثالث) قوله تعالى «ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون»

لم يقرّ فرعون برسالة موسى عليه السلام بل المعنى بزعمه أنه رسول (الرابع) قوله عز وجل « يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون » ليس هذا إقراراً بتنزيل الذكر وإنما المعنى يا أيها الذي نزل عليه الذكر بزعمه (الخامس) قوله تعالى (١)

❦ القسم الرابع عشر ❦

التضمن وهو أن يُضمن اسماً معنى اسم لافادة معنى الاسمين
تعديه تعديته في بعض المواطن وهو أربعة أقسام

(الأول) قوله تعالى « حقيقٌ علىّ أن لا أقول على الله إلا الحق » ضمن حقيقاً معنى حريص ليفيد أنه محقق بقول الحق وحريص عليه (الثاني) من التضمن أيضاً أن تُضمن فعلاً معنى فعل آخر لافادة معنى الفعلين وتعديه أيضاً تعديته في بعض المواطن وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « لا تُشركْ بي شيئاً » ضمن لا تشرك معنى لا تعدل والعدل التسوية أي لا تسوى بالله شيئاً في العبادة والحجة فانهم عبدوا الأصنام كهبادة الله وحجّوها كحب الله ولذلك قال الذين في النار « تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويناكم ربّ العالمين » وما سوّوهم به الا في العبادة والحجة دون أوصاف الكمال ونفوت الجمال والجلال (الثالث) قوله عز وجل « إن كادَتْ تُنبِئني به لولا أن ربّطنا على قلبها » ضمن لتنبئني به معنى لتخبر به أو لتعلم ليفيد الاظهار معنى الاخبار لأن الخبر قد يقع سرّاً غير ظاهر (الرابع) قوله تعالى « عينا يشرب بها عباد الله » ضمن يشرب معنى يروي أو معنى يلتذ ليفيد الشرب والرى أو الشرب والالتذاذ جميعاً

القسم الخامس عشر

في مجاز الزوم وهو ثمانية تحت كل قسم أقسام قد بينها فيه

(الأول) التعبير بالاذن عن المشيئة لأن الغالب أن الاذن في الشيء لا يقع الا بمشيئة الاذن واختياره الملازمة الغالبة مصححة للمجاز . ومن ذلك قوله تعالى « وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله » أى إلا بمشيئة الله . ويجوز أن يراد في هذا بالاذن أمر التكوين والمعنى وما كان لنفس أن تموت الا بقول الله موتى . ونظيره « فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » خذف تقديره فقال لهم الله موتوا فاتوا لدلالة قوله - ثم أحياهم - عليه . ومثله « وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله » ومنه « وأبرئ الأكمة والأبرص وأحي الموتى باذن الله » أى بمشيئة الله أو بأمر التكوين فان ملازمة المشيئة للأمر غالباً كملازمة مشيئة المريد غالباً (الثاني) التعبير بالاذن عن التيسير والتسهيل وهو في قوله تعالى « والله يدعوك الى الجنة والمغفرة باذنه » أى بتسهيله . وتيسيره اذ لا يحسن أن يقال دعوته باذنى ولا قت وقعت باذنى هذا قول الزمخشري . ويجوز أن يراد بالاذن ههنا الأمر أى يدعوكم الى الجنة والمغفرة بأمره (الثالث) تسمية المسافر بابن السبيل . وذلك في قوله تعالى « وابن السبيل » للملازمة السبيل وهو الطريق كما يلزم الولد أمه . ومنه قيل للطير ابن الماء للملازمة للماء (الرابع) نفي الشيء لانقضاء ثمرته وفائدته للزومها عنه غالباً في مثل قوله تعالى « كيف يكون للمشركون عهد » أى وفاء عهد وإتمام عهد فنفي العهد لانقضاء ثمرته وهو الوفاء والاتمام . ومنه قوله تعالى « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفرانهم لا أيمان لهم » نفي الايمان بعد اثباتها لانقضاء ثمرتها وفائدتها وهو البر والوفاء . ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره انهم لا وفاء أيمان لهم (الخامس) اطلاق اسم الرب على الشك للملازمة الشك القلق والاضطراب فان حقيقة الريب قلق النفس بدليل قوله « نترصد بكم ريب المنون » أى مقلقات الدهور . وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الظبي الحاقف لا يريبه أحد وقوله صلى الله عليه وسلم ان فاطمة بضعة

منى يريبنى ما يري بها . . . ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى
* أَمِنَ النُّونَ وَرَبَّيْهَا تَوَجَّعُ *

(السادس) التعبير بالمسافة عن الزنا لان السفح صب المني وهو ملازم للجماع غالباً لكنه خص بالزنا إذ لا غرض فيه سوى صب المني بخلاف النكاح فان مقصوده الولد والتعاضد والتناصر بالأختان والأصهار والاولاد والأحفاد . ومثاله قوله تعالى «محصنين غير مسافحين» أى غير مزانين . وقوله تعالى «محصنات غير مسافحات» أى غير مزانيات (السابع) اطلاق اسم المحل على الحال فيه لما بينهما من الملازمة الغالبة كالتعبير باليد عن القدرة والاستيلاء وبالعين عن الادراك وبالصدر عن القلب وبالقلب عن العقل وبالفواه عن الألسن وبالألسن عن اللغات وبالقرية عن قاطنيتها وبالساحة عن نازلها وبالنادى والندى عن أهلها وبالعائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان لانهم كانوا فى الغالب يقضون الحاجة فى الأما كن المنخفضة تسترا عن الناس (أما) التعبير باليد عن القدرة فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى «يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى» وقوله تعالى «تبارك الذى بيده الملك» وأما التعبير بالعين عن الادراك فهو فى قوله تعالى «أم لهم أعين يُبصرون بها» أى يبصرون بادراكها أو بنورها (وأما) التعبير بالصدر عن القلب فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى «فلا يكن فى صدرك حرج منه» أى فى قلبك . ومنه قوله تعالى «وما تحفى صدورهم أكبر» (وأما) بالقلب عن العقل فهو فى القرآن فى موضعين . أحدهما قوله تعالى «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب» والثانى فى قوله تعالى «لهم قلوب لا يفقهون بها» أى لهم عقول لا يفقهون بها . . . ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره لهم قلوب لا يفقهون بعقولها كما فى قوله «ولهم آذان لا يسمعون بها» أى لا يسمعون بأسماعها أو بادراكها (وأما) التعبير بالفواه عن الألسن فهو فى قوله تعالى «من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» أى بألسنتهم لان القول انما يكون باللسان ومنه قوله تعالى «يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم» (وأما) التعبير بالألسن عن اللغات فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى «فانما يسرناه بلسانك» أى بلفتك ومنه . قوله

تعالى « بلسان عربي مبين » أى بكلام عربي مبين (وأما) التعبير بالساحة عن نازلها
ففى قوله تعالى « فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » معناه فاذا نزل بهم (وأما)
التعبير بالقرية عن قاطنيتها فى قوله تعالى « واسئل القرية التى كنا فيها » (وأما)
التعبير بالنادى عن أهله فى قوله تعالى « فليدع ناديه » (وأما) التعبير بالندى عن
أهله فى قوله « أى الفريقين خيرٌ مقاماً وأحسنُ ندياً » أى أحسن أهل مجلس
(وأما) التعبير بالغائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان فى قوله تعالى
« وأجاء أحدكم من الغائط » . ومن مجاز الملازمة وهو التعبير بالارادة عن المقاربة لان
من أراد شيئاً قربت مواقمته إياه غالباً وهو فى قوله تعالى « فوجدنا فيها جداراً
يريد أن ينقض فأقامه » أى قارب الانقضاء . ومنه قول الشاعر

يُرِيدُ الرَّمَحُ صَدْرَ أَبِي رِيَّاحٍ وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ

(ومنه) التعبير بترك الكلام عن الغضب لان الهجران وترك الكلام يلزمان الغضب
غالباً وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « ولا يكلمهم الله يوم
القيامة ولا يذكهم » والآخر قوله تعالى « ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة »
(ومنه) التجوز بالاياس عن العلم لان الاياس من نقبض المعلوم ملازم للعلم غير
منقلب عنه . من ذلك قوله تعالى « أفلم يئأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس
جميعاً » (ومنه) التعبير بالدخول عن الوطء لان الغالب من الرجل اذا دخل
بامراته انه يطأها ليلة عرسها . ومثاله قوله تعالى « وربائبكم اللاتي فى حجوركم من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » ومنه وصف
الزمان بصفة ما يشغل عليه ويقع فيه وهو فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى
« فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ » وصفه بالعسر والعسر صفةٌ للأحوال الواقعة فى ذلك اليوم
ومنه قوله تعالى « فياخذكم عذابٌ يومٍ عظيمٌ » وصف اليوم بالعظم وهو صفةٌ للعذاب
الواقع فيه . وأما قوله تعالى « فياخذكم عذاب يوم عقيم » فانه مجاز تشبيه شبه اليوم فى
انقطاع خيره بانقطاع ولادة المقيم . ومنه قوله تعالى « وقال هذا يومٌ عَصِيبٌ »
وصفه بكونه عصيباً وهو صفةٌ للشر الذى يقع فيه

القسم السادس عشر

التجوز بالمجاز عن المجاز

وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة الى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثاني بعلاقة بينه وبين الثاني . مثال ذلك قوله تعالى « ولكن لا تواعدوهن سرّاً » فانه مجاز عن مجاز فان الوطاء تجوز عنه بالسر لانه لا يقع غالباً الا في السر فلما لازم السر في الغالب سمي سرّاً وتجوز بالسر عن العقد لانه سبب فيه فالمصحح للمجاز الأول الملازمة والمصحح للمجاز الثاني التعبير باسم المسبب الذي هو السر عن العقد الذي هو سبب كما سمي عقد النكاح نكاحاً لكونه سبباً في النكاح وكذلك سمي العقد سرّاً لانه سبب في السر الذي هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح فعني قوله - ولكن لا تواعدوهن سرّاً - لا تواعدوهن عقد نكاح وكذلك قوله « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله » قال مجاهد « ومن يكفر بلا إله الا الله فقد حبط عمله فان حمل قوله على ظاهره كان هذا من مجاز المجاز لأن قول لا إله الا الله مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والتعبير بلا إله الا الله عن الوحدةانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه والأول من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان

القسم السابع عشر

التجوز في الاسماء وهو على سبعة أقسام

(الأول) اطلاق اسم الأسد على الشجاع (الثاني) التجوز بالبحر عن الجواد (الثالث) اطلاق اسم الفوز والحياة على الايمان والعرفان (الرابع) اطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل والضلال (الخامس) اطلاق اسم السراج والنور على الهادي (السادس) اطلاق اسم الخطب على النجمة بآثارها نار الحقد والغضب (السابع) اطلاق اسم الانسان على تمثاله وكذلك الحيوان والبلدان وقد تقدم جميع أمثلة ذلك إلا الخطب المعبر به عن النجمة فانه في قوله تعالى « حمالة الخطب »

﴿ القسم الثامن عشر ﴾

التجوز في الافعال وهو على عشرة أقسام ونحت كل قسم منها أقسام

(الأول) التجوز بالماضي عن المستقبل تشبيهاً له في التحقيق والعرب تفعل ذلك المفائدة وهو أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغ وأكثر وأعظم موقعاً وأنغم بياناً لان الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان وجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها • ومنه قوله تعالى « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله وكل أتوه داخرين » فانه انما قال - ففزع - بلفظ الماضي بعد قوله - يُنفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل بكونه مقطوعاً به • ومن هذا الجنس قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وانما جاء به بلفظ الماضي لان ما أخبر الله به لصدقه وصحته فانه قد كان ووجد • ومثل ذلك قوله عزاسمه « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » فأتى هاهنا بمعنى يأتي وإنما حسن فيه لفظ الماضي لصدق إثبات الأمر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة أتى ومضى • وكذلك قوله تعالى « ويوم نُسيرُ الجبال وترى الارضَ بارزةً وحشرناهم فلم نُغادر منهم أحداً » فانه انما قال - وحشرناهم - ماضياً بعد - نُسير - وترى - وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاحوال كانه قال وحشرناهم قبل ذلك وهو في القرآن العظيم كثير • قال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام في كتابه المعروف بالحجاز أكثر ما يكون هذا في الشروط وأجوبتها وقد يجيء في غيرها • مثاله في غير الشرط قوله تعالى « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأئمي إلهين من دون الله » ومنه « ونادى أصحاب الاعراف » ومنه « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار » ومنه « ونادوا يامالك » ومنه « وقال قرينه هذا ما لدي »

عَتِيدٌ» ومنه «وقالوا الجلودهم» . ومنه «إنا أعتدنا للظالمين نارا» . ومنه «وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا» وأمثاله فى القرآن كثيرٌ (وأما) مثاله فى الشرط فقوله تعالى « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » معناه وإن تكونوا فى ريب . ومنه « وإن تبتم فهو خيرٌ لكم » معناه وإن تتوبوا فهو خيرٌ لكم . ومنه «فإن كنت فى شك مما نزلنا إليك » معناه فإن شك فى شك . ومنه « إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا » معناه إن تكونوا مؤمنين بالله فعليه توكلوا (وأما) فى جواب الشرط فقوله تعالى « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة » . ومنه « ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون » قال الخليل معناه ليظن . ومنه « وإن عدتم عدنا » معناه وإن تعودوا إلى قتال محمد عدنا إلى نصره والشرط لا يكون إلا مستقبلا والمرتب على المستقبل مستقبلٌ لاحالة وهذا من مجاز التشبيه شبه المستقبل فى الحقيقة وثبوته بالماضى الذى دخل فى الوجود بحيث لا يمكن رفعه (الذنى) التعبير بالمستقبل عن الماضى وهو فى القرآن العظيم كثيرٌ من ذلك قوله تعالى « واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان » . ومنه « فريقا كذبتهم وفريقا تقتلون » معناه وفريقا قتلتم . . . ويجوز أن يكون القول فى هاتين الآيتين حكاية حال ماضية مثله فى قوله تعالى « تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا » وكما فى قوله تعالى « ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل » . ومنه قوله تعالى « وكانوا يصرون على الحنث العظيم » ومنه « وقد كانوا يدعون إلى السجود » ومنه « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه » معناه وإذ قالت وهو فى القرآن كثيرٌ (وأما) قصدت العرب بالأخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل لأن الأخبار بالفعل المضارع إذا أتى به فى حالة الأخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الأخبار بالفعل الماضى وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى والفرق بينه وبين القسم الذى قبله هو أن الفعل الماضى يخبر به عن المضارع إذا كان الفعل المضارع من الأشياء الهائلة التى لم توجد والأمور المتعاطفة التى لم تحدث فتجعل عند ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع إذا أخبر به عن الماضى فإن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه

يعاينها ويشاهدها (الثالث) التجوز بلفظ الخبر عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى « والوالداتُ يرضعنَ أولادهنَّ حولين كاملين » ومنه قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » . ومنه قوله تعالى « تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ولذلك أوجب بالجزم في قوله « يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جناتٍ » ولا يصح أن يكون جواباً للاستفهام في قوله - هل أدلكم - لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتب على مجرد الدلالة وهذا من مجاز التشبيه شبه الطلب في تأكيده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه وإذا شبه بالخبر الماضي كان تأكيداً وكذلك الدعاء والأمر والنهي بالخبر الماضي إذا أريد تأكيد ما عبر عنها بالخبر المستقبل فإن بالغت في التأكيد تجوزت عنها بالخبر الماضي (الرابع) التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » معناه اللهم أغفر لهم. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد. ومن ذلك تشييت العاطس يرحمك الله وفي إجابته يهديكم الله ويصالح بالكم. المعنى اللهم ارحمهم اللهم اهدهم (الخامس) التجوز بلفظ الخبر عن النهي وهو في القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى « وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله » معناه ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله. ومنه قوله تعالى « لا تعبدون إلا الله » معناه لا تعبدوا إلا الله. ومنه قوله تعالى « لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » (السادس) التجوز بلفظ الأمر عن الخبر تأكيداً للخبر لأن الأمر للإيجاب فيشبه الخبر به في الإيجاب وهو في القرآن في موضعين قوله تعالى « قل من كان في الضلالة فامدده الرحمن مداً » تقديره قل من كان في الضلالة يمد له الرحمن مداً أو مد له الرحمن مداً. الثاني « اتبعوا سبيلنا ونحمل خطاياكم » (السابع) التجوز بجواب الشرط عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » معناه عند الجمهور فليغلبوا مائتين. ومنه « وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً » معناه فليغلبوا ألفاً

ومنه « فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين » معناه فليغلبوا مائتين « وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » معناه فليغلبوا ألفين والمراد به التأكيد لانه خبر تجوز به عن الطلب (الثامن) التجوز بلفظ النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى وانما المراد بها ما يقاربهها أو يلازمها أو تكون مسببة عنه وهو فى القرآن العظيم كثير . فمن ذلك قوله تعالى « وَذَرُوا الْبَيْعَ » نهى عن البيع فى اللفظ وهو مباح وأراد ما يلزم عنه من ترك الواجب . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » النهى عن الموت نفسه لايصح لانه ينافى التكليف لكنه تجوز به عما يقارنه من الكفر فكأنه قال ولا تكفروا عند موتكم . ومنه « قولهم لا أرىك هاهنا » معناه لا تحضرن فأراك فتجوز برؤيته عن سببها وهو الحضور . ومنه نهيه صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع الأخ ليس النهى عن نفس البيع لأنه مجتمع بشرائط الصحة انما النهى عن أذية الأخ المقترنة بالبيع . ومنه النهى عن الخطبة على خطبة الأخ ليس النهى عن الخطبة نفسها وانما النهى عما يلزمها من تأذى الخاطب (التاسع) التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه والمراد به من يصح نهيه وهو فى القرآن كثير . فنه قوله تعالى « وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » النهى فى اللفظ للعينين والمراد بذلك ذو العينين أى لا تنظر الى غيرهم . ومنه « لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى لذوى الأموال والأولاد . ومنه « لا يفرنك قلب الذين كفروا فى البلاد » النهى فى اللفظ للقلب والمراد به النهى عن الاعتزاز بالقلب . ومنه قوله « فَلَا تَفْرَحْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا » النهى فى اللفظ للحياة الدنيا والمراد به نهى المخاطبين عن الاعتزاز بها . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى نهى المخاطبين عن الإعجاب بهما . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فى دِينِ اللَّهِ » النهى للرأفة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى . ومنه قوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » النهى لضمير الفتنة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى لا تعرضن لأصابة الفتنة إياكم لسبب تقريرها وترك تكبرها والتقدير واتقوا تقدير فتنة لا تصيبن عقوبتها أو شؤمها أو وبالها الذين ظلموا

منكم خاصة (العاشر) التجوز ينهى من يصح نهيهِ والنهي في الحقيقة غيره وهو في القرآن العظيم كثير . منه قوله تعالى « وَلَا يَصِدَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ » معناه ولا تصدن عن آيات الله بسبب صدهم إياك . ومنه « فَلَا يَصِدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا » معناه فلا تصدن عنها . ومنه قوله تعالى « وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ » معناه ولا تخفن

القسم التاسع عشر

التجوز بالحروف بعضها عن بعض وهو عشرة أقسام

(الاول) - هل - يتجوز بها عن الأمر والنهي والتقدير وهو في القرآن العظيم كثير . . أما التجوز بها عن الأمر ففي مواضع منها قوله تعالى « فهل أنتم مسلمون » معناه أسلموا . ومنه قوله تعالى « فهل أنتم مُنْتَهَوْنَ » معناه فأنتموها . . أما التجوز بها في النفي فهو في مواضع منها قوله تعالى « فهل ترى لهم من باقية » وقوله تعالى « فهل يهلك إلا القومُ الفاسقون » معناه فما ترى لهم من باقية فلا يهلك إلا القوم الفاسقون . وقوله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » معناه ما ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلال . ومثل هذا في القرآن كثير . وأما قوله تعالى « هل من مزيد » فقبل انه نفي الاستزادة معناه لا مزيد في وقيل انه طلب لها معناه زدني . . وأما التجوز بها في التقرير فهو في القرآن العظيم في آيتين . احدهما قوله تعالى « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » الثانية في قوله تعالى « هل لكم مما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ من شركاء فيما رزقناكم » (الثاني) - همزة الاستفهام - ويتجوز بها عن النفي وعن الأمر والایجاب والتقرير والتوبيخ . . أما التجوز بها عن النفي ففي القرآن العظيم منه كثير . من ذلك قوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » معناه لست مكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تَقْذُرُ مِنَ الْنَارِ » معناه لست منقذ من النار . وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى » معناه لست مسمع

الأصم ولا هادى الأعمى ومثله فى القرآن كثير . . . وأما التجوز بها فى الإيجاب فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أليس الله بكاف عبده » معناه الوعد بكفاية العباد . وقوله « أليس الله بعزير ذى انتقام » وقوله تعالى « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » . . . ومنها قول جرير

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحَ

وقول الآخر

أَلَسْتُ أَرَى النِّجْمَ الَّذِى هُوَ طَالِعٌ عَلَيْهَا وَهَذَا لِلْمُحِبِّينَ نَافِعٌ

وأما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وقوله تعالى « أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ » وقوله تعالى « أَلَمْ تَكُنْ مِنْ حَرِّمِ أُمِّ الْيَتِيمِ » . . . وأما التجوز بها فى التوبيخ فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ » وقوله تعالى « أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » وقوله تعالى « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » وقوله تعالى « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » (الثالث) التجوز - بى - وله حقيقة تتحقق فى قسمين . أحدهما احتواء جرم على جرم كقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » وقوله تعالى « وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » الثانى احتواء جرم على معنى كقوله تعالى « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » وقوله تعالى « وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ » وكقوله « إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِقِيهِ » وأمثاله فى القرآن كثير . . . وأما التجوز بها فهو أنواع . الأول أن يحصل المعنى ظرفاً لتعلقه بمعنى آخر وذلك قوله تعالى « وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وهو طاعته واجتناب معصيته أو القتال فى سبيله ظرفاً لتعلق الجهاد والجهاد قائم بالجهاد . ومن ذلك قوله تعالى « لَا رَيْبَ فِيهِ » ومن ذلك قوله تعالى « وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لِرَيبٍ » فيها « جعل الساعة والكتاب ظرفين لتعلق الريب لأنفس الريب فإن الريب حال فى المرتاب . ومنه قوله تعالى « وَیَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ » أى فى توريثهن جعل التوريث محلاً لتعلق الاستفتاء ثم قال « قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ » أى فى توريثهن فجعل التوريث

محلا لتعلق بيان الفتيا وهو قول المفتي • ومنه قوله تعالى « فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه » جعل الحق محلا لتعلق الاختلاف والاختلاف قائم بالمتخلفين
• ومنه قوله تعالى « فادّارأتم فيها » أى فادّارأتم فى قتلها فجعل القتل محلا لتعلق الدبر
• ومنه قوله تعالى « فذلكن الذى لُمْتُنْنِي فيه » جعل جبه أو مرأوده طرفا لتعلق لومهن
لا لنفس اللوم فان لومهن قائم بهن • • الثانى التجوز بها عن الباء التى للسبب وهى فى
القرآن العظيم كثير • فمن ذلك قوله تعالى « وليس عليكم جُحاحٌ فيما أخطأتم به »
أى بسبب ما أخطأتم • ومنه قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله » أى بسبب نصرة
سبيل • وكذلك الحب فى الله والبغض فى الله أى بسبب تعظيم الله وله نظائر كثيرة
ولما كان المسبب متعلقاً بالسبب فجعل السبب طرفا لتعلق المسبب • • الثالث من التجوز
به وهو أن يجعل الجرم محلا لتعلق المعنى وهو فى القرآن المجيد كثير • من ذلك قوله
تعالى « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » جعل الأجرام محلا لتعلق الفكر
لا لنفس الفكر فان الفكر قائم بالتفكر • ومنه قوله تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله من شئ » جعل السموات والأرض والخلق كلها
محلا لتعلق النظر لا لنفس النظر فان الناظر قائم بالنظر حال فيه • ومنه قوله تعالى
« أو لم يتفكروا فى أنفسهم » (الرابع) من التجوز به أن يجعل المعنى محلا للجرم
وهو عكس الأول فتجوز به عن كثرة ما جعل طرفا مجازاً لما كان الحاوى أعظم من
الحوى شبه به ما توالى أو كثر من المعانى ومنه فى القرآن شئ كثير • من ذلك قوله
تعالى « إنا لنراك فى ضلالٍ مبين » ومنه « صُمُّ بُكْمٌ فى الظلمات » أى صم وبكم فى
الضلالات • ومنه قوله تعالى « فهم فى ربهم يترددون » ومنه قوله تعالى « ألاإنهم
فى مرتبة من لقاء ربهم » وأما قوله تعالى « إن المتقين فى جناتٍ ونعيمٍ » فى جناتٍ ونهرٍ
فى جناتٍ وعيونٍ وفواكه » فمن جمع بين الحقيقة والمجاز جعل - فى - بالنسبة الى
الجنان طرفا حقيقياً وبالنسبة الى العيون والنهر والنعيم طرفا مجازيا ومن لم يجمع بينهما
يقدر ان المتقين فى جنات وفى نعيم وفى عيون وفى نهر فيكون فى الثانية مجازاً محضاً
مبشراً بكثرة النعيم والانهار والعيون والفواكه ويدع الأولي على حقيقتها ولك أن

نجعل الجميع مجازاً على حذف لذات تقديره ان المتقين في لذات جنات ونعيم وفي لذات جنات وعيون وفي لذات جنات ونهر وفي لذات وفواكه أو تقدر ان المتقين في نعيم جنات وعيون وفواكه أو ما أشبهه ولا تقدر مثل هذا في قوله - في جنات ونعيم - اذ يبقى التقدير وفي نعيم نعيم وهو سمج لا يقدر مثله في كتاب الله . وأما قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ » فظاهره عند من جمع بين الحقيقة والمجاز لحكمة فمن يعقل على السجود المعبود وفيما لا يعقل على الاتقياء للقدرة والارادة . وأما قوله تعالى « أَفَى اللَّهِ شَكٌّ » فالتقدير فيه أفى وحدانية الله شك فهو من جعل المعنى ظرفاً للمعلق المعنى . وأما قوله تعالى « وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ » وقوله « كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » فليس الظرف هنا متعلق بجموعه ولا عرض وإنما هذا من مجاز التشبيه عبر بكونه في السماوات والأرض عن علمه بما فيهن لأن من حضر مكاناً لم يخف عليه ما فيه وأما قوله - كل يوم هو في شأن - فهو يشبه « إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ » وكقولهم أنا في شغلك وحاجتك ولا يخفى وجه التشبيه فيه (الخامس) التجوز - بعلی - وحقيقتها استملاء جرم على جرم كقوله تعالى « وَعلى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ » ومنه قوله تعالى « تَلَسَّتُوا على ظُهُورِهِ » وأما مجازها فعلى قسمين . أحدهما التجوز عن الثبوت والاستقرار كقوله تعالى « أُولَئِكَ على هُدًى من ربه » وقوله تعالى « قُلْ إِنِّى على بَيِّنَةٍ من رَّبِّى » وقوله « وَإِنَّا أوْ إِنَّا كَمْ لَعَلِّى هُدًى » ومنه قوله تعالى « وَإِنَّكَ لَمَعلى خَاقٍ عَظِيمٍ » وهذا أيضاً من مجاز التشبيه شبه التمكن من الهدى والأخلاق العظيمة الشريفة والثبوت عليها لمن علا على دابة يصرفها كيف شاء . والثانى أن يجعل المعنى على الجرم تجوزاً كقوله تعالى « رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ » وكقوله « أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ من ربه وَرَحْمَةٌ » والفرض بذلك كثرة الصلاة والرحمة لأن ما علاك وجعلك فقد أحاط بك . وأما قوله تعالى « وَأَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْمَنِّ وَالسَّلَوى » فهو من نزول جرم على جرم ولا بد فيه من حذف تقديره وأنزلنا على أشجاركم أو على محتكم . وأما قوله تعالى « نَخْرُجُ على قومِهِ فى زِينَتِهِ » معناه

نُخرج على نادى قومه أو على محل قومه • ومثله قوله تعالى « اخرجُ عليهم » فعناه اخرج على مجلسهم أو مكانهم • ومثله قوله تعالى « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » معناه كلما دخل مكانها أو محرابها (السادس) - عن - وهى حقيقة فى مجاوزة جرم عن جرم وتعديته عنه ثم يستعمل فى المعانى على طريق التشبيه كقوله تعالى « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » شبه انصراف البصيرة عن تأمل ذكره بانصراف المجاوز عما يجاوز • وكذلك قوله تعالى « فاعرض عنهم » إن حمل على ترك القتال كان المعنى فانصرف عن قتالهم وإن حمل على غيره فعناه تجاوز عن أذيتهم وفى الحديث تجاوز عما تعلم المعنى ترك المؤاخذه لأن المتجاوز عن الشئ تارك له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها (السابع) حرف - من - وهى حقيقة فى ابتداء غاية الأمكنة ويتجاوزها عن ابتداء الغاية فى الأزمنة مثل قوله تعالى « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » فاستعملها غاية فى الأزمنة لشبهها بالامكان وكذلك تجاوزها عن التعليل فى مثل قوله تعالى « بما خطاياهم أغرقوا » أى من أجل خطاياهم أغرقوا لأن ابتداء غاية المعلول صادر عن علة فشبه ذلك بابتداء الغاية بالمكان (الثامن) حرف - ثم - ويستعمل حقيقة فى تراخى الزمان والمكان ثم يتجاوزها فى تراخى بعض الرتب عن بعض بالتباعد المعنوى فشبه التراخى المعنوى بالتراخى الزمانى والمكان وهو فى القرآن العظيم كثير فمن ذلك قوله تعالى « ثم كان من الذين آمنوا » فجاء بـ ثم - للتراخى الذى بين الايمان والعمل الصالح فإن الايمان أفضل من جميع أعمال الانسان فهو مترخ فى الفضل عن فك الرقاب وإطعام السغبان فهو مؤخر فى اللفظ مقدم فى الفضيلة والرتبة على تباعد وتراخ يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل أى الأعمال أفضل قال الايمان بالله قال ثم ماذا قال بر الوالدين قال ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله ويدل أن - ثم - هاهنا لتراخى الرتب لا لتراخى الزمان لأن الايمان شرط فى اعتبار فك الرقاب وإطعام السغبان فلا يجوز أن يتقدم المشروط على شرط

•• ومنه قال الشاعر

* إن من ساد ثم ساد أبوه *

جاء ثم لتراخ بين السؤددين من الفضل • ومنه قوله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » على قول بعضهم قال جئ ثم لتفاوت ما بين نعمة التصوير ونعمة السجود لآدم قال فان اسجد الملائكة له أكمل أحسان وأتم إنعام من التصوير • وقدر بعضهم ولقد خلقنا طينتك ثم صورناكم في ظهر أبيكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • وقال بعضهم نسبة الخلق والتصوير البناء من مجاز نسبة ما يتعلق بالواحد الى جماعة • ومثاله قوله عز وجل « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » نسب المعاهدة الى الجماعة والمراد بها معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومثل قوله تعالى « ألا تتقون قوماً نكثوا أيمانهم » نسب النكث الى الكل وانما نكث بعضهم • ومثله قوله تعالى « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » ولم تقل اليهود كلها ذلك وكذلك النصارى لأن بعضهم قال ذلك وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال هو نالك ثلاثة وقال بعضهم هو عبد الله ورسوله فنسب الى الفريقين ما وجد من بعضهم • ومثاله قول امرئ القيس

* فان تقتلونا تقتلكم *

(وأما) من يقول إن - ثم - تستعمل في تراخي بعض الاخبار عن بعض فلا يستقيم في هذه الآية ولا في قول الشاعر

* إن من سادتم ساد أبوه *

لأننا نعلم أن الله تعالى ما راخى بين الاخبار في قوله - ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم - وكذلك قول الشاعر - إن من سادتم ساد أبوه - يعلم أنه لم يقل - إن من سادتم - وقف زماناً طويلاً متراخياً ثم قال - ساد أبوه - وان استعمالها في تراخي الأخبار بعيد في استعمال العرب لان التراخي الموجود في كلامهم انما يقع في مداولات الألفاظ لا بين أنفس اللفاظ وهذا انما يصح استعماله في مقالات للاخبار فيها تعاقب إن ثبت أنه قول من يعتمد على قوله في هذا الشأن (التاسع) حرف - الباء - قال سيويه هي للالصاق والاختلاط والالصاق أضرب • أحدها حقيق وهو الصاق جرم بجرم كقولك ألصقت القوس بالغراء والخشبة بالجدار • والثاني مجاز الصاق المعنى بجرم

كقولك لطفت بزيد ورأفتُ بعدرو فكأنك ألصقت اللطف والرافة به لتعلقهما به
وكقولك مررت بزيد ولا بد فيه من حذف تقديره مررت بمكان زيد أو بمحل زيد
وهو من مجازات التشبيه كأنك ألصقت المرور بالمكان . الثالث الصاق المعنى بالمعنى
كقوله تعالى « أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ » أى النفس مقتولة بقتل النفس
والعين مفقوءة بفناء العين أنى بالبلاء ليكون المسبب وهو القصاص منسوباً إلى الجناية
نسبة التشبيه وهو جار فى جميع الأسباب (العاشر) حرفان وهما - لعل - وعسى - وهما
مجاز تشبيه أو تسبب وحقيقتهما الترجى والتوقع فالله سبحانه تعالى ونزه أن يوصف
بحقيقتهما بل يصح حملهما على مجاز التشبيه والتسبب . أما مجاز التشبيه فلأن معاملته
بالأمر والنهى والوعد والوعيد مشبه بمعاملة ملك عامل عبيده بذلك على رجاء إجابته
فإن كل من سمع الملك يأمر وينهى ويعد ويوعد يرجو اجابة المأمول واثباته لاسيما اذا
كان ذلك الملك كريماً صدوقاً لا يخلف الميعاد . وأما مجاز التسبب فلأن رجاء الاجابة
وما يترتب عليها من الفلاح مسبب عن لين الخطاب وحسن الترغيب والترهيب فكذلك
أمر الرب ونهيه مع وعده وإيعاده يوجبان لكل من سمعهما خوفاً ورجاءاً لا يوجد
مثلهما فى حق غيره . ويحقق ذلك أن الكلام المنفرد لا يتوقع منه اجابة ولا إنابة
والكلام اللين المرغوب يتوقع كل من سمعه الاجابة والانابة فلذلك قيل لموسى ومرون
عليهما السلام « فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى » لما كان القول اللين سبباً
للتذكر والخشية أمرهما به لتقوم عليه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه . وأما الرجاء
المتعلق بأفعاله فكما فى قوله سبحانه « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » لما ذكر هذه النعم
الجسام التى لا يتصور وجودها من غيره أردفها بقوله - لعلكم تشكرون - من جهة
أن الشكر مرجو من النعم عليه متوقع منه ولا سيما عند هذه النعم لانه عاملهم بهذه
النعم معاملة الراجى كما عاملهم بالفتن معاملة الفاتن فوصفه نفسه بكونه راجياً كوصفه
نفسه بكونه فاتناً وكذلك نظائرهُ

- القسم العشرون -

من أقسام المجاز الاستعارة وهي على أربعة أقسام • وقيل على قسمين
وقيل على سبعة أقسام • وقد بينها في الوجه الثالث من الكلام عليها

اعلم وفقنا الله وإياك أن اللفظ إذا استعمل فيما وُضع له فهو حقيقة • وإن استعمل
في غير ما وُضع له فإن لم يكن لمناسبة بينه وبين ما وُضع له فهو الموكّل^(١) • وإن كان لمناسبة
بينهما فإن حسن فيه أدوات التشبيه فهو مجاز التشبيه وإن لم يحسن فيه اظهار أدوات
التشبيه فهو الاستعارة • • وإذا تقرر هذا فالكلام في الاستعارة على وجوه • الأول
هل هي من أنواع المجاز أم لا • • الثاني في حدها • • الثالث في أقسامها • • الرابع
في اشتقاقها • • الخامس فيما تنهياً به الاستعارة وما لا تنهياً • • السادس في الاستعارة
التخييلية • • السابع في الاستعارة المجردة • • الثامن في الاستعارة المرشحة • • التاسع
في الاستعارة الحسنة • • العاشر في الاستعارة القبيحة • • الحادي عشر في بيان ما يُظن
أنه استعارة وليس باستعارة • • الثاني عشر في الاستعارة بالكناية • • الثالث عشر فيما
تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة (أما الأول) فقد اختار الامام نضر الدين رحمه الله
أن الاستعارة ليست من المجاز لعدم النقل وجمهور علماء هذا الشأن عدوها من المجاز
لاستعمال اللفظ في غير ما وُضع له (وأما الثاني) فقد اختلفت عبارات علماء هذا الشأن
في حدها فقال على بن عيسى الاستعارة استعمال العبارة لغير ما وضعت له في أصل اللغة
وقد أبطل الامام نضر الدين ما قاله ابن عيسى في حد الاستعارة من وجوه أربعة •
الاول أنه يلزم أن يكون كل مجاز لغوي استعارة • الثاني يلزم أن تكون الاعلام المنقولة
من باب المجاز • الثالث استعمال اللفظ في غير معناه للجهل بذلك • الرابع أنه يتناول
الاستعارة التخييلية على ما سيأتي • • وقال قوم الاستعارة جعل الشيء الشيء أو جعل
الشيء لشيء لأجل المبالغة في التشبيه • فالأول كما تقول لقيت أسداً وتعنى الشجاع

(١) كذا في الاصل وكتب بهامشه لعله المنقول فليحذر

فقد جعلت الشجاع أسداً فهذا جعلُ الشيء الشيء • والثاني كقول الشاعر

* إذ أصبحت بيدِ الشمال زمامها *

وسبأني •• وقال المتقدمون من أرباب هذه الصناعة الاستعارة الاستدلال بالشيء المحسوس على المعنى المعقول • وهذا هو أحد أنواع الاستعارة فان الاستعارة على أقسام وسبأني بيانه •• وقال قوم الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح المشبه •• وقال الامام نحر الدين رحمه الله الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه • فقوله - ذكر الشيء باسم غيره - احترازاً عما اذا صرح بذكر المشبه كقولك زيد أسد فانك ما ذكرت زيدا باسم الاسد بل ذكرته باسمه الخاص فلا جرم أن ذلك لم يكن استعارة • وأما قوله - وإثبات ما لغيره له - ذكره لتدخل فيه الاستعارة التخيلية • وقوله - لأجل المبالغة في التشبيه - ذكره لتمييزه عن المجاز (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة في أقسامها فقال قوم أقسامها أربعة • الاول أن يكون المستعار والمستعار منه محسوسين • الثاني أن يكونا معقولين • الثالث أن يكون المستعار معقولا والمستعار منه محسوسا • الرابع أن يكون على العكس •• أما استعارة المحسوس للمحسوس فهي على قسمين أحدهما أن يكون الاشتراك في الذات والاختلاف في الصفات والثاني أن يكون العكس • فنال الاول أن يكونا حقيقتان تتفاوت إحداها في الفضيلة أو النقص والقوة والضعف فينقل اللفظ الموضوع للاكمل في ذلك النوع الى الانقص • مثاله استعارة الطيران للعدو فانهما يشتركان في الحقيقة وهي الحركة المكانية إلا أن الطيران أسرع من العدو فلما تساوى في الحقيقة واختلفا في القوة والضعف في السرعة لاجرم نقلا اسم الكامل في السرعة الى الناقص فيها فسموا العدو طياراً • وقد يقع في هذا الجنس ما يظن أنه مستعار ولا يكون كذلك وذلك اذا كانت جهة الاختلاف خارجة عن مفهوم الاسم كقول بعضهم وفي يدك السيف الذي امتنعت به صفاً الهدى من ان تدرك فتخرقا

فالظاهر ان الخرق حقيقة في الثوب مجاز في الصفة ولكن التحقيق يأباه لان الشق يستعمل في الخرق فيقال شقت الثوب والشق عيب في الثوب وهذه الملاحظة على وجه

الحقيقة فلما قام الشق مقام الخرق وجب ان يقوم الخرق مقام الشق ظاهراً والا لو كان للخرق مفهوم سوى مفهوم الشق لكان لفظ الخرق مشتركاً بينهما وهو خلاف الاصل فثبت أن الخرق والشق لفظان مترادفان ولما كان الشق حقيقة في الصفة كان الخرق المرادف له حقيقة أيضاً فيه . نعم لوقات خرق الحشمة لم يكن من الحقيقة في شيء لانه ليس هناك شق فهذا الطريق عرفنا أن الخرق ليس اسماً للتفرق من حيث انه لاشق هناك كما تقدم خلاف ماتقدم من حيث أن الشق حاصل في الثوب بل هذه الخصوصية خارجة عن مفهوم لفظ الخرق ولما كانت لفظة الخصوصية التي بها تتميز تفرق أجزاء الحجر بعضها من بعض عن تفرق أجزاء الثوب غير داخلية في مفهوم الخرق كان استعمال الخرق في الموضعين حقيقة ولو قدرنا دخول تلك الخصوصية في الخرق كان استعماله في الحجر على طريق الاستعارة فهذا هو القانون في هذا الباب بعد أن لاتضابق في المثال هذا كله اذا كان الاشتراك في الحقيقة والاختلاف في العوارض والصفات . . وأما اذا كان بالعكس وهو أن يكون الاشتراك في الصفات والاختلاف في الحقيقة فمثل قولهم رأيت شمساً ويريدون انساناً يتهلل وجهه كالشمس فيشاركه في الوصف . . وأما القسم الثاني وهو استعارة اسم شيء معقول لشيء معقول وهذا أيضاً انما يكون في أمرين يشتركان في وصف عدمي أو ثبوتي وأحدهما بذلك الوصف أولى وفيه أكل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين إما أن يكونا متعاندين أو لا يكونا كذلك فان تعاندا فاما أن يكون التعاندين بالثبوت أو الانتفاء أو بالتضاد . مثال الاول استعارة اسم المعدم للموجود أو الموجود للمعدم . أما الأول فعند ما لا يحصل من ذلك الموجود فائدة مطلوبة فيكون ذلك الموجود مشاركا للمعدم في عدم الفائدة لكن المعدم بذلك أولى فيستعار لذلك الموجود اسم المعدم . وأما الثاني فعند ما تكون الآثار المطلوبة من الشيء باقية عند عدم الشيء فيكون عند ذلك المعدم مشاركا للموجود بتلك الفوائد لكن الموجود أولى بذلك فيستعار لذلك المعدم اسم الموجود . وأما اذا كان التعاندين بالتضاد حقيقة كان أوظاهراً فمثاله تشبيه الجهال بالأموات لأن المقصود بالحياة الادراك والعقل فاذا عدما فقد عُدمت الآثار المطلوبة من الحياة فتصير تلك الحياة مساوية

للموت في عدم الفائدة المطلوبة والموت أولى بذلك فتنزل الحياة منزلة . ثم الضدان اذا كانا متقابلين الأشد والأضعف في أحد الطرفين اسم الأزيد وفي الطرف الآخر اسم الأنقص . فشرط مساوى التشيينه مثلاً كل من كان أقلّ علماً وأضعف قوة كان أولى أن يستعار له اسم الميت . ولما كان الإدراك أقدم من الفعل في كونه خاصية للإنسان لا جرم كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجمد من الأقل قوة باسم الحياة فلاشرف علماً أولى بذلك لقوله تعالى «أو من كان ميتاً فأحييناه» هذا اذا كانا متقابلين أما اذا لم يكونا كذلك وهو أن يكوناه وجودين يشتركان في وصف معقول إلا أن ذلك الوصف لأحدهما أولى فيتنزل الناقص منزلة الكامل مثل قولهم فلان لقي الموت اذا كان لقي شيئاً من الشدائد لانها مشاركة للموت في الكراهية لكن الموت أولى بها فتتنزل تلك الشدائد منزلة الموت لاشرتها في المكروهية وعلى هذا قوله تعالى « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » (وأما الثالث) فهو أن يستعار للمعقول اسم المحسوس وهو كاستعارة الحجة للنور الذى هو محسوس بالبصر واستعارة العدل للقسطاس المدرك بحاسة العين (وأما الرابع) فهو استعارة اسم المعقول للمحسوس وهو غير جائز إلا على التأويل الذى نذكره في باب التشبيه إن شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾

وهذه جملة مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارة وصنوفها نذكرها مفصلة مبينة على حكم ما تقدم من الاقسام الأربعة إذ الغرض من هذا الكتاب معرفة ما تضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعيون الفصاحة وأجناس التجنيس . أما ما جاء في الكتاب العزيز من استعارة المحسوس للمحسوس فأيات كثيرة . منها قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » إذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط ولكنه في الناري أقوى . وفي هذه الآية ثلاث فوائد أخر غير الاستعارة (الفائدة الأولى) أنه سلك في الآية طريق ما أسند فيه الشيء إلى الشيء وهو لشيء آخر لما بينه وبين الأول من التعلق فيرفع ذكر ما أسند اليه

ويؤتى بالذى الفعل له فى المعنى منصوباً بعده مبيناً أن ذلك الأسناد الى ذلك الأول
انما كان من أجل هذا (الفائدة الثانية) بيان ما بينهما من الاتصال كقولهم طاب
زيد نفساً وتصيب عرقاً وأشباههما فيما تجدد الفعل فيه منقولا عن الشيء الى ما ذلك
الشيء من سببه فاننا نعلم أن الاشتعال للشيب فى المعنى وهو للرأس فى اللفظ كما أن
طاب للنفس وتصيب للعرق وإن أسند الى ما أسند اليه والدليل على أن شرف هذه
الآية بسبب ذلك أننا لو تركنا هذا الطريق وأسندنا الفعل الى الشيب صريحاً فقلنا
اشتعل شيب الرأس أو الشيب فى الرأس لانتفا ذلك الحسن . فان قلت فما السبب فى
أن كان اشتعل اذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل . فنقول السبب
فيه أن يفيد مع لمعان الشيب فى الرأس أنه شمل وشاع وأخذ به من نواحيه وعم بجملته
حتى لم يبق من السواد شيئاً الا القليل فهذه الفائدة لا تحصل اذا قيل اشتعل الشيب
فى الناس لا يوجب اللفظ أكثر من ظهور الشيب فيه . بيانه أنك تقول اشتعل النار
فى البيت فلا يفيد أكثر من اصابتها جانباً . ومثاله من التنزيل قوله تعالى . وفجرنا
الارض عيوناً » فالتفجير للعيون فى المعنى لكنه وقع فى اللفظ على الارض ليفيد
أن الارض بالكلية صارت عيوناً (الفائدة الثالثة) تعدية الرأس بالالف واللام
وإفادة معنى الاضافة من غير الاضافة وهو أحد ما أوجب المزية ولو قيل واشتعل
رأس لذهب الحسن . . ومن هذا الباب قوله تعالى « وتركنا بعضهم يمجج فى
بعض » أصل الموج حركة الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة . وقوله
عز وجل « والصبح اذا تنفس » للظهور . . وأما استعارة المحسوس للمحسوس
لشبه عقلى فكقوله تعالى « اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » المستعار له الريح
والمستعار منه المرأة العقيم والجامع بينهما المنع من ظهور النتيجة . ومنه قوله تعالى
« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل
والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلده والجامع أمر عقلى وهو ترتيب أحدهما على
الآخر . ومنه قوله تعالى « فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالامس » أصل الحصيد
للتبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلى . وقوله « خامدين » أصل الجود للنار . ومنه

قوله تعالى « وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ » وهو أفصح من أن يقال في أصل الكتاب .. وأما استعاره المحسوس للمعقول فكقوله تعالى « بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ » فالنقذف والدمغ مستعاران . ومنه قوله تعالى « صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أُنِيبُوا يُقْبَلُوا وَلَا يَجِدْ مِنْ اللَّهِ وَحِيلَ مِنَ النَّاسِ » . ومنه قوله تعالى « فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِمْ » . ومنه قوله تعالى « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ » وكل خوض دمه الله في القرآن فلفظه مستعار من الخوض في الماء . ومنه قوله تعالى « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » استعارة لبيانها عما أوحى إليه لظهور ما في الزجاجة عند انصداعها . ومنه قوله تعالى « أَفَنُؤَسِّسُ بَنِيانَهُ » البنيان مستعار وأصله للحيطان . ومنه قوله تعالى « وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا » الموج مستعار . ومنه قوله تعالى « لَنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » وكل ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار . ومنه قوله تعالى « فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا » . ومنه قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ » الوادي مستعار وكذلك الهيمان وهو على غاية الافصح . ومنه قوله تعالى « قَالُوا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » جعل للسموات والارض قولاً وطاعة . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ » الآية .. وأما استعاره المعقول للمعقول فنه قوله تعالى « مَنْ يَمْنُنْ مِنْ مَرْقَدِنَا » استعار الزقاة للموت وهما أمران معقولان والجامع عدم ظهور الافعال . ومنه قوله تعالى « وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ » والسكوت والزوال أمران معقولان . وأما استعارة المعقول للمحسوس فنه قوله تعالى « إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَا كُمْ فِي الْجَارِيَةِ » المستعار منه التكبر والمستعار له الماء والجامع الاستعلاء المضر . ومنه قوله تعالى « وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا أَزْوَاجًا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ » والعنو هاهنا مستعار . ومنه قوله تعالى « تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ » فالغيط الغيظ مستعار . ومنه قوله تعالى « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَجَعَلْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُورَةً » وهو أفصح من مضئئة . ومنه قوله تعالى « حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » هذا الذي اختاره الامام خفر الدين ومن قبله من المحققين .. وقال قوم الاستعارة على قسمين . الاول ان يعتمد نفس التشبيه وهو أن يشترك شيئين في وصف واحد أحدهما أنقص من الآخر فيعطى الناقص اسم مبالغة في تحقيق

ذلك الوصف له كقولك رأيت أسداً وأنت تعنى رجلاً شجاعاً وعنت لناظية وأنت تعنى امرأة ونحى الاقسام الاربعة وقد تقدمت . اننى أن تعتمد لوازمه وهو عند ما تكون جهة الاشتراك وصفاً إنما يثبت بكماله فى المستعار منه بواسطة شئ آخر فيثبت ذلك الشئ فى المستعار له بمبالغة فى اثبات المشترك ويسمى استعارة تخيلية كقول لبيد

وغداة ربح قد وزعتُ وقرةً إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
استعار اليد للشمال وليس هناك مشاراً اليه يمكن أن يجرى اسم اليد عليه كما أجرى الأسد على الرجل لكنه خيل الى نفسه أن الغداة فى تصرف الشمال على حكم طبيعتها كالانسان المتصرف فى بعيده وزمامه ومقادته فى يده وتصرف الانسان انما يكمل باليد فأنبت لها اليد تحقيقاً للغرض وحكم الزمام فى الاستعارة للغداة حكم اليد فى استعارتها للشمال . وكذلك قول تأبطشراً يصف سيفاً

إذا هزه فى عظم قرن تهللت نواجذ أفواه المنايا الضوا حك
لما شبه المنايا عند هزه السيف بالمسرور وكال الفرح والسرور انما يظهر بالضحك الذى تهلل فيه النواجذ لاجرم اثبته تحقيقاً للوصف المقصود والا فليس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجذ . وكذلك له فى الحماسة

سقاء الردى سيف اذا سلأ أو مضت اليه ثنايا الموت من كل مرقد
.. ومن ذلك قوله تعالى « وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة » تحقيق هذا الخلاص عن التشبيه فإن من وضع فى نفسه أن كل اسم يستعار فلا بد أن يكون هناك شئ تمكن الإشارة اليه تناوله فى حال المجاز كما يتناوله فى حال الحقيقة . وقال ابن الاثير تقسم الاستعارة الى قسمين . الأول يجب استعماله وهو ما كان بينه وبين ما استعير له تشابه وتناسب ونضرب له أمثلة يستدل بها عليه . فمن ذلك قوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » وهذا الوصف إنما هو على ما يظهر للعين لاعلى حقيقة المعنى لان الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه وإضاءته بغروب الشمس وطلوعها وليس على الحقيقة شيئين ينسلخ أحدهما من الآخر إلا أنهما فى رأى العين كأنهما كذلك - والنسلخ - يكون فى الشئ الملتحم بعضه ببعض فلما كانت

هو ادى الصبح عند طلوعه كالمتحمة باعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ وكان ذلك لائقاً في بابه وهو أولى من قوله يخرج لأن السلخ أدل على الالتحام المتوهم من الإخراج . الثاني ما لا يجب استعماله وسيأتي بيانه . وقال قوم الاستعارة على سبعة أقسام . الأول الاستعارة للمناسبة وهي على أربعة أقسام كما تقدم . الثاني الاستعارة التخيلية وقد تقدم بيانها . الثالث الاستعارة المجردة . الرابع الاستعارة المرشحة . الخامس الاستعارة البديعة . السادس الاستعارة القبيحة . السابع الاستعارة في الكناية وقد بينا متقدماً بعضها وسنبين الباقي إن شاء الله تعالى (الوجه الرابع) من التقسيم الأول في اشتقاقها وهي مشتقة من العارية التي حقيقته في الاجرام ولهذا قال ابن الأثير الاستعارة هي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الافصاح بالتشبيه واطهاره ونحوه على اسم المشبه به فعبر به عن اسم المشبه تجربيه عليه كقولك رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً والسين التي في الاستعارة ليست سين الالتماس والطلب التي هي في قولهم استعان اذا طلب المعونة واستجار اذا طلب الجيرة وانما هي كالتى في قوله تعالى « فاستجاب لهم ربهم » . وكقول الشاعر

* فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

(الوجه الخامس) فيما تصح منه الاستعارة وفيما لا تصح . . قال الامام غفر الدين وجاعة من المحققين إن الاسماء على ثلاثة أقسام . اسماء أعلام . واسماء مشتقة . واسماء أجناس . . فأما الاسماء الأعلام فلا استعارة فيها لأن المشابهة بين الأصل والفرع معتبرة في الاستعارة وهي غير معتبرة في الأعلام . . وأما الاسماء المشتقة فلا استعارة أيضاً لا تدخلها دخولاً أولاً وهل تتحقق في الفعل أم لا . فنقول الفعل شأنه الدلالة على ثبوت المصدر لشيء في زمان معين فلا استعارة تقع أولاً في المصدر بواسطة ذلك في الفعل فاذا قلت نطقت الحال وهذا انما يصح لان الحال مشابهة النطق في الدلالة على الشيء فلا جرم استعير النطق لتلك الحالة فلا استعارة أولاً واقعة على المصدر بواسطة في الفعل فاذا الاستعارة في الحقيقة ليست إلا في المصدر فاذا عرفت ذلك تبين لك أن الاسماء المشتقة أيضاً كذلك فإن الاسم المشتق هو الذى يدل على ثبوت المشتق منه لشيء مع عدم

الدلالة على زمان ذلك الثبوت فظهر منه أن الاستعارة إنما تقع وقوعاً أولياً في أسماء
الاجناس . . . وتلخيص هذا الكلام أن المعنى يستعار أولاً بواسطة استعارة اللفظ وأن
الاستعارة تقع في المصدر ثم بواسطة الفعل واستعارة الفعل أما من جهة فاعله كقولك
نطقت الحال بكذا ولعبت به الهموم وأما من جهة مفعوله كقول ابن المعتز

مُجِيعَ الْحَقِّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْجُوعَ وَأَحْيَا السَّامِحَ

أو من جهة مفعوليه كقول القطامي

نُقْرِيهُمْ لِهَذِهِ مَيَّاتٍ نَقَدْتُ بِهَا مَا كَانَ خَاطِطاً عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرْدَادٍ

أو لكتنهما كقول الحريري

وَأَقْرَى الْمَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ بَيَانًا يَقُودُ الْحُرُونَ الشَّمُوسَا

أو من جهة الفاعل والمفعول كقوله تعالى « يَكَاذُ الْبَرَقُ يُخَظِّفُ أَبْصَارَهُمْ » . . . وقال
ابن الأثير في جامعہ اعلم أن الاستعارة قد جاءت في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً
تقول رأيت ليوناً. ولقيت صبا عن الخير. وأضاء الحق. إلا أنه قد استعمل الضرب الثاني
الذي ذكرناه وهو قولنا - زيد أسد - في باب الاستعارة وأورده جماعة من العلماء مثل
قدامة والجاحظ وأبي هلال العسكري والغامدي وأبي محمد بن سنان الخفاجي في تصنيفاتهم
في باب الاستعارة ولم يذكرنا أن الأصل فيه أنه تشبيه بليغ فما أعلم هل ذلك لخطائه
عليهم أو أنهم عرفوه ولم يذكروه وهو الأصل المقيس عليه في التشبيه الذي أجمع عليه
المحققون من علماء البيان وقد أوردناه نحن في كتابنا هذا في باب الاستعارة تشبيهاً بالقوم
واستناداً بسننهم لأنهم السابقون في هذا الفن بالتصنيف إلا أن موضعه باب التشبيه
فاعرف ذلك (الوجه السادس) الاستعارة التخيلية وقد تقدم الكلام فيها ونزيد
ذلك وضوحاً وهو أن علماء البيان قالوا إن أكثر الآيات التي يمسك بها أهل التشبيه
من هذا فنها قوله تعالى « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ » اثبات الجناح للذل
استعارة تخيلية . . . روى أن أبا تمام لما نظم قوله (هو حبيب بن أوس الطائي)

لَا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ فَانِّي صَبَّ قَدْ اسْتَعَذْتُ مَاءَ بَكَائِي

جاءه رجل بقصعة وقال اعطني قليلاً من ماء الملام فقال أبو تمام لا أعطيكه حتي تأتيني

بريشة من - جناح الذل - فأفحم الرجل • ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « سنفرغ لكم أيها الثقلان » • ومنه قوله تعالى « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً » • ومنه قوله تعالى « إِلَّا أَنْ يَغْفُونََ أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ » • ومنه قوله تعالى « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً » وفي القرآن العظيم من ذلك كثير (الوجه السابع) الاستعارة المجردة وهي أن ننظر الى المستعار من غير نظر الى غيره كقوله تعالى « فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ » وكقول زهير

* لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ مَقْدَفٌ *

لو نظر الى المستعار منه لقال - فكسأهم الله لباس الجوع - ولقال زهير - لدى أسد وافي الخالب، أو وافي البرائن - (الوجه الثامن) الاستعارة المرشحة وهي أن ننظر الى جانب المستعار فتراعى جانبه وتواليه ما يستدعيه وتضم اليه ما يقتضيه مثل قول كثير

* رَمَتْنِي نِسْهَمُ رِيْشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَضُرْ *

وقول النابغة

* وَصَدْرِي أَرَا حَ اللَّيْلِ عَاذِبٌ كَهْمِي *

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والازاحة منظور اليه في لفظي - السهم - والعازب - (الوجه التاسع) الاستعارة البديعة البالغة وهي أن تتضمن المبالغة في التشبيه مع الإيجاز وغالب استعارات الكتاب العزيز كذلك وفي أشعار فصحاء العرب منها كثير (الوجه العاشر) الاستعارة القبيحة وليس في الكتاب العزيز منها شيء وأما في أشعار العرب وغيرهم فكثير • • ومن قبيح الاستعارة قول أبي تمام

سَبْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرِّ نَضِجَتْ أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْغَنَبِ

وهذا البيت ليس فيه وجه من وجوه الحسن وقد روى في غير هذه الرواية - نضجت جلودهم قبل - وعلى هذه الرواية ليس في البيت استعارة قبيحة فان القتلى أنضجت الشمس جلودهم كما نضج التين والغناب • • وكذلك قوله

* أَيَا مَنْ رَمَى قَلْبِي بِسَهْمٍ فَأَدْخَلَا *

أقام - أدخل - مقام أنفذ • وفي رواية - فأقصدا - وفي رواية - فأنفذا - فعلى

من روى فأقصدا وأنفذا فهي استعارة حسنة . . ومما يزيد الاستعارة حسناً وهو أصل في هذا الباب أن يجمع بين عدة من الاستعارات قصداً لالحاق الشكل بالشكل لاتمام التشبيه كقول امرئ القيس في وصف ليل طويل

فقلت له لما تغطى بصفه وأردف أعجازاً وناءً بكلكل

لما جعل ليل صلباً قد تغطى به بين ذلك فجعل له كلكلاً قد ناء به فاستوفى جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من جميع جوانبه (الوجه الحادى عشر) الاستعارة بالكناية وبيان ما تنزل به الاستعارة بالكناية منزلة الحقيقة . . أما الاستعارة بالكناية فهي اذا لم يصرح بذكر المستعار بل بذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه كقول أبى ذؤيب واذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع

فكانه حاول استعارة السبع للنية لكنه لم يصرح بها بل بذكر لوازمها تنبيهاً بها على المقصود (الثانى عشر) ما تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة وهو أن يذكر لفظاً يوهم به أن الاستعارة أصلاً كقول أبى تمام

ويصد حتى يظن الجهو ل بأن له حاجة في السماء

لما استعار العلو لزيادة العلو في الفضل والقدر ذكره ذكر من يذكر علو مكان . . وكقول ابن العميد

قامت تظللنى من الشمس نفس أعز على من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

ومدار هذا النوع على التعجب وقد يجي على عكسه كقوله

لا تعجبوا من بلا غلاله قد زرأ زرارهُ على القمر

وهذا إنما يتم بالحكم الجدوى بكونه قرأ ليكون من شأنه أن يبلى الكتان (الوجه الثالث عشر) شروط الاستعارة الكاملة . . قال ابن الاثير لابد للاستعارة من ثلاثة أشياء . مستعار . ومستعار منه . ومستعار له . فاللفظ المستعار قد نقل من أصل الى فرع اللاباة والمستعار منه والمستعار له لفظان حمل أحدهما على الآخر فى معنى من المعانى هو حقيقى للمحمول عليه مجازى للمحمول . مثال ذلك قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » فهذا

مستعار ومستعار منه ومستعار له فالمستعار هو الاشتعال وقد نقل من الاصل الذى هو النار الى الفرع الذى هو الشيب قصداً للإبانة وأما المستعار منه فهو النار والاشتعال لها حقيقة وأما المستعار له فهو الشيب والاشتعال له مجاز

القسم الحادى والعشرون

التشبيه والكلام عليه من وجوه

الاول هل هو من المجاز أو لا . . . الثانى بيان الغرض بالتشبيه . . . الثالث فى حده . . . الرابع فى معرفة الاشياء التى يكون منها التشبيه . . . الخامس فى أقسامه . . . السادس فى ذكر أدوات التشبيه ما يكون بأداة وما يكون بغير أداة . . . السابع فى تشبيه الشيتين بالشيء الواحد . . . الثامن فى ذكر ما حسن به موقع التشبيه . . . التاسع فى الشرط الذى لا يكون التشبيه حسناً إلا به . . . العاشر فيما يجوز عكسه من التشبيه وما لا يجوز . . . الحادى عشر التشبيه فى الهيئات التى تقع عليها الحركات . . . الثانى عشر الفرق بين الاستعارة والتشبيه (أما الاول) فالذى عليه جمهور أهل هذه الصناعة أن التشبيه من أنواع المجاز وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير اليه . . . وذهب المحققون من متأخري علماء هذه الصناعة وحذاقها الى أن التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعانى وله حروف وألفاظ تدل عليه وضماً كان الكلام حقيقة أو مجازاً فإذا قلت زيد كالاسد . . . وهذا الخبر كالشمس فى الشهرة . . . وله رأى كالسيف فى المضاء . . . لم يكن مثل نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازاً (وأما الثانى) فالغرض بالتشبيه وفائدته الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الایجاز والاختصار والدليل على ذلك قولنا زيد أسد . . . فان الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد وأنه متصف بشهامة النفس وقوة البطش والشجاعة وغير ذلك مما جرى هذا المجرى إلا إننا لم نجد شيئاً يدل عليه سوى جعلناه شبيهاً بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه فصار ما قصدناه من هذا القول أ كشف

وأين من أن لو قلنا زيد شجاع قوى البطش جزئ الجنان وأشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به فانه معروف بها مشهور بكونها فيه (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أهل هذا الشأن في حد فقال قوم حده أن يثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به... وقال قوم حده الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني وأن أحدهما يسد مسد الآخر وينوب منابه سواء كان ذلك حقيقة أو مجازاً أما الحقيقة فهو أن يقال في شيئين أحدهما يشبه الآخر في بعض أوصافه كقولنا - زيد أسد فهذا القول صواب من حيث العرف وداخل في باب المبالغة إلا أنه لم يكن زيد أسد على الحقيقة (وأما الرابع) فقال المحققون من علماء هذا الشأن الأشياء التي يكون منها التشبيه لا يخلو إما أن تكون صفة حقيقية أو حالة اضافية . فاما الأول فلا يخلو إما أن يكون كيفية جفائية أو نفسانية والاول لا يخلو اما أن تكون صفة محسوسة أو لا تكون محسوسة فان كانت محسوسة فاما أن تكون محسوسة أولاً أو ثانياً والمحسوسات الاول هي مدركات السمع . والبصر . والشم . والذوق . واللمس . فالاشتراك في الكيفية المبصرة مثل تشبيه الورد بالخذ لاشتراكهما وكذلك تشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل . والاشتراك في كيفية مسموعة كتشبيه أطيظ الرجل بأصوات الفرائج في قول الشاعر

كأن أصوات من ايفالهن بنا أواخر الميس أصوات الفرائج

التقدير - كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفرائج من ايفالهن بنا - فصل بين المضاف والمضاف اليه . والاشتراك في كيفية مذوقة كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر . والاشتراك في كيفية مشمومة كتشبيه بعض الرياحين برائحة الكافور والمسك والاشتراك في كيفية ملموسة كتشبيه لين ناعم بالخز والحريز والحشن بالمسح من الشعر هذا اذا كان فيه الاشتراك محسوساً أولاً . أما اذا كان محسوساً ثانياً . فالمحسوسات الثانية هي الاشكال . والمقادير . والحركات . والاشكال إما مستقيمة أو مستديرة فالتشبيه لأجل الاشتراك في الاستقامة مثل تشبيه المستوى المنتصب بالرمح والقذ بالقضيب والفصن . وان كان الاشتراك في الاستدارة فكتشبيه الشيء المستدير بالكرة تارة وبالخلقة أخرى . وان كان الاشتراك في المقادير فكتشبيه عظيم الجنة بالجبل والفيل

وان كان في الحركة مع اعتدال الاستقامة فكشبهه الذهاب على الاستقامة بنفوذ السهم
وأما اذا كان الاشتراك في كيفية جفائية غير محسوسة فهو كالاشتراك في الصلابة .
والرخاوة . وأما اذا كان الاشتراك في كيفية نفسانية فهو كالاشتراك في الغرائز والاخلاق
مثل الكرم . والعلم . والقدرة . والعلى . والذكر . والفطنة . واليقظ . والمعرفة .
وأما اذا كان الاشتراك في حالة الاضافية لافي كيفية حقيقية فهو مثل قولك - هذه حجة
كالشمس - فاشتراكها ليس في شيء من الكيفيات الحقيقية ولكن في أمر إضافي
وهو أن كل واحد منهما مزيل للحجاب . . ثم ان هذه الاضافات قد تكون جلية او قد
تكون خفية وربما يبلغ الجلي في القوة الى أن يقرب من القسم الاول . مثال الجلي
تشبيه الحجة بالشمس . وكذلك قولهم في صفة الكلام ألفاظ كالماء في السلسلة .
والتنسيم في الرقة . وكالعسل في الحلاوة . يريدون أن اللفظ اذا لم تتنافر حروفه تنافراً
بثقل على اللسان ولم يكن غريباً حوشياً بل كان . ألوفاً ثم ان القلب يرتاح له والنفس
تشرح به فليسرعة وصوله الى النفس صار كالماء الذي يسوغ في الحلق والتنسيم الذي
يسرى في البدن ويتخلل المسالك اللطيفة ولأجل اهتزاز^(١) النفس به أشبه العسل الذي
يلد طعمه ويميل الطبع اليه . . هذا المثال أشد حاجة الى التفسير من تشبيه الحجة بالشمس
ولكنه مع ذلك غير بعيد عن الفهم وأما التوغل في البعد عن الطبع وشدة الحاجة الى
التأويل فكقول من ذكرني المهلب هم كالحلقة المفرغة لا ينتهي طرفاها ألا ترى أنه لا يفهم
المقصود من ذلك إلا من له طبع يرتفع عن طبع العامة . . ومن وجوه التشبيه أيضاً التشبيه
بالوجه المعقول وهو عندهم أقوى وأظهر من التشبيه بالمحسوس لأن تشبيه المحسوس
بالمحسوس يمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وصف محسوس ويمكن أن يكون لأجل
الاشتراك في وصف معقول ويمكن أن يكون لأجلهما جميعاً . مثال الأول تشبيه الخد
بالورد . ومثال الثاني قوله عليه الصلاة والسلام أيأكم وخضراء الدّر من الحسن الظاهر القبيح
الباطن وهو أمر عفلى . وكذلك تشبيه الرجل النبي بالشمس فان النباهة صفة عقلية
وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام أصحابي كالنجوم المعنى به أنه يهتدى بهم في أمور الأديان

كما يهتدى بالنجوم في الالهي المظلمة فالشبه في أمر عقلي • ومثال الثالث تشبيه الشخص
الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس • وأما الاقسام الثلاثة أعني تشبيه المعقول بالمعقول
والمعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول فيمتنع أن يكون وجه المشابهة غير عقلي لأن وجه
المشابهة لو كان مشتركاً بين الجانبين لكان المعقول الموصوف به محسوساً من ذلك الوجه
وهو محال فثبت أن التشبيه بالوصف المعقول أعم من التشبيه بالوصف المحسوس وإذا
علم هذا وتبين الوجه الذي يكون منه التشبيه تعين ذكر أقسام التشبيه مبنية بنزلة على
ما قدّمناه (وأما الخامس) فقد أطبق جمهور علماء هذه الصناعة على أن أقسامه
أربعة • الأول تشبيه محسوس بمحسوس • الثاني تشبيه معقول بمعقول • الثالث أن
يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً • الرابع أن يكون المشبه محسوساً والمشبه به
معقولاً • وقد زاد ابن الأثير قسماً خامساً وسماه غلبة الفروع على الأصول وسيأتي بيانه
• أما الأول وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس فكقوله تعالى « والقمر قدرناه منازل حتى
عاد كالترجون القديم » وقوله تعالى « كأنهم أعجاز نخل خاوية » ومن شرط هذا
النوع أن يكون المشبه والمشبه به مشتركين من وجه مختلفين من وجه ولا يخلو إما أن
يكون اشتراكهما في الذات واختلافهما في الصفات وأما أن يكون بالعكس • فالأول مثل
تشبيه العدو بالطيران لانه ليس الاختلاف بينهما إلا بالسرعة وبالبطء • والثاني كتشبيه
الشعر بالليل والوجه بالتأهر • • وأما القسم الثاني وهو تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه
الموجود العاري عن الفوائد بالمعدوم أو تشبيه الشيء الذي تبقى فوائده بعد عدمه
بالموجود • ومنه قول الشاعر

فرحت وآملى كخطي كواسف وعزى يحاكي سعيه في المكارم

• • وأما القسم الثالث الذي هو تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى « والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة » • وقوله « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » • وقوله تعالى « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف » وأيضاً مثل تشبيه الحجة بالشمس وبالنور الذي هو
محسوس بالبصر وليس لأحد أن يقول الحجة أيضاً مسموعة • قلنا المفيد هو المعاني العقلية

الحاصلة في الذهن ووجه المشابهة أن القلب مع الشبه كالبصر مع الظلمة في أن البصر في الظلمة لا يفيد لصاحبه مكتنة السى ولو سعى فربما دُفع الى الهلاك فتزدى في أهوية ومن الأمثلة تشبيه العدل بالقسطاس .. وأما القسم الرابع وهو تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حساً فقد علماً وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو غير جائز وكذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور أو المسك بالطيب فقال الشمس في الظهور كالعجوة والمسك في الطيب كخلق فلان كان سُخفاً من القول مع أنه قد ورد في الكلام الفصيح وأشعار العرب والمتأخرين منه ما لا يحصى • فمن ذلك قول بعضهم

وكان النجوم بين دُجَاهَا سنن لاح بينهن ابتداع

• وكقول بعضهم

ولقد ذكرك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

• وقول بعضهم

كان أبيضاض البدر من تحت غيمه نجاة من البأساء بعد وقوعه

• وقول التوحي

أما ترى البرد قد وافى عساكره وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا

فانهض بنار الى خيم كأنهما في العين ظلم وانصاف قد انفقا

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا برداً فصرنا كقلب الصب إذ عشقا

• وقال آخر

رُبَّ ليل كأنه أملى فيك وقد رحتُ عنك بالجرمان

• وقول صاحب حين أهدى العطر الى القاضى أبى الحسن

يا أيها القاضى الذى نفسى له فى قُرب عهد لقائه مُشتاقه

أهديتُ عطراً مثل طيب نثائه فكأنما أهدى له أخلاقه

ومثل هذا فى أشعارهم كثير لا يحصى والذى يجمع بين هذا وبين القواعد العقلية أن

هذه الاشياء المعقولة لتقررهما في الذهن وتخيلها في العقل صارت بمنزلة المحسوسات فلما نزلت منزلة المحسوسات صح التشبيه وقويت وصار المعقول للمبالغة أثبت في النفس وأقوى من المحسوس فصار لذلك أصلاً يشبه به . ومن هذا قوله تعالى « طَلَمَهَا كَأَنَّهُ رَؤُسُ الشَّيَاطِينِ » ولهذا قال امرؤ القيس يشبه نصول الرماح

* ومسنونة زُرُقٍ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالِ *

فاتهم وإن كانوا لم يشاهدوا القول وأنابها لكنهم لما اعتقدوا فيها أى في أنابها غاية الحدة حسن التشبيه والصحيح أن المحسوس أعرف من التشبيه بالوصف المعقول لثلاثة أوجه . الأول أن أكثر الغرض من التشبيه التخيل الذي يقوم مقام التصديق في الترهيب والترغيب والخيال أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الأمور الإضافية . الثاني أن الاشتراك في نفس الصفة أسبق من الاشتراك في مقتضاها . الثالث أن المشابهة في الصفة قد تنبغ الى حيث يتوهم أن أحدها الآخر . وأما المشابهة في مقتضى الصفة لا تنبغ الى هذا الحد لأن من المستحيل أن لا يجد العاقل فصلاً بين ما يقتضيه ذوق العسل في نفس الدائق وبين ما يحصل بالكلام المقبول في نفس السامع . . وأما القسم الخامس فقال ابن الاثير ومن أقسام التشبيه قسم يقال له غلبة الفروع على الأصول وهو ضرب من الكلام ظريف لا يكاد يوجد منه شئ الا والغرض به المبالغة . . فما جاء من ذلك قول ذى الرمة

وَرَمَلْ كَأَوْرَاكِ الْعَدَا رَى قِطْعَتُهُ إِذَا أَلْبَسْتُهُ الْمَظْلِمَاتِ الْحَضَارِسِ

.. ومثل ذلك قول بعضهم

في طاعة البدري شئ من ملاحظتها وفي القضيبي نصيب من تنبيها

والغرض بهذا النوع المبالغة في وصف المشبه به كأن هذا المعنى ثبت له وصار أصلاً (وأما السادس) في أدوات التشبيه فأدواته أسماء وأفعال وحروف . أما الأسماء فمثل بسكون التاء وتحريكها . وشبه بسكون الباء وتحريكها وأشباه ذلك . وأما الأفعال كحسبت وخلت ويحسب ويخال ونظائرهما . وأما الحروف فالكاف مفردة وإذا أضيف اليها ما يجري مجرى ذلك وقد نطق بذلك كله الكتاب العزيز والسنة . أما الأسماء فقال الله تعالى

« مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » . وقال تعالى « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ » . وقال تعالى « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع » . وقال تعالى « فأتوا بسورة من مثله » . وقال تعالى « فجزاء مثل ما قتل من النعم » . وقال تعالى « وأوتوا به متشابهاً » . وقال تعالى « إن البقر تشابه علينا » وفي الحديث الصحيح « فمن أين يكون الشبه والشبه » . وأما الأفعال فكقوله تعالى « يحسبه الظمان ماء » . وقال تعالى « يخيل اليه من سحرهم أنها نسى » . وأما الحروف فكقوله تعالى « كالذي ينفق ماله رثاء الناس » . وقوله تعالى « كرماد اشتدت به الريح » . وقوله تعالى « كدأب آل فرعون » . وأما - كأن - فكقوله تعالى « كأنه رؤس الشياطين » وفي القرآن من هذا كثير . وأما في كلام العرب الفصحاء منهم وأشعارهم فشئ كثير أضربنا عن ذكره لكثرة وشهرته . . وقال ابن الأثير وقد وقع في القرآن العزيز التشبيه بغير أداة في مواضع كثيرة . منها قوله تعالى « صمُّ بُكْمٌ عُمى فهم لا يرجعون » . وقوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » وهو أبلغ في التشبيه . . قال جمهور علماء هذا الشأن التشبيه يكون بأداة تارة وثارة بغير أداة لكن إذا كان بغير أداة كان أبلغ وأوجز لان قولنا - زيد أسد - يمتطي ظاهره من المعنى أنا أخبرنا عن زيد انه أسد وذكرنا أنه هو الا أن حرف التشبيه في ذلك مقدر وإذا قلنا - زيد كأنه أسد - فيكون قد أظهرنا فيه حرف التشبيه الذي كان مخفياً في الاول فيصير حينئذ تشبيهاً لزيد بالاسد والاول كان قد جعل هو الاسد وحرف التشبيه بقدر فيه تقدير آ فمن هذا الوجه كان الأول أبلغ وأشد وقعاً في النفس . وأما كونه أوجز فلأن قولنا - زيد أسد - أخص من قولنا - زيد كأنه الأسد - وان كان المعنيان سواء (وأما السابع) في تشبيه الشيئين بالشيء الواحد اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان قالوا أصل التشبيه أن يشبه شيئاً بشئ وقد يشبه الشيئين بالشيء الواحد وانما جاز ذلك لان المشبه قد يأخذ صفة من صفات نفسه وصفة غيره ثم يشبههما بشئ آخر كقول الشاعر

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالإيالي

وقد وقع تشبيه الشيئين بالشيء الواحد وانما جاز ذلك لانه لا يخلو الشيطان في تشبيه أحدهما

بالآخر من ثلاثة أقسام . اما تشبيه معنى بمعنى . واما تشبيه معنى بصورة . واما تشبيه صورة بصورة وكل واحد من هذه الاقسام الثلاثة لا يخلو من ثلاثة أقسام . إما تشبيه مفرد بمفرد . واما تشبيه مركب بمركب . واما تشبيه مفرد بمركب . فأما تشبيه المفرد بالمفرد فكقول البحتري

تَسْمُ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى كَالْفَيْثِ وَالْبَرْقِ تَحْتَ الْمَارِضِ الْبَرْدِ

. ومنه قوله تعالى « وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَاخَ مِنْهَا قَاتِبَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ وَلَوْ شَاءْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ الْآيَةُ . واما تشبيه المركب بالمركب فقوله تعالى « إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَزْلَقْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ عَمَّا تَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ » الى قوله « كَانَ لَمْ تَقْنِ بِالْأَمْسِ » الآية . فشبّه حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض وذلك تشبيه معنى بصورة وهو أبدع ما يجيء في هذا القسم . ومثله في حق المنافقين « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ » تقديره أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله واتقى ما يخاف وأمن فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره بقي مظلماً خائفاً متحيراً وكذلك المنافق اذا أظهر كلمة الايمان استنار بها واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد الى الخوف وبقي في المذاب والنقمة . ويجوز أن يكون المعنى أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى - عقب ذلك بهذا التمثيل مثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد - والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ثم قال الله - صم بكم عمى - كانت حواسهم ساهية لكن لما سدوا مسامعهم عن الإصغاء الى الحق وأبوا أن ينطقوا به بالسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جملوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات وهذا من عجائب التشبيه وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم - ليوث - للشجران - بحور - للكرام . وبعض علماء هذه الصناعة يجملون ما كان على مثال قوله تعالى « صم بكم عمى » استعارة وليس كذلك لأن المستعار مذكور

•• ومن هذا القسم قول الشاعر

بكيت عليه حين لم يبلغ المنى ولم يرو من ماء الحياة المكدر

ومنه قول المتنبي

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ناكِل

• وأما تشبيه المفرد بالمركب فمن ذلك قول بعضهم

كأن السهمي إنسان عين غريقة من الدمع يدو كلما ذرقت ذرفاً

(وأما الثامن) في ذكر ما يحسن به موقع التشبيه •• قال أئمة هذا الشأن ان كثرة

التقييدات بعظم بها حسن موقع التشبيه وتكون أدخل في التشبيه من غيرها لانها

عقلية • مثال ذلك قوله تعالى « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » الى

قوله « كأن لم تغن بالأمس » وهذه فيها عشر جل قيد بعضها ببعض حتى صارت جملة

واحدة وهي مع ذلك لا يمتنع أن تكون صور الجمل معناها حاصلًا يمكن أن يشار إليها

واحدة واحدة ثم أن التشبيه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن

بعض فانك لو حذف منها جملة واحدة من أي موضع كان أخل ذلك بالمعنى من

التشبيه •• وقد يقع من التشبيه مجمل لا يخل اسقاط بعضها بالتشبيه وهي كل جملة

جعت أغراضاً كثيرة كل واحد منها منفرد بنفسه ولهذا النوع خاصيتان • الأولى أنه

لا يجب فيها الترتيب ألا ترى أنك اذا قلت زبد كالأسد بأساً • والبحر جوداً • والسيف

مضاء والبدر بهاء • لم يجب عليك أن تحفظ في هذه التشبيهات نظاماً مخصوصاً وهو

كقول بعضهم

يا هلالاً يدعى أبوه هلالاً جلّ باريك في الورى وتعالى

أنت بدرته حسناً وشمس علواً وحسام حزمًا وبحر نوالا

•• الثانية اذا سقط البعض فانه لا يتغير حال الباقي كقولهم يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو

تركت ذكر الكدورة والمرارة لو وجدت المعنى في تشبيهك بالماء في الصفاء والعسل في

الحلاوة باقياً على حاله • وقد وقع في بعض الاشعار ما يظن أن فيه تشبيهات بمجموعة

وليس كذلك بل هو تشبيه واحد وذلك كقول الشاعر

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رَجَوْها أقشمت ونجأت

(وأما التاسع) فهو في الشرط الذي لا يكون التشبيه حسناً إلا به وهو أن يكون التشبيه جلياً ويكون بحال يتبادر الذهن اليه وإلى إدراكه ولا يحتاج إلى إطالة فكرة ولا إمعان نظر فإن الغرض بالتشبيه بيان حسن موقع التشبيه وظهور مزية المشبه بحسن حال المشبه به أو قبحه ولذلك هجنوا تشبيه من شبه الشمس بالمرأة في كف الأشد وكتشبيه البرق بأصبع السارق في قول بعضهم

أرقت أم نمت لضيءٍ بارقٍ مُؤثلقاً مثلَ الفؤادِ الخافقِ
كأنه لاصبعُ كف سارقٍ

(وأما العاشر) فيما يجوز عكسه من التشبيه وما لا يجوز . فأما الذي لا يجوز عكسه فكل تشبيه كان الغرض به الحاق الناقص بالزائد مبالغة في إثبات الحكم للناقص فهذا يتمتع عكسه وهو كما إذا شبهت شيئاً أسود بما هو الأصل في شدة السواد كخافقي الغراب والقار امتنع فيه العكس لأن تنزيل الزائد منزلة الناقص تضاد المبالغة في الإثبات . وأما الذي يجوز عكسه فهو الجمع بين شيئين في مطلق الصورة أو الشكل أو اللون فالعكس مستقيم فيه فهو كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل وقوع منير في مظلم وحصول بياض في سواد مع كون البياض قليلاً بالاضافة إلى السواد وكذلك تشبيه الشمس بالمرأة المجلوة والدينار الخارج من السكة كقول ابن المعتز فهذا حسن مقبول وإن عظم التفاوت بينهما لأنك لم تضع التشبيه على مجرد النور وإنما قصدت إلى مستدير يتلأأ ويلمع ثم خصوص جنس اللون الموجود في المرأة المجلوة والدينار للتخلص من حمى المسبك يوجد في الشمس فأما مقدار النور بأنه زائد أو ناقص والجزم عظيم أو صغير فما لم يتعرض له وعلى هذا خرج قوله تعالى «الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري» الآية فإنه سبحانه وتعالى لم يرد بالتشبيه بهذه الزجاجة الموصوفة بهذه الصفة المشاركة بين نوره وبين نور هذه الزجاجة إذ لامنا سبة بينهما بل كان ذلك من التشبيه الذي ينعكس بل الذي يتعين عكسه (وأما الحادي عشر) في الهيئات التي تقع عليها الحركات فهي عند

أرباب هذا العلم على قسمين . أحدهما أن تعرف تغيرها من الاوصاف كالشكل واللون .
 الثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراى غيرها . . فن الاول قول ابن المعتز
 والشمس كالمرآة في كفة الأشل

أراد أن يريك مع الاستدارة والاشراق الحركة التي تراها في للشمس اذا أنعمت
 التأمل ثم ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس حركة متصلة
 دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون
 المرآة في يد الأشل لان حركته تدوم وتتصل ويكون لها سرعة وبدوام الحركة يتموج
 نور المرآة وتلك حال الشمس لانك ترى شعاعها كأنه يهيم أن ينبسط حتى يفيض من
 جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي تراه الى الانقباض كأنه يجمعه من جوانب
 الدائرة الى الوسط . وقد لمح هذا المعنى ابن سناء الملك في أبيات هجا فيها الشمس
 قال فيها

لا كانت الشمس فكم أضدأت صفحة خد كالبحام الصقيل
 وكم صدت بوادي السكرى طيف خيال زارني من خليل
 تكذب في الوعد وبرهانه أن سراب الفقر منها سليل
 ونحسب النهر حساماً فترتنا ع وتحكى فيه قلب الدليل
 وما يشبه التشبيه الاول وان صور في عين المرآة قول المهلب بن أبي صفرة الوزير
 الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
 كأنها بوتقة أحيت يحول فيها ذهب ذائب

وذلك أن الذهب الذائب يتشكل بشكل البوتقة على النار فانه يتحرك فيها حركة على
 الحد الذي وصفت لك وما في طبع الذهب من النعومة وفي أجزائه من شدة الانفعال
 والتلاحم بمنه أن يقع فيها غليان كما في الماء فيرتفع وسطه ارتفاعاً شديداً وجاته كأنها
 تتحرك بحركة واحدة ويكون فيهما ذكرناه من الانبساط الى الجوانب ثم انقباض
 ومنها قوله

كأن في غدرانها حواجبا

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صفار ثم إنك تراها تمتد امتداداً ينقص من انحنائها وتحدبها وكأنها تنتقل من القوس الى الاستواء وذلك أشبه شيء بالحواجب اذا بدت . والثاني ما يكون التشبيه في هيئة الحركة فقط مجردة من كل وصف يقاربها وهناك أيضاً لابد من اخلاط حركات كثيرة في جهات مفترقة مختلفة وكلما كان التقارب أكثر كان التركيب في الهيئة المتحركة أكثر . وقد يقع التشبيه أيضاً بالسكون كقول الاخطل في وصف مصلوب

كانه عاشق قد مدت صفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل
أو نائم من ناعس فيه لوثته مواصل لتطيه من الكسل

فلطفه بسبب ما فيه من التفصيل ولو قال كأنه منقط من ناعس واقتصر عليه كان قريب التناول . وقد وقع في القرآن العظيم آيات كثيرة شبه فيها الحركات بالحركات والسكون بالسكون . فمن ذلك قوله تعالى « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَائِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ » . وقوله « يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ » . وقوله تعالى « يَوْمَ تَطْوى السَّمَاءُ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتَبِ » شبه سرعة سير الجبال مع سكون بسرعة سير السحاب مع سكون أيضاً وشبه سرعة وميض البرق بسرعة يد المحتطف وشبه حركة التفاف جرم السماء بحركة التفاف جرم الكتاب بمضه على بعض وكذلك السكون . ومنه قوله تعالى « وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهَوًّا » - والرهو - الساكن شبه ذهاب حركة البحر بذهاب حركة الخيل عند سكونها تقول العرب جاءت الخيل رهواً أى ساكنة فشبه البحر بها وذلك أنه قام فرقاء ساكنين فقال لموسى عليه الصلاة والسلام دع البحر ساكناً قائماً ماؤه كما أخبر الله سبحانه وتعالى « فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ » . (وأما الثاني عشر) فهو الفرق بين الاستعارة والتشبيه . ذهب جماعة من أهل هذا الشأن الى أن التشبيه والاستعارة شيان وفرق الخذاق وقالوا إن التشبيه حكم إضافي لابد فيه من ذكر مشبه ومشبه به فانك اذا قلت - رأيت أسداً - فهو استعارة لم تذكر شيئاً حتى تشبهه بالأسد ولو كان تشبيهاً لتعبن أن تقول زيد أسد أو زيد كالأسد ولم يكن غرضك في قولك زيد أسد إلا المبالغة

في مدح زيد بالشجاعة .. فرق ثان أن التشبيه لا يكون إلا بأداة التشبيه غالباً والاستعارة لا تحتاج الى أداة فانك اذا قلت - لعبت به يد الصبا - لم يكن كقولك - فلان له خلق كالصبا - .. فرق ثالث أن الاستعارة أوجز من التشبيه فانك اذا قلت - زيد أسد - أوجز من قولك - زيد في بسالة الأسد - فثبت على هذا التقدير أن التشبيه أحد غرضي الاستعارة

﴿ فصل ﴾

ومنها التمثيل .. قد أطلق علماء هذه الصناعة اسم التشبيه على كل تمثيل منتزع من أمور مجتمعة بتقييد البعض ببعض وهو قريب من الاستعارة ومنه في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتُ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ » . وقوله تعالى « مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » الآية . ومن ذلك قوله تعالى « فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ » . وقوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا » الآية ومثله في القرآن كثير .. ومن هذا النوع المثل السائر ومعنى السائر أنه كثر استعماله واستعماله على أن الثاني بمعنى الأول لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة انها بمنزلة من قيل له هذا القول والأمثال كلها حكايات لا تغَيَّرُ وهي أكثر من أن تحصى وقد صنف العلماء فيها كتباً وشرحوا معانيها واخوض في ذكرها يطول وقصدت الاختصار لا الاكثار .. ومن الامثال السائرة في الكتاب العزيز قوله تعالى « لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ » . وقوله تعالى « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمْدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مُرٌّ السَّحَابِ » . وقوله تعالى « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً » .. ومنه في السنة قوله صلى الله عليه وسلم الآن حمى الوطيس ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول من فاه بهذا المثل ثم صار مثلاً سائراً . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدَّيْمَنِ . وفي غزون كلامه صلى الله عليه وسلم من هذا كثير . وأما أشعار العرب فقد ورد فيها من ذلك كثير منها ما في البيت مثل واحد ومنها ما في البيت مثلاً ومنها

ما فيه ثلاثة ومنها ما فيه أربعة ومنها ما فيه خمسة ومنها ما فيه ستة .. فأما ما فيه
مثل واحد فكقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن طلب الحسنة لم يُغله المهر
.. وقول أبي تمام

قلو صورت نفسك لم تردها على ما فيك من كرم الطباع
.. وما جاء من الشعر فيه مثلاً قول بعضهم

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل
في كل قسم منه مثل قائم بنفسه غير محتاج الى صاحبه .. ومنه قول الخطيب
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
.. وقول أبي فراس

ومن لم يوق الله فهو مضيع ومن لم يعز الله فهو ذليل
.. وقول المتنبي

وكل امرئ يولى الجميل محبب وكل مكان يثبت العز طيب
.. وأما ما فيه ثلاثة أمثال فكقول زهير بن أبي سلمى
وفي الحلم إدهان وفي العفو ذلة وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق
.. وأما ما فيه أربعة أمثال فكقول بعض العرب

فالهم فضل وطول العيش منقطع والرزق آت ورزق الله منتظر
.. وأما ما فيه خمسة فكقول الشاعر

خاطر نقذ وارثه تجذ واكرم تسذ وانقذ نقذ واصغر تمذ الأكبر
.. وأما ما فيه ستة فكقول ابن الأبندي

نه أحتل واستطل أصبر وعز أهن وول أقبل وقل أسمع ومزأ طع
- والمثل - جمعه أمثال وسمى المثل مثلاً لأنه مائل بخاطر الانسان أى شاخص يتأى
به ويتعظ ويحشى ويرجو والشاخص المنتصب وهو من قولهم طلل مائل أى شاخص
وهذا رسمه اللغوي والذي تقدم في أول الباب حده الصناعي

القسم الثاني والعشرون

من المجاز

الابحاز والاختصار

وهو على قسمين وجيز بلفظه ووجيز بخذف (فأما الوجيز) بلفظه فهو عند أرباب هذه الصناعة أن يكون اللفظ بالتشبيه الى المعنى أقل من القدر المأمود عادة وسبب حسنة أنه يدل على التمكن في الفصاحة والملازمة في البلاغة وحصول ملاذ كثيرة دفعة واحدة واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لعناه وهو المقدر أو أقل منه وهو المقصور . .
أما المقدر فكقوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، أمر الله في أول هذه الآية بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ونهى في وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغى ووعظ في آخرها وذكر جميع في هذه ضرورياً من البيان وأنواعاً من الإحسان فذكر العدل والإحسان والفحشاء والمنكر بالاثف واللام التي هي الاستغراق أى استغراق الجنس المحتوى على جميع أنواعه وضروره وجع فيها بين الطباق اللفظى والطباق المعنوى أما اللفظى ففى قوله - إن الله يأمر وينهى - . وأما المعنوى ففى قوله - العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - وقوله - الفحشاء والمنكر والبغى - فإن الثلاثة الأولى آخر أضداد الثلاثة الأولى لأن الثلاثة الأولى من الفعل الحسن والثلاثة الأخرى من القبيح فطابق بين الحسن والقبيح مطابقة معنوية ثم بين خصوصية ذوى القربى باعادة الإيحاء عليهم والإيتاء لهم مع أن الأمر بالإحسان قد تناولهم وبدأ بالعدل لأنه فرض وتلاوه بالإحسان لأنه مندوب اليه وقد يجب فاحتوت الآية على حسن النسق وعطف الجمل بعضها على بعض فقدم العدل وعطف عليه الإحسان الذى هو جنس عام وخص منه نوعاً خاصاً وهو إيتاء ذى القربى ثم أتى بالأمر مقدماً وعطف عليه النهى بالواو ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات فى العطف بحيث لم يتأخر فى الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم عليه ما يجب تأخيرده ثم ختم ذلك كله بأمر مستحسن ودعاً الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا

وأشتات من الاوامر والنوامي والمواعظ والوصايا ما لو بث في اسفار عديدة لما اسفرت
عن وجوه معانيها ولا احتوت على أصولها ومبانيها - حان من لا يشبه خالقه ذاتاً ولا
كلاماً ولا إحكاماً ولا أحكاماً. وفي القرآن العظيم من هذا النمط كثير وقد وقع آيات
كثيرة قلت حروفها وكثرت معانيها وظهرت دلائل الإعجاز فيها مثل قوله تعالى « فإِما
تُخافنَّ من قومٍ خِيانَةً فانْبِذ اليهم على سِواءٍ » وقوله تعالى « ومن يُطعِ اللهَ ورَسُوله
ويُحِشِ اللهَ وَيَتَّقْهُ فَوَلِّكَ هُمُ الْفَازُونَ » وقوله تعالى « من كفر فعليه كفره »
وقوله تعالى « قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » ومن ذلك في السنة كثير كقوله صلى الله
عليه وسلم الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات. وكقوله الضعيف أمير الركب يعني أنه
ينبغي متابعتة في السير كما ينبغي متابعة أمير الركب وقد صرح بذلك في قوله صلى الله
عليه وسلم سيروا سير أضعفكم. ومن ذلك في أشعار العرب وخطبهم كثير وكثرته
وشهرته أغنت عن ذكره (وأما المقصور) فاما أن يكون من نقصان لفظه عن معناه
لاحتمال لفظه معان كثيرة أو لا يكون كذلك. الثاني كما في قوله تعالى « خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » وكذلك قوله تعالى « أولئك لهم الأمن وهم
مهتدون » وكقوله تعالى « ولكم في القصاص حياة » وهذا أحسن من قولهم القتل
أننى للقتل لوجوه سبعة. الاول أن قولهم القتل أننى للقتل في ظاهره متناقض لانه جعل
حقيقة الشيء منافية لنفسه وان قيل ان المراد منه ان كل واحد من افراد هذا النوع
ينفى غيره فهو أيضاً ليس أننى للقتل قصاصاً بل ادعى له وانما يصح اذا خصص فقبيل
القتل قصاصاً أننى للقتل فيصير كلاماً طويلاً مع أن التقييدات بأسرها حاصلة في الآية.
الثاني أن القتل قصاصاً لاينفى القتل ظاهراً من حيث انه قتل بل من حيث أنه قصاص
وهذه الجملة غير معتبرة في كلامهم. الثالث أن حصول الحياة هو المقصود الاصلى وانفى
القتل انما يراد لحصول الحياة والتنصيص على الغرض الاصلى أولى من التنصيص على
غيره. الرابع أن التكرار عيب وهو موجود في كلامهم دون الآية. الخامس أن
حروف - في القصاص حياة - اثنا عشر وحروف - القتل أننى للقتل - أربعة عشر.
السادس أنه ليس في كلامهم كلمة يجمع فيها حرفان متلاصقان متحركان الا في موضع

واحد بل ليس فيها الاسباب حقيقة متوالية وقد عرف أن ذلك مما ينقص من سلاسة الكلام بخلاف الآية . السابع أن الدافع لصدور القتل عن الانسان كراهته لذلك وصارفه القوى عنه حتى أنه ربما يعلم أنه لو قُتل قُتل ثم لا يرتدع وإنما رادعه القوى هو إما الطمع في الثواب أو الذكر الجليل وإذا كان كذلك فليس أنفى الاسباب للقتل هو القتل بل الانفى لذلك هو الصارف القوى . وقوله تعالى - في القصاص حياة - لم يجعل القصاص مقتضياً للحياة على الإطلاق بل الحياة مذكرة والسبب فيه ان شرعية القصاص تكون رادعة عن الاقدام على القتل غالباً . ثم لتعلم أن في هذا التذكير فائدة أخرى لطيفة وهي أن الانسان اذا علم أنه اذا قُتل قُتل ارتدع بذلك عن القتل فلم صاحبه فصارت حياة هذا الموهوم قتله في المستقبل مستفادة بالقصاص وصار كأنه قد خفي في بقي عمره ولذلك وجب التذكير وامتنع التعريف من جهة أن التعريف يقتضي أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها وليس الأمر كذلك . ومثل هذا التذكير قوله تعالى « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ » وفائدة التذكير أن الحرص لا يندب وأن يكون حياً وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة بل على الحياة المستقبلية ولما لم يكن الحرص متعلقاً بالحياة على الإطلاق بل بالحياة في بعض الاحوال لا جرم جاءت بافظ التذكير . . . واعلم أن للتذكير في قوله تعالى - في القصاص حياة - فائدة أخرى وهي أن الرجل قد يرتدع بالقصاص حتى لا يقدم على القتل لكن من الجائز أن لا يكون للانسان عدو فيقصد قتله حتى يمنعه خوف القصاص وحينئذ لا تكون حياة ذلك الانسان لأجل الخوف من القصاص وما دخل الخصوص في هذه القصة وجب أن يقال حياة ولا يقال الحياة وكذلك يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى « يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ » حيث لم يكن شفاء للجميع . . . ومن بديع هذا النوع أن أبا جعفر المنصور سأل عن بن زيا أياً أحب إليك دولتنا أو دولة بني أمية فقال ذلك إليك ومفتاه أن زيادة هذه المحبة وتقصاتها بيدك لأنها على قدر إحسانك . والفرق بين هذا التسم وبين المتقدم وهو أن يكون نقصان النظم لاجل احتمال معان كثيرة وذلك كاللفظ المشترك أو الذي له مجازات أو حقيقة ومجاز اذا

أريدت معانيه كما في قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » والصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار . وكذلك قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ » والسجود من الناس وضع الجبهة على الأرض وهو حقيقة شرعية وأيضاً الخشوع وهو حقيقة لغوية ومن غير الناس الانقياد لصنع الله تعالى وهو مجاز . ومن ذلك قول المتنبي وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

وهذا يحتمل ثلاثة معان . الأول من بات في نعماء المحسود . الثاني من بات في نعماء الحاسد . والثالث من بات في نعماء غير الحاسد والمحسود فيكون ذلك مدحاً للذي يبيت في نعمائه وبنيانه أن كل أحد يتمكن من تحصيل تلك النعمة بمدح هذا المنعم فيكون حينئذ بمن أنعم عليه (وأما الوجيز بالحذف) فالكلام عليه من وجوه . الأول المعنى الذي حسن الحذف من أجله . الثاني في فائدته . الثالث في شرطه . الرابع في أقسامه . الخامس في توابعه . السادس فيما يقبح منه . . أما الأول فإن المعنى الذي حسن الحذف من أجله طاب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل . . وأما الثاني ففائدته زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الانتدابه أشد وأكثر وكان ذلك أحسن . . وأما الثالث فنشرطه أن يكون في اللفظ دلالة على المحذوف وإلا لم يتمكن من معرفته فيكون اللفظ مخلاً بالفهم وتلك الدلالة قد تحصل من أعراب اللفظ وذلك كما إذا كان منصوباً فيعلم أنه لا بد له من ناصب وإذا لم يكن ظاهراً لم يكن بُد من أن يكون مقدراً وذلك كقولنا - أهلاً وسهلاً ومرحباً - ومعناه وجدت أهلاً وسلياً وصادفت رُحِباً . ومنه في القرآن كثير كقوله تعالى « الْحَمْدُ لِلَّهِ » على قراءة من قرأ بالنصب . وقوله تعالى « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ » والتقدير أحمد الحمد أو أقرأ الحمد واحفظوا الأرحام . وقوله تعالى « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً » وقوله تعالى « مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ » وفي القرآن منه كثير وفي الكلام النصيح منه كثير وكثرته نفى عن ذكره . غير أن سيويوه ذكر منه أشياء جعلها حجة في الباب . من ذلك

قول العرب - اللهم ضيِّعاً وذيئاً - أى اجعل فيها ضيِّعاً وذيئاً . وقول بعضهم حين قيل له لم أفسدتم مكانكم فقال - الصبيان بأبى - أى لم الصبيان . ومنه ما قدمناه أولاً وهو أهلاً وسهلاً ومرجياً . وقد تحصل تلك الدلالة بالنظر فى المعنى والعلم بأنه إنما يتم بمحذوف مقدّر وهذا يكون أحسن من الاول لزيادة غموضه كما فى قولهم فلان يحلّ ويربط . ومعناه أنه يحلّ الأمور ويربطها أى ذو تصرف . وقد عقد بعض علماء هذه الصناعة عقداً فقال اللفظ المحذوف إما أن يكون مفرداً أو مركباً فان كان مفرداً فسيأتى بيانه وان كان مركباً فإما أن يكون كلاماً مفيداً أو لا يكون كذلك فهذه ثلاثة أقسام الاول أن يكون كلاماً مفيداً وهذا أحسن والكلام المفيد المحذوف قد يكون قليلاً وهو على وجهين . أحدهما أن يكون المحذوف استفهاماً ويسمى ما يدلّ عليه استثافاً وهذا إما أن يكون باعادة اسم أو صفة أو لا يكون كذلك اما الذى باعادة اسم فكما اذا أعقب اسم من تقدّم الحديث عنه فكقولنا أحسنت الى زيد زيد أحقّ باحسانك . وقولنا - زيد أحقّ باحسانك - جواب عن سؤال كأنه قيل وما وجه الاحسان الى زيد فقيل زيد أحقّ باحسانك فيكون هذا السؤال محذوفاً . وأما الذى باعادة صفة فكقولنا أحسنت الى زيد صديقك القديم هو أحقّ بذلك . تقديره وما وجه الاحسان الى زيد فقول - لانه صديقك القديم - وهذا أحسن من اعادة الاسم لاشتماله على سبب الاحسان . . وأما الذى ليس كذلك فكقوله تعالى « ألمّ ذلك الكتاب لاريب فيه » الى قوله « وأولئك هم المفلحون » فقوله - أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون - استثاف وهو جواب اسؤال مقدّر كأنه قيل وما يحصل لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات فقيل انهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون وكذلك قوله تعالى « إني آمنتُ برَبِّكم فاسمعونِ قيل ادخل الجنة » فقوله - قيل ادخل الجنة - جواب عن سؤال كأنه قيل وما فعل بهذا فقيل قيل له ادخل الجنة وانما لم يقل قيل له لأن ذلك معلوم . وكذلك قوله تعالى « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم » فان قرئ « فسوف تعلمون » لم يكن فيه استثاف وان قرئ سوف تعلمون كان ذلك كأنه قيل وم يكون اذا عَمِلنا نحن على مكانتنا وعَمِلت أنت على مكانتك

فَقِيلَ « سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ » . وَثَانِيهَا أَنْ لَا يَكُونَ الْمَحْذُوفُ اسْتِفْهَامًا
وَذَلِكَ كَمَا إِذَا كَانَ مَسِيئًا وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ سَبِيهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْعَرْشِ »
إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ « كَأَنَّهُ قَالَ وَمَا كُنْتُ مِنَ
الشَّاهِدِينَ لِمَا جَرَى لِمُوسَى عَلَيْهِ وَلَكِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَسَبَبَ هَذَا الْوَحْيِ أَنَا أَنشَأْنَا
قُرُونًا إِلَى زَمَانِكَ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَى مَدَّةِ الْفَتْرَةِ فَتَنَسَّى مَا كَانَ جَرَى
فَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَيَكُونُ الْمَحْذُوفُ هُوَ السَّبَبُ وَالْمَذْكُورُ الدَّالُّ عَلَيْهِ هُوَ سَبِيهِ . وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى « وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتَنِي » . . (وَأَمَّا الرَّابِعُ فِي أَقْسَامِهِ)
أَمَّا أَقْسَامُهُ فَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَقْوَالُ أَرْبَابِ عِلْمِ الْبَيَانِ عَلَى أَنَّ الْمَحْذُوفَاتِ عَلَى قَسْمَيْنِ حَسَنَةٍ
وَقَبِيحَةٍ . أَمَّا الْقَبِيحَةُ فَهِيَ أَنْ يَخْلُ الْمَحْذُوفُ بِالْمَعْنَى أَوْ يَحْطَهُ عَنْ رَتْبَتِهِ وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ
• وَأَمَّا الْحَسَنَةُ فَهِيَ عَلَى قَسْمَيْنِ . جَلٍّ • وَمُفْرَدَاتٍ • فَأَمَّا الْجَلُّ فَهِيَ عَلَى قَسْمَيْنِ .
مَوْجِزَةٍ • وَمَطْوَلَةٍ • . فَاَلْمَوْجِزَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى « وَاللَّائِي يَدْنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ
إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ » تَقْدِيرُهُ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ فَعِدَّتُهُنَّ
كَذَلِكَ • وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْفَصْلِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا مِنْ نَظَائِرِهِ كَثِيرٌ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ
مَشْحُونٌ بِهِ • . وَأَمَّا الْجُلُ الْمَطْوَلَةُ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى « إِذْ هَبْ بَكْتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ » .
الْآيَةُ . فَأَعْقَبَهُ بِقَوْلِهِ حِكَايَةً عَنْهَا « قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ كِتَابٌ كَرِيمٌ »
تَقْدِيرُهُ فَأَخَذَ الْكِتَابَ فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ فَرَأَتْهُ الْمَرْأَةُ بَلْقَيْسُ وَقَرَأَتْهُ - وَقَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ -
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « يَا بَحِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا » فِيهِ مَحْذُوفٌ
مَطْوَلٌ تَقْدِيرُهُ فَلَمَّا وَلَدَ بِحِيٍّ وَنَشَأَ وَتَرَعَرَعَ قَلْنَا لَهُ - يَا بَحِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ -
• . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ
حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ
أَمْرِي » تَقْدِيرُهُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى وَوَجَدَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ - قَالَ يَا هَرُونَ - • وَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي » إِلَى قَوْلِهِ « قَالَ
نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا » • وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « أَفَنُشْرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ » فِيهِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ أَفَنُ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ كَمَنْ أَقْبَى
(١٠ - فَوَائِدُ)

قلبه وتركه على ظلمة من كفره ودل على المحذوف قوله تعالى «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ
عن ذكر الله» وذلك في القرآن العظيم كثير جداً (وأما المفردات) فهي ثلاثة
أقسام • أسماء • وأفعال • وحروف • أما الأسماء فهي أنواع • الأول حذف الفاعل
وقد اختلف في حذفه فنص على منع حذفه ابن جنى وكثير من النحويين والحق
جوازه إذا وجد ما يدل عليه كقوله تعالى «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» تقديره إذا بلغت
الروح التراقي • ومنه قوله تعالى «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» تقديره حتى توارت الشمس
ومن ذلك قوله تعالى «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ» تقديره فلما جاء الرسول سليمان • الثاني
حذف المفعول وهو على ثلاثة أقسام • الأول حذفه من كل فعل ليس له مفعول معين
بل يكون المقصود من الكلام بيان حال الفاعل فقط • ومنه قوله تعالى «هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أي هل يستوى ذو العلم ومن لا علم له • وفي مثل
هذا يتعين أن لا يُعدى الفعل لفظاً ولا تقديرًا ويكون حاله كحال غير المتعدى فان عدتيه
تخصه بما تعدى به اليه فينقص الغرض • ومن ذلك المحذوف من الأفعال التي لها مفعول
معين وحذفه لأمر • الأول أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك دأبه لا بيان
حال المفعول • مثاله قوله تعالى «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ
يَسْقُونَ» الى قوله «فَسَقَى لَهُمَا» حذف المفعول من أربعة مواضع إذ لو أضافه الى
الغنم مثلاً لتوهم أن الإنكار إنما جاء من ذود الغنم لا من مطلق الذود كما تقول مالك
نمنع أخاك • وكلُّ محلٍّ بالمقصود ومثله قول الشاعر

هُمْ خَلَطُونَا بِالْفُوسِ وَالْجُؤَا إِلَى حِجْرَاتٍ أَدْفُتْ وَأُظْلَتْ

أراد الْجُؤَا وَأُظْلَتْ وَأَدْفُتْ حذف فكأنه قد أبهم أمره ولم يقصد شيئاً يقع عليه فلو
قال أَدْفُتْ وَأُظْلَتْ لكان الأمر مختصاً بهم وبطل الغرض • الثاني أن يكون المقصود
ذكره إلا أنك لا تذكره إيهاماً بأنك لا تقصد ذكره كقول البحرى

شَجْوُ حُسَادِهِ وَغَيْظُ عُدَاةٍ أَنْ يَرَى مُبْصَرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ

المعنى أن يرى مبصرٌ محاسنه ويسمع واعٍ أخباره • • الثالث أن يحذف لكونه مبيناً
كقولك - أصغيتُ إليك - أي أذنى • و - أغضيتُ عنك - أي جفنى • • وقال

ابن الاثير حذف المفاعيل على قسمين . الاول حذف مفاعيل غلب حذفها على اثباتها كمفعول المشيئة والارادة في باب الشرط وباب لو أو كمفعول الاقسام . فأما حذف مفعول المشيئة والارادة في باب لو وباب الشرط ففي القرآن العظيم منه كثير . منها قوله تعالى « ولو شاء الله ما اقتتلوا » تقديره ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا فحذف مفعول المشيئة لدلالة ما بعده عليه . ومنه قوله تعالى « ولو شاء لهداكم » تقديره ولو شاء الله هدايتكم كلكم لهداكم أجمعين . ومنه قوله تعالى « ولو شاء الله ما فعلوه » ومثله في القرآن كثير . وقد^(١) ومنه قوله تعالى « لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناهم من لدنا » . ومنه قوله تعالى « لو أراد الله أن يتخذ ولدأ » . . . وقد ظهر مفعول المشيئة في قول الشاعر

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتك عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

.. وأما حذف مفعول الافساد فنه قوله تعالى « إن الله لا يحب المفسدين » . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » . وقوله تعالى « يفسدون في الأرض ولا يصلحون » . وقوله تعالى « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها » وهو كثير . . . الثاني ما يحذف لدلالة السياق عليه . فنه قوله تعالى « يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » تقديره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله القابض الباسط . وقوله تعالى « وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون » تقديره وما يشعرون أنهم لا نفسهم يخادعون ونحوه (ونذكر) هاهنا قاعدة يبنى عليها حكم الفاعل والمفعول وهو أن العرب ينظرون الى مقصود الافادة في هذا الباب ونحوه فان كان المقصود نسبة الفعل الى الفاعل اقتصروا عليه فقالوا - فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع . والله يحيي ويميت - لانه ليس الغرض ذكر المعطى والمنوع والموصول والمقطوع والحيا والممات ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الافعال . فان كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعرضوا للفاعل كقوله تعالى

(١) كذا في الأصل . . . والظاهر أنه أراد وأما حذف مفعول الارادة في باب

الشرط وباب لو ففي القرآن منه كثير ومنه الخ

« قَتَلَ الْخُرَاصُونَ » • وقوله تعالى « قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » • وقوله تعالى « كَتَبُوا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » • وقوله تعالى « أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَتَبُوا » • وقوله تعالى « لِنَعْلُوا بِمَا قَالُوا » ليس الغرض من هذا ذكر السكابت ولا القاتل ولا اللاعن ولا المبسل وإنما الغرض نسبة القتل واللعن والسكبت والابسال الى المذكورين • وان تعلق الغرض بالفاعل والمفعول أتوا بهما كقوله تعالى « خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » • وقوله « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ » • وقوله « بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ » • وقوله « فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ » • • ومن ذلك حذف ضمائر الموصولات • ومنه قوله تعالى « أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا » تقديره أهذا الذي بعثه الله رسولا • وقوله تعالى « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ » تقديره إنكم وما تعبدونه أو تعبدونهم • وقوله تعالى « وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ » تقديره وما ذرأه • وقوله تعالى « وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » تقديره خلقه الله • ومنه في القرآن العظيم كثير • • الثالث حذف المضاف تارة والمضاف اليه أخرى وإقامة أحدهما مقام الآخر • • أما حذف المضاف فكقوله تعالى « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا » وكذلك « إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ » أي فتحت سُدُودُهُمْ • وربما نكرت المحذوف كما في قوله « فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ » يريد من أثر حافر فرس الرسول • • ومنه قول الشاعر

إذا قامت تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرْفَلُ

• • وأما حذف المضاف اليه فهو أَقْلٌ استعمالاً • ومنه قوله تعالى « لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ » أي من قبل ذلك ومن بعده • • الرابع حذف الصفة تارة وحذف الموصوف أخرى • أما حذف الصفة فكقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد • أي لا صلاة تامة أو كاملة • وأما حذف الموصوف فأكثره في النداء والمصدر • • أما النداء ففي قوله تعالى « يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ » تقديره يا أيها الرجل الساحر • وكذلك « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » تقديره يا أيها القوم الذين آمنوا • وقوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ » تقديره يا أيها القوم المؤمنون • • وأما المصدر فكقوله تعالى

« وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا » وقد يحى في غير النداء كما في قول البحرى

في أخضر ماس على أصفر يحال في صبغته ورس

يريد على فرس أصفر . . الخامس حذف الشرط تارة وحذف الجزاء أخرى واقامة
أحدها مقام الآخر . . أما حذف الشرط فكقوله تعالى « يا عبادى الذين آمنوا إن
أرضى واسعة » أى فاذا كنتم فى أرض لا تتمكنوا فيها من عبادتى فإياى فاعبدون فى
غيرها . وقوله تعالى « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية » أى فإن
لم يخلق فعلية فدية . . وأما حذف جزاء الشرط فكقوله تعالى « قل أرايتم ان كان
من عند الله وكفرتم به » معناه ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين .
ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » . . السادس
حذف القسم تارة وجوابه أخرى . . أما حذف القسم فكقوله لا ضربن زيداً . أى
والله لا ضربن زيداً . وكقوله تعالى « وإن منكم إلا واردها » تقديره وإن منكم والله
إلا واردها . ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله لن يرد النار إلا تحلة القسم . ومنه
قوله تعالى « لنباؤن فى أموالكم وأنفسكم » . وقوله تعالى « لترون الجحيم » وهو فى
القرآن العظيم كثير . . أما حذف جواب القسم فكقوله تعالى « والشفع والوتر
والليل إذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر » معناه وحق هذه لأعذب هؤلاء .
يدل على المحذوف قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » . وقوله تعالى « ق والقرآن
الحجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجب » معنى
- ق والقرآن الحجيد - لتبعث ويدل على ذلك قوله « أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع
بعيد » . . السابع حذف جواب - لو - وهو فى القرآن كثير . من ذلك
قوله تعالى « ولو ترى إذ فرعوا فلا قوت وأخذوا من مكان قريب » . تقديره
لأريت أمراً هائلاً ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « لو أن لى بكم قوة أو آوى الى
ركن شديد » تقديره لمنعتكم ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « ولو أن قرآناً
ُسرت به الجبال » تقديره لكان هذا القرآن . . الثامن حذف جواب - لولا -
كقوله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم » تقديره لمسا

أُنزلَ عليكم ستر هذه الفاحشة . وكذلك قوله تعالى « ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتهُ
وَأَنَّ اللهَ رؤوفٌ رحيمٌ » تقديره لعجل لكم العذاب . ويدل على المحذوف في هاتين
الآيتين ما تقدمهما .. التاسع حذف جواب - لما - وهو في القرآن كثير . من
ذلك قوله تعالى « فلما أَسْلَمَا وتَأْتَاهُ للَجَبِينِ ونَادَيْتَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قد صدقتَ الرُّؤْيَا »
تقديره كان ما كان من اغتباطهما بما أنعم الله عليهما من دفع ذلك البلاء .. العاشر
حذف جواب - أمّا - كقوله تعالى « فأما الذين اسودَّتْ وجوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بعد
إِيمَانِكُمْ » تقديره فيقال لهم - أَكْفَرْتُمْ بعد إيمانكم - .. الحادى عشر حذف جواب
- اذا - كقوله تعالى « واذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وما خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
وما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » تقديره - واذا قيل لهم اتَّقُوا
ما بين أَيْدِيكُمْ وما خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ - أعرضوا - وما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ
إِلَّا كَانُوا أَيْضاً عَنْهَا مُعْرِضِينَ - (قال المصنف عفا الله عنه) هذه الأجوبة المحذوفة
بعضها يصلح أن يكون في باب حذف الجمل وبعضها يصلح أن يكون في باب الافعال
لكن الأئمة أوردوها هكذا فأوردناها كما أوردوها والمتأمل اللوذعى لا يخفى عليه ذلك
.. الثانى عشر حذف المبتدأ تارة والخبر أخرى .. أما حذف المبتدأ فكقول المستهل
- الهلال والله - معناه هذا الهلال . وكذلك قول من شتم رائحة طيبة - المسك والله -
وكذلك من رأى شخصاً فقال - عبدُ الله ورب الكعبة - أى هذا عبد الله . وحذف
المبتدأ في القرآن العظيم كثير . منه قوله تعالى « وقالوا ساحرٌ كذابٌ » تقديره
فقالوا - هذا ساحر كذاب - ومنه « إِلَّا قَالُوا ساحرٌ أَوْ مجنونٌ » وقالوا أساطيرُ
الأولين .. وأما حذف الخبر فكقول بعضهم - خرجتُ فاذا السبع - تقديره
قائمٌ أو رابضٌ . وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « وطعامُ الذين أوتوا
الكتابَ حلٌّ لكم وطعامُكم حلٌّ لهم » والمحصناتُ من المؤمناتِ » تقديره والمحصنات
من المؤمنات كذلك وقول الله تعالى « فصبرٌ جميلٌ » شاهد للوجهين يجوز أن
يكون من باب حذف الخبر ومن باب حذف المبتدأ فإن جعلته من حذف المبتدأ كان
التقدير فالأمر أبو فأمرى صبر جميل وإن جعلته من باب حذف الخبر يكون التقدير

فصبر جميل أجل . . . وقد يحذفان جملة وهو قليل . ومنه قوله تعالى « واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن » تقديره واللاتي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر (وأما الأفعال) حذفها على قسمين . الأول ما دل على حذفه بيان مفعوله كما في قوله تعالى « ناقة الله وسقياها » وكقول النبي صلى الله عليه وسلم لجابر وقد تزوج - هلا بكَرأتلاعها وتلاعبك - أي هلا تزوجت جارية بكَرَأ . وكذلك قولهم - أهلك والليل - أي أدرك أهلك وبادر الليل . ومنه في القرآن كثير . الثاني ما لا يدل عليه مفعوله ولكن يعرف بالنظر كقوله تعالى « وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا » . وقوله تعالى « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم » معناه فقيل فقد جئتمونا . وكذلك « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم » وكذلك « فاجمعوا أ你们的 وشركاءكم » والمراد فاجمعوا أكم وادعوا شركاءكم . وكذلك قوله تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » أي قاضربوا رقابهم ضربا . وكذلك قوله تعالى « وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم » تقديره فأتوه به - فلما كلمه - (وأما) حذف فعل الأمر فله مثال واحد كقوله تعالى « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة » . وقوله تعالى « أفغير الله أتتقى حكما » تقديره قل - أفغير الله أتتقى حكما - (وأما الحروف) أعني حذف الحروف التي لها معان وليست حروف الهجاء التي تكلم النحويون على اثباتها وحذفها وابدالها لأنهم أرادوا بذلك تصحيح الألفاظ وردّها إلى أصولها وليس هذا من غرضنا في هذا الكتاب إنما غرضنا الحروف التي يفيد حذفها واثباتها معنى لم يكن . . . وهي عند علماء البيان على قسمين . مفردة ومركبة (فالمفردة) مثل - الواو - التي حذفها مع ما فيه من الإيجاز يجعل للكلام بلاغة ويكون في معناه أشد وذلك لأن اثباتها يقتضي تغاير المعطوف والمعطوف عليه فاذا حذفت أشعر ذلك بأن الكل كالشيء الواحد . ومن ذلك قول أنس بن مالك رضي الله عنه - كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون لا يتوضؤون - أثبت الواو أدل على عدم الوضوء من قوله - لا يتوضؤون - . ومن هذا النوع قوله تعالى « يا أيها الذين

آمنوا لا تتخذوا ببطانة من دونكم لا بآلونكم خبالاً وذكروا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم » تقديره ولا بآلونكم خبالاً وقد بدت البغضاء . . وقد ثبت الواو فيما من شأنه أن لا يكون فيه واو فيكون ذلك أيضاً أبلغ وأحسن كما في قوله تعالى « وما أهلكتنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم » (وأما المركب) فكثير وهو على أقسام . الاول حذف - لا - في قوله تعالى « تالله تفتأ تذكر يوسف » تقديره لا تفتأ تذكر يوسف أي لا تبرح . ومنه قوله تعالى « وعلى الذين يطبقونه فدية طعمام مسكين » تقديره وعلى الذين لا يطبقونه على قول بعض المفسرين . ومثله في القرآن العظيم كثير . ومنه قول امرئ القيس

فقلتُ يمينَ الله أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأرضاً صالى

معناه لا أبرح قاعداً . الثاني حذف - لو - وهو في قوله تعالى « ما آتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلاً بعضهم على بعض » تقديره لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق . وقوله تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » معناه لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون . ومن هذا النوع قول الشاعر

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحِ أبلي بنو الأقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقامَ بنصرى معشرُ خشنٍ عند الحفيظة إن ذو لؤثة لانا

تقديره إذا لو كنت منهم لقام بنصرى

(الحذف الفصيح) وسبب قبحه اخلاله بالمعنى . قال ابن الأثير ومن الحذف أيضاً النخل بالمعنى وهو يُطلق على ما يحذف من أصل اللفظ وهو اسقاط بعض حروفه ولا يجوز استعماله في القرآن العظيم ولا في التأليف لكنه يجوز في الشعر لأن العرب قد أوردته في أشعارها واستعماته في كلامها فحذفت بعض الالفاظ استخفافاً حذفاً لا ينخل بالباقي وتعرّض بالشبهة . فمنها قول علقمة

كأنَّ أبريقهم ظبيٌّ على شرفٍ مُفدماً بسبا الكتانِ ملثومٌ

فقوله - بسبا الكتان - يريد بسباب الكتان . وكذلك قول لبيد

* دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالَعِ قَابَانِ *

أَرَادَ الْمَنَازِلَ • وَعَلَى نَحْوِ مَنْ هَذَا جَاءَ قَوْلُ أَبِي دُوَادَ

يَذَرِينَ جَنْدَلَ جَابِرٍ بِجَنُوبِهَا فَكَأَنَّمَا تَذْكِي سَنَابِكُهَا الْحَبَا

أَرَادَ الْجَبَاحِبَ - وَالْجَبَاحِبَ - طَائِرٌ عَلَى مِثَالِ الْجُنْدَبِ الصَّغِيرِ يُرَى مِنْهُ نُورٌ ضَعِيفٌ

لَيْلًا • وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ قَلِيلٌ جَدًّا وَإِيَّاكَ أَيُّهَا الْمُؤَلِّفُ أَنْ تَسْتَعْمِلَهُ فِي كَلَامِكَ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا

وَقَدْ وَرَدَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِثْلُهُ (قَالَ الْمُصَنِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ

فِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَاعَةٌ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ أَنْ

هَذِهِ الْحُرُوفُ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا دَالٌ عَلَى كَلِمَةٍ مُحْذَفَةٍ أَكْثَرُهَا وَدَلَّ

هَذَا الْمَنْطُوقُ بِهِ عَلَى الْمَحْذُوفِ • وَقَالُوا إِنَّ مَعْنَى « أَلَمْ » أَنَا اللَّهُ الْمَلِكُ • وَقَالُوا فِي

« كَيْمَعَصٍ » أَنَّ الْكَافَ مِنْ كَافٍ وَالْهَاءُ مِنْ هَادٍ • وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْعَرَبَ

اسْتَفْتَتْ بِذِكْرِ حَرْفٍ مِنَ الْكَلِمَةِ عَنْ ذِكْرِهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهَا وَأَشْعَارِهَا فَفَهِمَتْ

الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ الْحَرْفَ • وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ

جَارِيَةٌ قَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ تَأْتِيَنِي تَذْهَنُ رَأْسِي أَوْ تَقْلِي أَوْ تَأْتِيَنِي

أَرَادَ أَنْ تَأْتِيَنِي وَتَذْهَنُ رَأْسَهُ وَتَقْلِي أَوْ تَمْسَحَ • وَقَالَ آخَرُ

نَادَوْهُمْ أَنْ تُلْجَمُوا إِلَّا تَأْتِيَنَا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ إِلَّا قَا

•• وَقَالَ آخَرُ

قَاتُ لَهَا الْأَقْفَى قَالَتْ قَافٌ لَا تَحْسِبْنِي أَنَا نَسِينَا الْأَلْحَفَ

أَيُّ قَفٍ أَنْتَ • وَمِثْلُ هَذَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ كَثِيرٌ وَإِذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ كَانَ مِنْ

الْكَلَامِ الْفَصِيحِ مَعْدُودًا وَحَسَنًا فِي التَّرْكِيبِ وَكَلِمًا يَمْدُغُورُ الْكَلِمَةُ وَاسْتَعْجَمَ مَعْنَاهَا

كَانَ فَهْمُهُ بِأَوَّلِ وَهْلَةٍ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ الْأَفْهَامِ وَجُودَةِ الْفَرَازِ وَسَلَامَةِ الطَّبَاعِ وَحَسَنِ

مَوْقِعِ الْإِفْظِ بِهِ

﴿ فَصْل ﴾

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْمَحْذُوفِ أَنْ يَكُونَ الْإِفْظُ مَرْكَبًا وَلَكِنْ لَيْسَ بِكَلَامٍ وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ

(١١ - فَوَائِد)

تعالى « قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس » تقديره وجعنا له لنجعله آية للناس فيكون المحذوف ههنا هو السبب والدال عليه هو سببه . . . وقد يكون بعكس هذا كما في قوله تعالى « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » تقديره واذا أردت قراءة القرآن فالمحذوف هنا الارادة وهي سبب القراءة ويجوز أن يكون التقدير واذا قرأت القرآن وحضرك الشيطان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم

٥- القسم الثالث والعشرون

(في التقديم والتأخير . والكلام عليه من وجوه ثلاثة)

الاول في ذكر المعنى الذى أتى به من أجله . الثانى في هل هو من المجاز أم لا . الثالث في أقسامه (أما الاول) فانهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة وملكهم للكلام وتأنّبهم به وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه وفي معانيه ثقة بصفاء اذهانهم وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزاً بليغاً وله في النفوس حسن موقع وعدوبة مذاق (وأما الثانى) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . . . فقال قوم هو من المجاز لأن فيه تقديم مارتبه التأخير كالتنقول وتأخير مارتبه التقديم كالتفاعل والمفعول به في نقل كل واحد منهما على رتبته وحقه . . . وقال قوم ليس هو من المجاز لأن المجاز نقل مما وضع له الى ما لم يوضع له (وأما الثالث) فقال علماء هذا الشأن أقسامه أربعة . . . وقالوا التقديم والتأخير لا يخلو إما أن يكون موجباً لزيادة في المعنى أو لا يكون كذلك وإما أن يكون ما قدم الاول به التقديم أو الاولى به التأخير أو يتكافأ الامران فيه . . . أما الاول فهو ما يلزم فيه زيادة معنى فلا يخلو إما أن يكون المقصود بتقديمه زيادة المعنى خاصة كقوله تعالى « اياك نعبدُ وإياك نستعين » فان المقصود بتقديم - اياك - تعظيم الله سبحانه وتعالى والاهتمام بذكره مع افادة اختصاص العبادة والاستعانة بالله تعالى لبصير الكلام حسناً متناسقاً ولو قال نعبدك ونستعينك لم يكن الكلام متناسباً . . . وكذلك

قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » فان هذا مع افادته ان نظرها لا يكون الا الى الله تعالى يفيد في جودة انتظام الكلام . وكذلك قوله تعالى « وألقت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق » . وأما ما يراد بتقديمه زيادة المعنى فقط . فانه تقديم المفعول في قوله تعالى « قل أفقر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون » . وكذلك « هل الله فاعبد » وكن من الشاكرين « فان المراد هاهنا بتقديم المفعول لتخصيصه بالعبادة ولو أخره ما أفاد ذلك فانه لو قيل ضربت زيدا لم يشعر ذلك باختصاص زيد بالضرب ولا كذلك لو قيل زيد أضربت . ومنه تقديم الخبر على المبتدأ كما في قوله تعالى « وظنوا أنهم ما نعمتهم حصونهم من الله » ولو قال وظنوا أن حصونهم من الله ما نعمتهم لما أشعر بزيادة وثوقهم بنعمها إياهم . وكذلك « أراغب أنت عن آلهي يا ابراهيم » ولو قال أنت راغب عنها ما أفاد زيادة الإنكار على ابراهيم بالرغبة عنها . وكذلك « واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخته أبصار الذين كفروا » ولم يقل فاذا أبصار الذين كفروا شاخته وكان يستغنى عن الضمير لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخص ولا اختصاص الذين كفروا بالضمير . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في البحر - هو الطهور ماؤه الحل ميتته - . وكذا تقديم الظرف في الهيئات كقوله تعالى « إن الينا إيابهم ثم إن عاينا حسابهم » . . . وتقديم الجار والمجرور كقوله تعالى « له الملك وله الحمد » فان هذا يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى . . . وأما اذا كان الظرف في النفي فان تقديمه يفيد تفضيل المنفي عنه كما في قوله تعالى « لا فيها غول » ولا هم عنها يزفون « أى ليس في خمر الجنة ما في خمر غيرها من الغول . وأما تأخيرها فانما يفيد النفي فقط كما في قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » وكذلك اذا قلت لا عيب في الدار كان معناه نفي العيب عن الدار واذا قلت لا في الدار عيب كان معناه انها تفضل على غيرها بعدم العيب . . . وأما الثاني فهو ما لا يلزم تقديمه زيادة في المعنى ومع ذلك يكون تقديمه أحسن وهذا انما يكون كذلك لانه يتعاقب بالتقدم والمتأخر أو لأمر خارج عنهما . والذي لأمر يتعلق بهما اما أن يكون ذلك بالنسبة الى شئ خارج عنهما أولا يكون كذلك . فالاول كما اذا كان التقدم أدل على قدرة الخالق من التأخير كقوله تعالى « فمنهم من

يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع . والثاني
 اما ان يكون المتقدم تأثير في وجود المتأخر أو لا يكون كذلك ^(١) . والثاني كما اذا كان
 المتقدم أكثر وجوباً كما في قوله تعالى « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات باذن الله » والاول اما أن يكون المتقدم في الوجود المتأخر بالذات أو بالعرض .
 أما الذي بالذات فكما في قوله تعالى « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحْيَ به بلدة ميتاً
 ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً » فانه قدم الانعام لان صلاح حالها سبب لصلاح
 حال الناس . وأما الذي بالعرض فكما في قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فانه
 قدم العبادة لانها وسيلة الى تحصيل الاستعانة . وأما الذي يكون كذلك لأمر خارج
 عن المتقدم والمتأخر فاما أن يكون ذلك لأجل كلام تقدم أو لا يكون كذلك . والذي
 لأجل الكلام المتقدم إما أن يكون لتعلق المذكور أولاً به أو لتعاقبه هو بالمذكور أولاً
 . والاول كما في قوله تعالى « وما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا
 في السماء » فانه قدم - الأرض - لأن هذا بعد قوله تعالى « ولا تعملون من عمل إلا
 كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه » وهذا الخطاب لأهل الأرض وعملهم يكون في
 الأرض . والثاني إما أن يكون ذلك لما يتعلق بمعنى الكلام الاول أو بلفظه . والمتعلق
 بمعناه كما في قوله تعالى « فمنهم شقي وسعيد » فانه قدم الشقي لان المراد بهذا وما قبله
 التخييف . والمتعلق بلفظه كما في قوله تعالى « فأما الذين شقوا ففي النار » ثم قال
 « وأما الذين سعدوا ففي الجنة » فان تقديم حال الاشقياء هاهنا لأجل تقديمه أولاً
 الشقي . والذي يكون كذلك لا لأجل المتقدم اما أن يكون لأجل حال في الكلام نفسه
 أو لا يكون كذلك . والثاني كما في قوله تعالى « يَهْبِ لمن يشاء أنا وإنا يَهْبِ لمن يشاء
 الذكور » فان تقديم الاناث هنا انما كان لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئته
 سبحانه وتعالى لا على وفق العباد . والاول كما اذا كان يتم بذلك السجع وذلك كما في
 هذه الآية وكما في قوله تعالى « خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه » ولو قال ثم صلّوه
 الجحيم لأفاد المعنى ولكن كان يفوت السجع فلذلك كان الاحسن تقديم الجحيم . وقيل

ان هذه الصورة تفيد أيضاً الاختصاص كما في القسم الأول . . قال الامام غفر الدين وهو الذي يظهر لى وان منعه الآخرون فهذه أسباب عشرة . وقد يجتمع في شئ واحد عدة منها فيكون تقديمه أولى واذا تعارضت أسباب روى أقواها وان تساوت كان المتكلم باختيار في تقديم أى الامرين معاً . وأما الثالث فهو الذى لا يلزم تقديمه زيادة في المعنى ويكون الاحسن تأخيره فاذا قدم كان ذلك مفاضلة معنوية وذلك كتقديم الصفة على الموصوف والعلامة على المعلول ونحو ذلك . وهذا لا يمكن وروده في القرآن لركننه وسماجته . مثاله قول الفرزدق

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حتى أبوه يقاربه

معناه وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه . وقال أيضاً

الى مملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تضاهره

معناه الى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ما أم أبيه منهم . وقال أيضاً

ولست خراسان الذى كان خالد بها أسد اذ كان سيفاً أميرها

معناه ليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفاً اذ كان أسد أميرها . والغرض مدح

خالد وذم أسد لتولى بعده (وأما الرابع) فهو ما يتكافأ تقديمه وتأخيره وهذا

كالحال فانه يقدم كقولك - جاء راكباً زيد - ويؤخر كقولك - جاء زيد راكباً -

وها سواها . وكذلك المستثنى كقولنا - ما قام إلا زيداً أحد . وما قام أحد إلا زيداً -

. وقد وقع في الكتاب العزيز آيات فيها تقديم وتأخير جارية على نمط ما تقدم .

من ذلك قوله تعالى « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » . وقوله تعالى « ولقد

كتبنا في الزبور من بعد الذكرك » على قول من قال إن الذكرك هاهنا القرآن . .

وقال بعض العلماء في قوله تعالى « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه »

أن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه هم بها

وهذا حسن لكن في تأويله قلق ولا يضطر الى هذا التأويل إلا على قول من قال

ان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر . وأما على قول من قال ان الصغائر يجوز

وقوعها منهم فلا يضطر الى هذا التقديم والتأخير . . ومنه أيضاً قوله تعالى « اقتربت

الساعةُ وانشقَّ القمرُ • وقوله تعالى « فجاءه غُثَاءٌ أَحْوَى » والتقدير فجاءه أَحْوَى
غُثَاءٌ • ومنه قول الشاعر

طافَ الخيالُ وأين منكِ لَمَامَا فارْجِعْ لَزَوْركِ بالسلامِ سلاما

تقديره طاف الخيال لَمَامَا وأين منك • • وقال الفرزدق

نُفِّقُوا مَنْ لَمْ تَنْلُهُ سِيوفُنَا بِأَسَافِنَا هَامَ الْمُلُوكِ الْقِمَامِ

تقديره نفلق بأسافنا هَامَ الْمُلُوكِ الْقِمَامِ ومن لَمْ تَنْلُهُ سِيوفُنَا - وهَا - لَتَنْبِيهِ تقديره تنهبوا
لهذا المعنى • وإنما دعاه الى التقديم والتأخير ايقاع اللبس على السامع وجهه - له من
باب الالغاز

❦ القسم الرابع والعشرون ❦

في الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظة واحدة

والجمع بينهما عند من رآه مجازاً لانه استعمال اللفظ في غير ما وضع له فانه وضع للحقيقة
وحداهم استعمال فيها وفي المجاز • وله أمثلة

أحدها في قوله تعالى « أوأنتك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »
- ولعنة الله - ابعاد - ولعنة الملائكة والناس - دعاؤهم بالابعاد وقد جمعهما في لفظة
واحدة ومن لا يرى ذلك يقدر أوأنتك عليهم لعنة الله ولعنة الملائكة فيكون من مجاز
الحذف • والثاني منه قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » - الصلاة -
حقيقة في الدعاء مجاز في اجابة الدعاء لان الاجابة مسببة عن الدعاء فصلاة الملائكة
حقيقة لانها دعاء وصلاة الله من مجاز التعبير بلفظ السبب الذي هو الدعاء عن السبب
الذي هو الاجابة وقد جمع بينهما في قوله - ان الله وملائكته يصلون على النبي -
فيكون الضمير في - يصلون - لله والملائكة وجمعه معهم في الضمير مستكره فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنكّر على بعض خطباء العرب قوله - ومن يعصهما فمقو غوي -

وقال بش خطيب القوم أنت • وقد جمع بينهما عليه الصلاة والسلام في قوله - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما - في قوله عليه الصلاة والسلام - فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم - وإنما أنكر على الاعتراف بالجمع لاعتقاده التسوية بينهما والرسول عليه الصلاة والسلام آمن من ذلك • ومن لا يرى الجمع بين الحقيقة والمجاز يقدر أن الله يصلي على النبي وملائكته يصلون على النبي فيكون يصلون على النبي حقيقة في حق الملائكة ويكون يصلي المقدرة مجازاً في حق الله • وكذلك القول في قوله تعالى « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » في الجمع بين الحقيقة والمجاز وافرادهما • ومثل هذا قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » لو قال أحق أن يرضوهما لكان جامعاً بين الله ورسوله في الضمير وبين الحقيقة والمجاز فإن رضى الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقى ورضى الله تعالى مجازى • ومن لا يرى ذلك يقول والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه كقول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

وهذه الأربعة وعشرون قسماً التي ذكرناها من أقسام المجاز تحت كل قسم منها أقسام كثيرة يعرف ذلك من تأملها ونظر فيها • وحيث انتهى الكلام في الفصاحة والبلاغة والحقيقة والمجاز فلنأخذ في ذكر ما تضمنه الكتاب العزيز من فنون البلاغة وعيون الفصاحة وضروب علم البيان وبدائع البديع وأجناس التجنيس • • ولنبداً من ذلك فيما يتعلق بالمعاني ثم نتلوه بما يتعلق بالألفاظ والاعتماد في ذلك معونة الله تعالى وتوفيقه وتيسيره وهدايته إلى الصواب والارشاد إلى ما يؤدى إلى جزيل الثواب وحسن المآب • • أما ما يختص بالمعاني فيقسم إلى أقسام

قسم القسم الأول

(التناصب • ويسمى التشابه أيضاً)

وهو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر • والقرآن العظيم كله متناصب

لا تنافر فيه ولا تباين . . . ومنه قول النابغة

الرفق يُنُّ والأناةُ سعادةٌ فاستأن في رفق تنالُ نجاحا

والياسُ عِمَاقَاتُ يُعَقِّبُ رَاحَةً ولرُبِّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ ذِباحا

ويسمى التشابه أيضاً . . . وقيل التشابه أن تكون اللفاظ غير متباينة ولكن متقاربة في الجزالة والمثانة والدقة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لالفاظها . من غير أن يكسب اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد بل يصاغان معاً صياغة تتناسب وتلائم حتى لا يكون الكلام كما قيل

وبعض قريض القوم أولادُ علةٍ يُكَلُّ لسانُ الناطقِ المتحفِّظِ

(قال المصنف عفا الله عنه) المناسبة عند أرباب هذا الشأن على قسمين . معنوية . ولفظية . فالمعنوية أن يتدعى المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه في المعنى دون اللفظ . ومنه قوله تعالى « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » أخبر سبحانه في فاصلة الآية بأنه قوى عزيز ليدل على أن تلك الريح التي أصابت المشركين ليست اتفاقاً وليست هي من أنواع السحر بل هي من إرساله على أعدائه كعادته وسنته في أمثاله من نصره لعباده المؤمنين مرة بالقتال كيوم بدر ومرة بالريح كيوم الاحزاب ومرة بالرعب كبنى النضير وأن النصر من عند الله لا من عند غيره ولهذا لم ينصرهم حين خالفوا نبيهم يوم أحد وحين أعجبتهم كثرتهم يوم حنين وبعد ذلك كانت العاقبة لهم . وقد صرح سبحانه وتعالى في قوله « وما النصر إلا من عند الله » . وقوله تعالى « إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَانْ يَخْذَلْكُمْ فَلاَ مَنْ دُونِ الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِهِ » ولو اقتصر على الآية ولم يذكر فيها - والله قوى عزيز - تخفي هذا المعنى وغرض التيسر الأمر فيه وأشكل . . . وأما المناسبة اللفظية فهي أيضاً على قسمين . تامة . وغير تامة . فالتامة أن تكون الكلمات مع الإبراز مقفاة . والاخرى ليست بمقفاة فالتقفية غير لازمة للمناسبة . . . فمن المناسبة التي ليست بمقفاة قوله تعالى « ق وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ لَلْعَجِيبِ مَا جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ » وما سوى هذه التامة كقوله سبحانه وتعالى « ن وَالْقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ ما أُنْتِ

بسمِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ نَمْنُونٍ » .. ومن التامة في السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يرقى به الحسن والحسين عليهما السلام أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فقال صلى الله عليه وسلم - لامة - ولم يقل لامة . وقوله صلى الله عليه وسلم - مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى بحسن المناسبة . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم - ارجعن مأزورات غير مأجورات والمستعمل - موزورات - لانه من الوزر غير مهموز فلفظ به صلى الله عليه وسلم لمكان المناسبة اللفظية التامة . وأما ما جاء من السنة الغير مفقاة فكقوله صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الموطون أكنافاً فناسب صلى الله عليه وسلم بين - أخلاق وأكناف - مناسبة أبراز دون تفقية . ومما جمع بين المناسبتين قوله صلى الله عليه وسلم في بعض أدعيته اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قاي . وتجمع بها أمرى . وتلم بها شعنى . وتصلح بها غائبي . وترفع بها شاهدى . وتزكى بها علمى . وتلهينى بها رشدى . وترد بها الفى . وتعصنى بها من كل سوء اللهم انى أسألك الفوز فى القضاء . ومنزل الشهداء . وعيش السعداء . والنصر على الاعداء فناسب صلى الله عليه وسلم بين - قاي وأمرى - مناسبة غير تامة بالزنة دون التفقية ثم ناسب بين - الشهداء والسعداء - مناسبة تامة بالزنة والتفقية

❦ القسم الثانى ❦

(التكميل)

وهو أن يأتى المتكلم أو الشاعر بمعنى من . معانى المدح أو غيره من فون النظم والنثر ثم يرى مدحه فيه اقتصاد وقصور عن الغرض وانه يحتاج الى تكميل بزيده بياناً وإيضاحاً فيكمله بمعنى آخر . فن ذلك قوله تعالى « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » أدلة على المؤمنين أعززة على الكافرين » فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه

وتعالى علم وهو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين وإن كانت صفة مدح
إذ وصفهم بالرياضة لآخوانهم المؤمنين والانتقاد لآمرهم كان المدح غير كامل فكمل
مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين فأثنى بوصفهم بالامتناع منهم والغلبة لهم
• وكذلك قوله تعالى « محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم »
• ومثاله من النظم قول كثير عزة

ولو أن عزة خاومت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها

القسم الثالث

(التنقيم)

وهو أن تردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه إلى الفهم وتزيل عنه الوهم
وتقرره في النفس • فمن ذلك قوله تعالى « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم »
• وقوله تعالى « ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » ومثاله في
القرآن كثير • ومثله قول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
• • وقال آخر

كان قلوب الطير حول خبائنا وأرسلنا الجزع الذي لم يتقب
تم المعنى بقوله - الحشف البالي • والجزع الذي لم يتقب -

القسم الرابع

(التقسيم)

وهو آلة الحصر ومظنة الأحاطة بالشيء • مثل قوله تعالى « والله خلق كل دابة من

ماء ففهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين « الى قوله « ما يشاء »
ومنه قوله تعالى « له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً » . ومثله
في القرآن كثيرٌ وخصوصاً في سورة براءة . ومثله في كلام العرب قول زهير بن أبي سلمى
وأعلم ما في اليوم والامس قباهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عسى
• • • وذكر ابن الأثير في جامعه أن أرباب علم البيان لم يريدوا بالتقسيم القسمة العقلية
كما يذهب اليه المتكلمون فان القسمة العقلية تقتضي أشياء مستحيلة كما قالوا الجواهر
لا يخلو إما أن تكون مجتمعة أو مفترقة أو لا مجتمعة ولا مفترقة أو مجتمعة ومفترقة معاً أو
بعضها مجتمع وبعضها مفترق ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء
الاقسام جميعها وان كان من جملتها ما يستحيل وجوده فان الشيء لا يكون مجتمعاً مفترقاً
في حالة واحدة • وانما أرادوا بالتقسيم ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده وهو أن يأتي
المؤلف الى جميع أقسام الكلم المحتملة فيستوفيها غير تارك منها قسماً واحداً • فن ذلك
قوله تعالى « ثم أوزننا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيراتِ باذنِ الله » فانه لا يخلو العالم جميعه من هذا التقسيم
إما عاصٍ ظالم لنفسه وإما مطيع مبادر الى الخيرات وإما مقتصد بينهما وهذا من أصح
التقسيمات وأكملها فاعرفه • • • ومن هذا المعنى قوله تعالى « وكنتم أزواجاً ثلاثةً
فأصحابُ الميمنةِ وأصحابُ الميمنةِ وأصحابُ المشئمةِ وأصحابُ المشئمةِ والسابقون السابقون »
الآية • اعلم أن هذه الآية مماثلة في المعنى لما سبق ذكره - وأصحاب المشئمة - هم
الظالمون لأنفسهم - وأصحاب الميمنة - هم المقتصدون - والسابقون - هم السابقون
بالخيرات • وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « هو الذي يُريكم البرق خوفاً وطمعاً »
ألا ترى الى براعة هذه القسمة فان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطماع وليس لهم
ثالث • وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة المنتصين في صدرها يعجبون بقول بعض
العرب في هذا المعنى ويقولون ان ذلك من أصح التقسيمات وهو قوله - النعم ثلاث •
نعمة في حال كونها • ونعمة ترجى مستقبله • ونعمة تأتي غير محتسبة • فأبقى الله عليك
بما أنت فيه • وحقق ظنك بما ترجيه • وتفضل عليك بما لم تحسبه • فقالوا انه ليس في

أقسام النعم التي يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى ما ذكره الاعرابي وهذا القول فاسد وهو أن في أقسام النعم التي قسمها ههنا نقصاً لا بد منه وزيادة لاحاجة إليها أما النقص فإغفاله ذكر النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد النعمة المستقبلية التي تأتي غير محتسبة وهذا خطأ فإن النعمة التي تأتي غير محتسبة هي داخلة في قسم المستقبلية وذلك أن النعمة المستقبلية تنقسم الى قسمين . أحدهما يرجى حصوله ويتوقع بلوغه . والآخر لا يحتسب ولا يشعر بوجوده . فقوله - ونعمة تأتي غير محتسبة - يوهم أن هذا القسم غير المستقبل وهو داخل في جماته ولو قال - ونعمة مستقبلية - من غير أن يقول - ونعمة تأتي غير محتسبة - لكان قوله كافياً إذ النعمة التي ترنجى والنعمة التي لا تحتسب يدخلان تحت قسم المستقبل وكان ينبغي أن يقول - النعم ثلاث . نعمة ماضية . ونعمة حال كونها . ونعمة تأتي مستقبلية . فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها - ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الخطاب فافهم ما ذكرناه وقس عليه . . . وقف اعرابي على مجلس الحسن فقال رحم الله من أعطى من سعة . أو آسى من كفاف . أو آثر من قلة فقال الحسن مترك لأحد عذراً فانصرف الاعرابي بخير كثير . . . ومن هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه وذلك أنه أخذ على جميل قوله

لو أن في قافي كقدر قلامةٍ حُباً وسانتكِ أو أتتكِ رسائلِي

فقال أبو هلال إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل . وليس الأمر كما وقع له فإن جميلاً إنما أراد بقوله - وسانتك - أي أتيتك زائراً أو قاصداً أو كنت راسلتك مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين القسمين إما رسالة أو زيارة . . . وقال ابن الأثير ومن أعجب ما شاهدته في هذا الباب ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامبي وهو قول العباس بن الاحنف

وِصَالِكُمْ هَجْرٌ وَهَجْرُكُمْ قِلَالٌ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلَامُكُمْ حَرْبٌ

ثم روى المشار اليه عن أبي القاسم الأمدى أنه قال إن بعض نقدة الكلام من البلاء لما سمع هذا البيت قال والله هذا أحسن من تقسيمات أفلدس . ومن المعجب كيف

ذكر الغامى ذلك فى كتابه وفاته النظر فيه مع تقدمه فى هذه الصناعة • وأعجب منهما
جيماً استحسان ناقد الكلام لهذا التقسيم ألا ترى أن هذا البيت بنى عليه شئ آخر
من جنسه فانه لو أضيف اليه بيت غيره ففيل

وَلَيْسُكُمْ عُنْفٌ وَقُرْبُكُمْ نَوَىٰ وَإِعْطَاؤُكُمْ مِّنْعٌ وَصِدْقُكُمْ كَذِبٌ

لجاز ذلك ويحتمل أن يزداد على هذا البيت بيت آخر ثالث ورابع ولو كان التقسيم فى
البيت الاول صحيحاً لما احتمل أن يضاف اليه شئ آخر البتة لأن من صحة التقسيم أن
لا يحتمل الزيادة • • ومن نحو هذا قول بعضهم فى حق مكسورين فى الحرب فمن بين
جريح مضرّج بدماؤه • وهارب لا ياتفت الى ورائه فان الجريح قد يكون هارباً والهارب
قد يكون جريحاً ولو قال - فمن بين قتيل ومأسور وناج - لصح له التقسيم لأن المكسورين
فى الحرب الذين دارت عليهم الدائرة لا يخرجون عن هذه الاقسام الثلاثة فاما قتيل أو
مأسور أو ناج وأما الجريح فانه يدخل فى جملة الناجى والمأسور لأن كلا منهما يجوز أن
يكون جريحاً وأن لا يكون فاعرف ذلك وقس عليه

— القسم الخامس —

(المؤاخاة)

وهى على قسمين • الاول المؤاخاة فى المعانى • الثانى المؤاخاة فى الالفاظ ويكون
للكلام بها رونق لأن النفس يعرض لها عند الشعور شئ يُطلع الى مناسبة فلا يرد
إلا بعد تشوف ولا كذلك المباين فلذلك يقبح ذكر الشئ مع مباينه فى المعنى المذكور
فيه • ولذلك قبح قول السكيت

أَمْ هَلْ ظَعَانٌ بِالْعَلْيَاءِ رَافِعَةً وَقَدْ تَكَامَلَ مِنْهَا الدُّلُّ وَالشَّنْبُ

فان - الدل والشنب - لا مناسبة بينهما • وكذلك يقبح الشئ مع مباينه فى البناء • ولذلك
قبح قول أبى تلم

مُثَقَّفَاتٍ سَلَبْنَ الْعُرْبَ سَعَرَتَهَا وَالرُّؤْمَ رَقْنَهَا وَالْعَاشِقَ الْقَصْفَا
 وكان ينبغي أن يقول - والعشاق قصفها - لكن منعه الوزن والقافية فلذلك لا يعاب هذا
 على الشاعر كما يعاب على الناثر اذ المجال للناثر متسع . . . وما استقبح قول أبي نواس
 أَلَا يَا ابْنَ الَّذِينَ قَتَلُوا فَتَاتُوا أَمَّا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبَقَى
 وَمَا لَكَ فَاعْلَمْ فِيهَا مَقَامٌ إِذَا اسْتَكَمَّتْ آجَالًا وَرَزَقًا
 وكان ينبغي أن يقول - وأرزاقاً - واعلم أن استقبح تباين المباني دون استقبح تباين
 للمعاني (قال المصنف عفا الله عنه) التباين في المباني ليس بمستقبح وقد ورد في القرآن
 للعظيم منه كثير . ومن ذلك قوله تعالى « خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ »
 وكذلك قوله تعالى « حَتَّى إِذَا مَا جَاؤَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ » الآية

- القسم السادس -

(الاعتراض والحشو)

وهو أن يدخل في خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكناً وتفيد معنى آخر مع أن
 اللفظ يستقل بدونها ويلتزم بغيرها مثل قوله عز وجل « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ » . وقوله تعالى « وَلَا تَكْرِهُوا قِتْيَا تَكُمُ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصَنًا »
 أو لم يردن ولكن أفاد قوله - إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصَنًا - الاعلام بترغيب الشرع في التحصين
 وأنه مطلوبه . ومنه قوله تعالى « وَادْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ
 سُوءٍ » . وقوله تعالى « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ » (قال المصنف
 عفا الله عنه) قال ابن الأثير في كتابه الموسوم بالجامع الكبير الاعتراض الصناعي عند
 أرباب علم البيان على قسمين . الأول لا يأتي في الكلام إلا لفائدة وهو جار مجرى
 التوكيد في كلام العرب . والقسم الآخر أن يأتي في الكلام لغير فائدة فاما أن يكون
 دخوله في التأليف تخروجه منه وإما أن يؤثر في التأليف نقصاً وفي المعنى فساداً

فالأول وهو الذى يأتى فى الكلام لفائدة . فنه قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » هذا كلام فيه اعتراض
أحدهما قوله - وإنه لقسم لو تعلمون عظيم - لانه اعترض بين القسم الذى هو - فلا
أقسم بمواقع النجوم - وبين جوابه الذى هو - إنه لقرآن كريم - وفى نفس هذا
الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو - قسم - وبين صفته التى هى - عظيم -
وهو قوله تعالى - لو تعلمون - فذلك اعتراض ولو جاء الكلام غير معترض فيه
لوجب أن يكون فلا أقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم وفائدة هذا الاعتراض بين
القسم وجوابه إنما هو تعظيم لشأن المقسم به فى نفس السامع . ألا ترى الى قوله تعالى
- لو تعلمون عظيم - كيف هذا الاعتراض بين الصفة والموصوف وذلك أوقع فى
النفس لتعظيم المقسم به أى انه من عظيم الشأن ونخامة الأمر بحيث لو علم ذلك لوفى
حقه من التعظيم . . ومن ذلك قوله تعالى « ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا حَمَتَهُ
أُمُّهُ » الى « ولوالديك » الآية . ألا ترى الى هذا الاعتراض الذى طبق مفصل
البلاغة فانه لم يوث به إلا لفائدة كبيرة وذلك أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكبده
الأم من المشاق والمتاعب فى حمل الولد مما لا يتكافئه الوالد . ومن ثم قال النبى صلى الله
عليه وسلم للذى سأله فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابى قال أمك قال ثم
من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك . وفى رواية أمك ثم أمك ثم
أباك ثم أدناك فأدناك . . ومما جاء على هذا الأسلوب قوله تعالى « واذ قتلتم نفساً
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون » الى قوله « تعقلون » فقوله تعالى
- والله مخرج ما كنتم تكتمون - اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدة أن
يقرر فى أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤبني اسرائيل فى قتل تلك النفس
لم يكن نافعاً لهم فى اخفائه وكنائه لان الله تعالى مظهر لذلك ومخرجه ولو جاء الكلام
خالياً من هذا الاعتراض لكان - واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها -
ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه . . ومن
هذا الجنس قول النابغة

لعمري وما عمري على بهينٍ لقد نطقتُ بطلاً على الاقارع
فقوله - وما عمري على بهين - من محمودة ونادره لما فيه من تفخيم المقسم به . . وعلى
نحو من هذا جاء قول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا
فقوله - وأنت منهم - من الاعتراض الذي يؤكده به المعنى المقصود ويزداد به منزلة
ونبلا وفائدته هنا أن التصريح بما هو المراد يثبت في النفس ويقرره في الازهان . .
وقال بعضهم لعبد الله بن طاهر وهو أحسن ما قيل في هذا الباب

إن الثمانين وبلغتها قد أخرجت سمعي إلى ترجمان
وأمثاله كثيرة . . وأما الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان .
الاول أن يكون دخوله في التأليف كخروجه منه لا يؤثر حسناً ولا قبحاً . . فمن ذلك
قول النابغة

يقول رجالٌ يجهلون خليقتي لعلّ زياداً لا أبالك غافلُ
فقوله - لا أبالك - اعتراض لا فائدة فيه وليس مؤثراً في هذا البيت حسناً ولا قبحاً
(الضرب الثاني منه) وهو الذي يكون مؤثراً في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً .
ومنه قول بعضهم

فقد وأبيك بين لي عشاءً بوشكٍ فراقهم صرّدٌ يصيحُ
فإن في هذا البيت من ردئ الاعتراض ما اذكره وهو الفصل بين - قد - والفعل
الذي هو - بين - وذلك قبيح لقوة اتصال - قد - بما تدخل عليه من الافعال ألا
تراها تعدّ مع الفعل كالجزم منه ولذلك دخلت اللام المراد بها توكيد الفعل على - قد -
في قوله تعالى « ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك » . وفي قوله تعالى « ولقد
علموا لمن اشتراه » . . وقول الشاعر وهو الفراء السلمي

وهذا أجمعُ رجلي بها حذر الموتِ واني لغرورُ
إلا أنه إذا فصل بين - قد - والفعل بالقسم فإن ذلك لا بأس به نحو قولك - قد والله

كان ذلك . وقد ^(١) جاء هذا البيت لا خفاء بقبحه . . ومن بديع الاعتراض قول المتنبي

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى أن ما فيها وحاشاك فانيا
وهذا البيت حشو يصلح أن يكون من باب الحشو ويصلح أن يكون من باب الاحتراس
(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر أسامة في بديعه أن الحشو غير المفيد أن تأتي في الكلام بالفاظ زائدة ليس فيها فائدة مثل قول النابغة
توهمت آيات لها فعرفتها لست أعوام وذا العام سابع
. . وقال آخر

نأت سلمي فعادني صداع الرأس والوصب
فقوله - الرأس - حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يكون إلا في الرأس . . وفي الحماسة
أنبي فني لم تذر الشمس طالعة يوم آمن الدهر إلا ضرر أو نفعا
فقوله - طالعة - حشو لا فائدة فيه لأن قولهم ذرّت الشمس أي طلعت (قال المصنف عفا الله عنه) وهذه الكلمات التي ذكرها ليست بزائدة بل لها معان . . فقوله - لست أعوام وذا العام سابع - فليس بزائد وقد ورد مثله في القرآن وهو قوله تعالى « ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » وإنما قال ذلك الذي تقدم بيانه في باب التقييم وهو رفع اللبس وتقرير المعنى في النفس . . وأما قوله - صداع الرأس - فهو من الإصابة والشيء ومثل ذلك يهيا في سائر الاعضاء . . وأما قوله - تذر الشمس طالعة - فهما وإن كانا بمعنى واحد فالعرب من عاداتها أن تكرر لفظين بمعنى واحد للتأكيد . كقول الشاعر

* وهند أنى من دُونها النأي والبعد *

. . ومنه قوله تعالى « فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » . . والذي اقتضاه قول أسامة وغيره من العلماء أن الحشو على قسمين . قبيح وحسن . فالقبيح ما أشار إليه أسامة . . والحسن ما أشار إليه غيره والله أعلم

(١) يياض بالاصل

- القسم السابع -

(الالتفات)

وهو نقل الكلام من حالة الى حالة أخرى وأرباب هذا الشأن فيه على ثلاثة مذاهب ذهب قوم أنه على ثلاثة أقسام . الأول الانتقال من الغيبة الى الحضور ومن الحضور الى الغيبة كقوله تعالى « مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينِ » وعكسه الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » ولم يقل غير الذين غضبت عليهم . وكذلك قوله تعالى « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . وقوله تعالى « وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً » . وقوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولدآ لقد جئتم شيئاً إداً » ومثله في القرآن كثير ولا يخلو شئ من ذلك من حكم جزئية تليق بذلك الكلام الخاص كما في هذا الموضع وأن القول اذا اشتدل على سوء أدب على عظيم كان الأولى التعبير عنه بلفظ الغائب إذ الاقدام على ذلك قدآام الحاضر أخش وأكثر جرأة والجناب العظيم ينبغي أن يحاشى من ذلك . يبين ذلك قوله تعالى - وقالوا اتخذ الرحمن ولدآ لقد جئتم شيئاً إداً - ثم لما أن أراد توبيخهم على هذا القول عبّر عنه بالحضور لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الاهانة . . الثاني الالتفات من الماضي الى المضارع كقوله تعالى « قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين » . وكذلك قوله تعالى « أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرّجس من الأنثان واجتنبوا قول الزور » . . الثالث الالتفات من الماضي الى المستقبل وبالعكس كقوله تعالى « فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » . وقوله تعالى « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميث فآحيننا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » . وقوله تعالى « ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض » .

وقوله تعالى « وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحُمْقٌ مُنْتَهُمٌ فَلَمْ تُقَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا » • وقوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » ما في السموات • وقوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » ولا يخلو هذا عن حكمة كما في هذه الآية فإن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقياً أنه قد مضى عليه زمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه انما يثبت حال حصوله لغنى بذلك فهو في كل وقت كافر ما لم يأت بالآيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله - ويصدون عن سبيل الله - مشعراً بأنهم في كل وقت كذالك • ولا كذلك لو قال وصدوا لأن ذلك يكون مشعراً بأن صدقهم قد انقطع • • وذهب قوم الى أن الالتفات اذا انقطع الكلام يعقبه بجملة ملاقية اياه في المعنى ليكون تمجداً له على جهة المثل والدعاء أو غيرهما كقوله تعالى « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » ومن هذا النوع قول جرير

* مجازيعُ عندَ البأسِ والحرُّ يصبرُ *

• • وذهب قوم الى أن الالتفات هو أن تذكر معنى فتتوهم أن السامع اعترضه شك في ذلك أو في سببه أو علته فتذكر ما يزيل شكك كقول الاخطل

تبيينُ صلاتِ الحربِ منّا ومنهمُ اذا ما التقينا والمسلم يأذنُ

فتبين بقوله - والمسلم يأذن - كيفية ظهور المحارب منه والصحيح القول الاول وما ذكره بعده يجوز أن يكون من أنواع الالتفات • • ومن بدعيه قوله تعالى « يَوْسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ » خاطب يوسف بأعرض عن هذا والتفت الى زليخا • ومنه أيضاً قوله عز وجل « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْمٍ يَرْجِعُ طَيْفَةً » • • ومن بدعي ما جاء منه في النظم قول امرئ القيس

تطاولَ ليْلُكَ بِالْأَمْدِ وَنَامَ الْخَلْيُ وَلَمْ تَرْقُدِ
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلَيْلَةِ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ عَنِ خَيْرٍ جَاءَنِي وَخَبَرْتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر ابن الاثير في جامعه أن الالتفات على ثمانية أقسام
 ٠٠ الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » الى
 قوله « إياك نعبد وإياك نستعين » وانما فعل ذلك لفوائد وهي انه لما ذكر الحقيق بالحمد
 وأجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبية العامة والملك الخاص فعلم المعام معلوم
 عظيم الشأن حقيق بالخضوع له والاستعانة به في المهمات فخطب ذلك المعلوم الموصوف
 بتلك الصفات فقل - إياك نعبد وإياك نستعين - يامن هذه صفاته ٠ والفائدة الأخرى
 أن قوله - إياك نعبد وإياك نستعين - ليس العدول فيه اتساعا وانما عدل اليه لأن الحمد
 دون العبادة فانك تحمد نظيرك ولا تعبده فلما كان الحال كذلك استعمل لفظ الحمد
 لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال - الحمد لله - ولم يقل لك ولما صار الى العبادة التي هي
 أقصى الطاعات قال - إياك نعبد - تصرحاً بها وتقرباً منه عزاسمه بالانتهاء الى محدودة
 منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال - صراط الذين أنعمت عليهم - فصرح
 بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال - غير المغضوب عليهم - ولم يقل غير الذين غضبت عليهم
 لأن الاول موضع التقرب الى الله بذكر النعمة فلما صار الى ذكر الغضب قال - غير
 المغضوب عليهم - فجاء باللفظ منحرفاً به عن ذكر الغضب فأسند النعمة اليه لفظاً وزوى
 عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً ٠٠ ومن هذا الجنس قوله تعالى « الحمد لله الذي لم يتخذ
 ولداً » وشبهه ٠٠ الثاني الرجوع من الخطاب الى الغيبة كقوله عز وجل « هو الذي
 يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طيبة وفرحوا بها »
 الآية صرف الكلام هنا من خطاب المواجهة الى الغيبة وانما فعل ذلك وهو أنه
 ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالخبر لهم ويستدعي منهم الانكار عاينهم والتوبيخ لفعالهم
 ولو قال - حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بكم - وساق الخطاب الى آخر الآية لذهبت
 تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة ٠٠ ومن ذلك قوله تعالى « إن هذه أمتكم
 أمة واحدة وأنا ربكم فاقفون فقطعوا أمرهم بينهم » الاصل أن يعطف على الفعل
 الاول الا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعي
 عليهم ما أفسدوه الى قوم آخرين ويبيح عليهم ما فعلوه ويقول ألا ترون الي عظيم

ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وذلك مثل اختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوه . . . ومما يخطر في هذا السلك أيضاً قوله تعالى « يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملكُ السموات والأرض » الى « وكلمته » الآية . فانه انما قال « فآمنوا بالله ربى » حيث قال أولاً - إني رسول الله اليكم - لكي تجرى عليه الصفات التي أجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص المستقبل بأنه النبي الأُمى الذي يؤمن بالله وكلماته كأنما من كان أنا أو غيرى اضطراراً للنصفة وبعداً للتعصب لنفسه فقرر أولاً في صدر الآية بأنه رسول الله الى الناس وأثبت ذلك في أنفسهم ثم أخرج كلامه من الخطاب الى الغيبة لغرضين كبيرين قد ذكرتهما . الاول اجراء تلك الصفات عليه . الثانى الخروج من تهمة العصية لنفسه فافهم ذلك . . الثالث الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الامر فعل ذلك تعظيماً لمن أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيماً لأمره وبالضد من ذلك في حق من أجرى عليه فعل الأمر . فما جاء من ذلك قوله تعالى « قالوا يا هود ما جئنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » الى قوله « ما تشركون » الآية . فانه انما قال - أشهدُ الله واشهدوا - ولم يقل - وأشهدكم ليكون موازياً له ومعناه لان إشهد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما اشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجرى به على لفظ الامر كما تقول لارجل تهكماً به واستهانة - أشهد على أنى أحبك - وأمثال هذا كثير فاعرفه . . الرابع الرجوع من خطاب التنبيه الى خطاب الجمع ومن خطاب الجمع الى خطاب الواحد . فمن ذلك قوله تعالى « وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتهما قبلةً وأقيموا الصلاة وبشّر المؤمنين » ^(١) فانه توسع في هذا الخطاب فثنى ثم جمع ثم وحد فخطب موسى وهارون في ذلك عليهما السلام بالتبوء والاختيار في ذلك مما يفوض الى ثم ساق

(١) بهامش الاصل ما نصه . . . لعله خطاب لهما ولهم كتبه أبو الوفا

الخطاب لهما ولقومهما بأنخاذ المساجد وإقامة الصلاة لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى الله عليه وسلم بالبشارة التي هي الغرض تعظيماً له وتفخيماً لأمره لانه الرسول على الحقيقة . . ومن هذا النحو قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار « وما لى لا أعبدُ الذى فَطَرَنى واليه تُرْجَعُونَ » هذا عدول عن خطاب الواحد الى خطاب الجماعة واتمام الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أفرد الكلام لهم فى معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم لتلطفه بهم ومداراتهم فان ذلك أدخل فى إحاض النصيح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله - وما لى لا أعبد الذى فطرني - موضع قوله وما لكم لا تعبدون الذى فطركم الا ترى الى قوله « واليه ترجعون » ولولا أنه قصد ذلك لقال الذى فطرني واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال « إني آمنتُ بربكم فاسمعون » يريد فاسمعوا قولى وأطيعون فقد نهيتكم على الصحيح الذى لا معدل عنه لان العبادة لا تصح الا لمن منه مبدؤكم واليه ترجعون . . الخامس الاخبار عن الفعل الماضى بالمضارع وهو قسم من الالتفات لطيف المأخذ دقيق المغزى (اعلم) ان الفعل المضارع اذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لان الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يسمعها ويشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى . . فمأجاء منه قوله تعالى « والله الذى أرسل الرياح فتثيرُ سحباً فُسقناه الى بلدٍ ميث فأحيننا به الارضَ بعد موتها كذلك النشور » فانه انما قيل - تثير - مضارعا وما قبله وما بعده ماض لذلك المعنى الذى أشرنا اليه وهو حكاية الحال الذى يقع فيها إثارة الريح للسحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهتم المخاطب أو غير ذلك . . ومنه قول تأبطشراً

لقيتُ الغولَ تهوى نحو وجهي بقذري كالصحيفة صحصحن

فأضربها بلا دهشٍ فخرت صريعاً لليدين وللجرجان

لانه قصد أن يصور صورة الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يُبصرهم ويطاعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على ذلك الغول وثباته عند تلك الشدة ولو قال

فضربتها لزال تلك الفائدة التي ذكرناها ونبينا عليها . ومن ذلك قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتنبصح الأرض مخضرةً إن الله لطيفٌ خبير » ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي هاهنا الى المضارع فقال - فتصبح الأرض مخضرة - وذلك لافادة بقاء المطر زماناً بعد زمان كما قال - أنعم على فلان عام كذا فأرواح وأغدو شاكرأ - ولو قال فرحت وغدوت شاكرأ له لم يقع ذلك الموقع فافهم ما أشرنا اليه . . السادس الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع وهو عكس ما تقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن الفعل المضارع الذي لم يوجد كان أبلغ وآكد وأعظم موقعاً وأنغم شأننا لان الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وحدث وصار من الامور المقطوع بكونها وحدوثها . والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المضارع عن الماضي هو أن الفعل الماضي يخبر به عن المضارع اذا كان الفعل المضارع من الاشياء الهائلة التي لم توجد والامور المتعاطفة التي تحدث فيجعل عند ذلك مما قد كان ووُجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع اذا أخبر به عن الفعل الماضي فان الغرض بذلك شيان هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهدها . . فنسب الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع قوله تعالى « ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين » فانه انما قال - ففزع - بلفظ الماضي بعد قوله - ينفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والارض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به . . ومنه قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما أخبر الله به لصدقه وصحته كأنه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله عز وجل « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » فان - أتى - هاهنا بمعنى يأتي وانما حسن فيه لفظ الماضي لصدق اثبات الامر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة قد أتى ومضى . . وكذلك قوله تعالى « ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » فانه انما قال - وحشرناهم - ماضياً بعد - نسير - وترى - وهما مستعملتان للدلالة على أن حشرهم

قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كأنه قال وحشرناهم قبل ذلك .. السابع
الاخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع وانما فعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي وقد
سبق الكلام عليه .. فن ذلك قوله تعالى « إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب
الآخرة ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهودٌ » فانه انما آراسم المفعول هاهنا
على الفعل المضارع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع وأنه لابد من أن يكون ميعاد
مضروباً لجمع الناس وأنه الموصوف بهذه الصفة وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى
« يومَ يجمعكم ليومِ الجمعِ ذلك يومُ التغابنِ » فانك تعثر على صحة ما قلت .. الثامن
عكس الظاهر وهو أن العرب قد توسعوا في كلامهم وتجاوزوا الى غاية فيذكر كروناً كلاماً
يدل ظاهره على معنى وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه والاصل في ذلك أنك
تذكر كلاماً يعطى معناه أنه نفي لصفة شيء قد كان وهو نفي الموصوف أنه ما كان أصلاً
.. فن ذلك قول علي رضي الله عنه في وصفه مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه لا تأتي فئاته أي لا تذاع فظاهر ذلك أن ثم فئات غير أنها لا تذاع وليس المراد
ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فئات أصلاً فتذاع وهذا مثل قول الشاعر

* لا ترى الضبَّ بها فينجحُرُ *

أي ليس بها ضب فينجحُرُ

القسم الثامن

(الحمل على المعنى)

وذلك كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد للجماعة والجماعة للواحد
وحمل الثاني على لفظ الاول أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً أو غير ذلك .. وقد ورد
في القرآن العظيم وفصيح الكلام منشوراً ومنظوماً من ذلك كثير .. فأما تأنيث

المذكّر فكقوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة »
والمراد به آدم عليه السلام وأنت زوّداً الى النفس وقرئ في الشواذ من نفس واحد
.. ومنه قوله تعالى « واذ قالت الملائكة » والقائل جبريل عليه السلام وله نظائر
كثيرة في القرآن .. ومنه قول الشاعر

أبوك خليفةٌ ولدتُه أخرى وأنت خليفةٌ ذاك الكمال

.. وقال آخر

* طول الليالي أسرع في نقضي *

.. وقال آخر

أتهجرُ بيتاً بالحجاز تلفت به الخوف والأعداء من كل جانب

.. وقال آخر

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسدٍ ما هذه الصّوت

فانه ذهب بالصوت الى الاستغناء وذهب الآخر بالخوف الى المخافة .. وأما تذكير
المؤنث فقد كثر عن العرب تأنيث فعل المضاف المذكور اذا كانت اضافته الى مؤنث
فكان المضاف بعض المضاف اليه أو به أو منه ولذلك قرئ قوله تعالى « لا تنفع نفساً
إيمانها » بالتأنيث فأنث فعل الايمان اذ كان من النفس وبها . وأمثال هذا كثير في
القرآن .. ومنه قول الشاعر

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

.. وقول الآخر

* كما شرقت صدر القنار من الدّم *

— القسم التاسع —

(الزيادة في البناء)

وهو أن يقصد المتكلم معنى يغير عنه لفظتان إحداهما أزيد بناء من الأخرى فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى قصداً منه إلى الزيادة في ذلك المعنى الذي عبر عنه ولهذا إن اعشوشب واخشوشن في المعنى أكثر وأبلغ من خشن وأعشب ولهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضاً فإن ستر أبلغ من سائر وغفار أبلغ من غافر ولهذا قال سبحانه وتعالى « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً » . ومنه قوله تعالى « وكان الله على كل شيء مقتدرًا » يدل عن قادر إلى مقتدر ليشعر بالزيادة على زيادة قدرة الله تعالى والبيان عن عظم شأنه . . ومن هذا المعنى قول أبي نواس

فعفوت عن عفوة مقتدر أحات له نعم فألغاها

والعرب عادت أن تزيد في بناء الاسم ليشعر بزيادة المعنى الدال عليه . . قال الزمخشري رحمه الله رأيت أعرابياً بالحجاز يسوق جملاً عليه شقذفت فقلت ما اسم هذا فقال شقذف ثم مررنا جبل عليه كجاوة فقلت ما اسم هذا فقال شقذناف فزاد فيه لكون الكجاوة أكبر وأعلى في الندر والنتيجة . وقد رجح بعض أهل المعاني « الرحمن على الرحيم » لما فيه من زيادة البناء وهو الألف . ومثل هذا في كلام العرب كثير ليس هذا موضع استقصائه

— القسم العاشر —

(الاطالة والاسهاب . ويسمى الاطناب . والكلام عليهما من وجوه)

الاول في ذكر الغرض الذي أتى بهما من أجله . الثاني في حقيقتهما ومجازهما .

الثالث في اختلاف علماء البيان فيهما • الرابع فيما يستحسن فيهما وما يستفبح •
الخامس في أقسامهما • السادس في الفرق بينهما (أما الاول) فإن العرب جرت سنتهم
على ذلك في خطبهم ومخاطباتهم ومفاخراتهم ومقالاتهم يقصدون بذلك اظهار قدرتهم
على الكلام وتوسيعهم في النثر والنظام فيوجزون تارة وبطيلون أخرى هذا في الحقيقة
وأما في المجاز فمرادهم الدلالة على قوة مشاهدة المعنى المجازي • • وقال ابن الاثير أئى
بالاطالة والاطناب للمبالغة والمبالغة تنقسم الى أقسام كثيرة وقد سبق ذكر شئ منها
كالإخبار بالفعل الماضى عن المضارع وبالمضارع عن الماضى ومن جملة أقسام المبالغة
الاطناب وفائدته زيادة التصور للمعنى المقصود إما حقيقة أو مجازاً وهو على الحقيقة
ضرب من ضروب التأكيد (وأما الثانى) فحقيقة الاطالة الامتداد والاسترسال وأصله
في الاجرام • وأما الاطناب فحقيقته لغة الزيادة والمبالغة وأما حقيقته الصناعية فهو
زيادة في اللفظ لتقوية المعنى • • فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة فقوله تعالى
« ما جعلَ الله لرجلٍ من قَليَينِ في جوفِهِ » فإن الفائدة في قوله - في جوفه -
كالفائدة في قوله - القلوب التى فى الصدور - وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور
المطلوب عليه لانه اذا سمع صور نفسه جوفاً يشغل على قليين وكان ذلك أسرع الى
الانكار • • وأما الذى جاء منه على سبيل المجاز فنه • قوله تعالى « فانها لاتعمى الأبصار »
ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ففائدة ذكر الصدور - هاهنا أنه قد يعرف أن
العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو مصاب الحديقة بما يطمس نورها واستعماله فى القلب
استعارة ومثل فلما أريد اثبات ما هو بخلاف المتعارف من نسبة العمى الى القلوب حقيقة
ونفيه عن الأبصار احتاج هذا الأمر الى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر أن مكان العمى
إنما هو القلوب لا الأبصار • وهذا نوع من أنواع البيان عظيم الاطائف كثير المحاسن
(وأما الثالث) فقد اختلف علماء البيان فيهما فقال المحققون انهما متغايران • • وقال
أبو هلال العسكري الاطالة والاطناب سواء وهما عنده ضد الإيجاز ووافقه جمهور الائمة •
وقال أبو هلال أيضاً فى كتابه الاطناب فى الكلام انما هو بيان والبيان لا يكون إلا بالانواع
وأفضل الكلام أبينه والإيجاز للخواص والاطناب يشترك فيه الخواص والعوام ولهذا

أُطِنِبَ في السُّنْبِ السلْطَانِيَةِ لِأَفْهَامِ الرِّعَايَا • وَكَمَا أَنَّ الْإِبْجَازَ لَهُ مَوَاضِعُ فَكَذَلِكَ الْإِطْنَابُ لَهُ مَوَاضِعُ وَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِبْجَازِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْحَاجَةُ إِلَى الْإِطْنَابِ فِي مَوْضِعِهِ • قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَاطَبُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ - وَمَنْ اسْتَعْمَلَ الْإِبْجَازَ فِي مَوْضِعِ الْإِطْنَابِ وَالْإِطْنَابَ فِي مَوْضِعِ الْإِبْجَازِ فَقَدْ أَخْطَأَ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْكُتُبَ الصَّادِرَةَ عَنِ السُّلْطَانِ فِي الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ فِي الْفَتْوحِ وَتَفْخِيمِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ الْمُتَجَدِّدَةِ أَوْ فِي التَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْعَصْيَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُشْبَعَةً مُسْتَقْصَاةً • وَأَمَّا كِتَابُ الْمُهَلَّبِ إِلَى الْحِجَاجِ فِي فَتْحِ الْأَزَارِقَةِ وَهُوَ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَى الْإِسْلَامَ فَقْدَ مَا سِوَاهُ وَجَعَلَ الْحَمْدَ مُتَصِلًا بِنِعْمِهِ وَقَضَى أَنْ لَا يَقْطَعَ الْمَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ حَتَّى يَنْقُطَ الشُّكْرُ مِنْ خَلْقِهِ ثُمَّ أَنَا وَعِدْوَتُنَا عَلَى حَالَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ نَرَى فِيهِمْ مَا يَسْرُنَا أَكْثَرَ مِمَّا يَسُوؤُنَا وَيُرُونَنَا مَا يَسُوؤُهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْرُهُمْ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبًا وَدَائِبُهُمْ يَنْصُرُنَا اللَّهُ وَيُخْذِلُهُمْ وَيُعْجِزُنَا وَيُعْظِمُهُمْ حَتَّى بَاقِيَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ فَقَطَعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - فَاتِمًا حَسَنَ هَذَا الْكِتَابِ لِكَوْنِهِ فِي مَوْضِعِهِ • وَأَمَّا لَوْ كُنْتُ إِلَى الْعَامَةِ وَقَدْ تَطَلَّعْتُ نَفْسُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَتَصَرَّفْتُ بِهِمْ ظُنُونَهُمْ فِي أَمْرِهِ لَجَاءَ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ عِنْدَهُمْ وَأَعْجَبَهَا • وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِطْنَابَ بِلَاغَةً وَالتَّطْوِيلَ عَيٌّْ فَإِنَّ الْإِطْنَابَ بِمَنْزِلَةِ سُلُوكِ طَرِيقٍ بَعِيدَةٍ تَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةِ فَائِدَةٍ بِمَا تَأْخُذُ النَّفْسَ مِنْهُ مِنَ اللَّذَّةِ وَالتَّطْوِيلَ بِمَنْزِلَةِ شَكْوِكَ مَا يَبْعُدُ جَهْلًا بِمَا يَفُوتُ فِيهِذَا حِكَايَةَ كَلَامِ أَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ • وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي جَامِعِهِ عَلَى قَوْلِ أَبِي هَلَالٍ مَا أَخَذَ فَقَالَ أَمَا قَوْلُ أَبِي هَلَالٍ الْإِطْنَابُ فِي الْكَلَامِ أَمَّا هُوَ بَيَانُ فَانِ الْبَيَانِ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ هُوَ الظُّهُورُ وَالْوُضُوحُ فَيَكُونُ الْإِطْنَابُ عَلَى قَوْلِهِ ظُهُورًا فِي الْكَلَامِ وَوُضُوحًا لَا غَيْرَ وَيَلْزَمُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ ظَاهِرٍ وَاضِحٍ إِطْنَابًا سِوَاهُ كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ إِبْجَازًا أَوْ غَيْرَهُ مِنْ أَصْنَافِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَهَذَا بِمَا لَمْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ أَحَدٌ لِأَنَّ أَبَا هَلَالٍ قَدْ جَعَلَ الْإِطْنَابَ وَصْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا جَمِيعُ ضُرُوبِ الْكَلَامِ وَذَلِكَ أَنَّ الْبَيَانَ وَصَفَ يَمُومُ كُلَّ كَلَامٍ ظَاهِرٍ وَاضِحٍ مِنْ إِبْجَازٍ أَوْ تَطْوِيلٍ أَوْ تَكْرِيرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا وَقَعَ لَهُ بَلِ الْإِطْنَابُ نَوْعٌ وَاحِدٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ فَإِنَّ أَصْلَهُ فِي وَضْعِ اللَّغَةِ مِنْ أَطْنِبَ فِي الْكَلَامِ إِذَا بَالِغٌ فِيهِ كَمَا تَقْدِمُ (الرَّابِعُ) فَيُاسْتَحْسَنُ

فيهما وما يستقبح . أما الذى يستقبح منهما فهو أن يُطنب فيما لا ينبى فيه الاطناب ويطول فيما ينبى فيه الایجاز أو يطول فيما ليس فى اطالته فائدة ولا فيه زيادة معنى كما روى أن رجلاً استدعى لأداء شهادة على نكاح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأشهد أنى كنت فى يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا فى الدار الفلانية (ووصفها) من الحارة الفلانية (ووصفها) وسمى الساكنين بها من البلد الفلانى وقت كذا من النهار وقد طرق الباب غلام وذكر جنسه وأوصافه وحكاية تطول جداً . . وهذا النوع من الاطالة ليس فى القرآن العظيم منه شئ . وأما الذى يستحسن منهما فهو اطالة الكلام وترديده لتقوية المعنى فى النفس وتعظيمه والبيان قوة الملكة فى التأمل بالكلام أو لكون المخاطب لا يصل الكلام الموجز الى فهمه فهو محتاج الى بسط الكلام واتساعه حتى يفهم (الخامس) فى أقسامهما . أما أقسام الاسهاب والاطناب فقد اختلف فيه علماء علم البيان فقالوا لا يخلو إما أن يكون فى جملة واحدة أو فى جمل . . فأما الذى فى جملة واحدة فعلى قسمين . حقيقة ومجاز . أما الحقيقة فقد يكون معنى اللفظ الزائد هو معنى المذكور ويكون مغايراً له . أما الأول فكقوله تعالى « فاذا نُفِخَ فى الصورِ نفخةً واحدةً ومُحِيتِ الارضُ والجبالُ فدنَّ دَكَّةً واحدةً » . وكقوله تعالى « أفرأيتُم اللاتِ والعزى ومناةَ الثالثة الأخرى » . وكقوله تعالى « تلكَ عشرةٌ كاملةٌ » . وأما الثانى فكقوله تعالى « ما جعلَ اللهَ لرجلٍ من قلوبينِ فى جوفه » . وكقوله تعالى « إذْ تَلْقَوْنَهُ بالسَّكْمِ وتقولون بأفواهكم » . وكقوله تعالى « نَحَرٌ عَلَيْهِمُ السَّفْهُ مِنْ فَوْقِهِمْ » . . وأما المجاز فكقوله تعالى « فانها لا تَعْمى الأبصارُ ولكن تَعْمى القلوبُ التى فى الصدور » واستعمال هذا مجازاً أحسن . . وأما الذى فى الجمل فأقسامه أربعة . الاول أن تذكر أشياء كل واحد منها يخص بما لولاه لكان المفهوم من الكل واحداً كقول أبى تمام

من منة مشهورة وصنعة بكر وإحسان أغر محجل

ولو قال - من منة وصنعة وإحسان - كان المعنى واحداً . وكذلك قوله

ولمَّا سَجَّيَاتٍ تُصَيِّفُ ضِيُوفَهُ وَبُرْجِي مُرَجِّبِهِ وَيُسَالُ سَائِلُهُ
وكل هذه دلالة على زيادة كرمه .. والثاني الانبثاق والنفي وهو أن يذكر الشيء اثباتاً
ونفيّاً مع زيادة لولاها لكان ذلك تكراراً وتناقضاً كقوله تعالى « ولكنّا أَكْثَرُ
النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » . وكذلك
قوله تعالى « لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ وَاللّٰهُ عَالِمُ الْمُتَّقِينَ » مع قوله « إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَآرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » .. الثالث أن تذكر الشيء ثم
تضرب له أمثالا تشتهى كقول البحترى يصف امرأة

ذاتُ حُسْنٍ لَوْ اسْتَزَادَتْ مِنَ الْحُسْنِ إِلَيْهِ لَمَّا أَصَابَتْ مُزِيداً
فهي كالشمس بهجة والقضيب اللدن قدأ والرّيم طرّفاً وجيدا
.. وكذلك قوله

تَرَدَّدَ فِي مُحَلَّتِي سُودَدٍ سَمَاحاً مُرَجَّجاً وَبَاساً مَهِيَا
وَكَالسَيْفِ إِنْ جَشَّتْهُ صَارِخاً وَكَالْبَحْرِ إِنْ جَشَّتْهُ مُسْتَبِيَا

.. الرابع الاستقصاء في ذكر أوصاف الشيء للمدح أو الذم ونحوها كقول بعضهم
لأعلا الورى قدراً وأوفرهم حججاً وأرشدهم رأياً وأسمحهم يداً
.. وأما الإطالة فهي على قسمين . حسنة . وقييحة . كما تقدم .. فأما الحسنة فهي
على قسمين . الاول منها ما يكون بسطاً للكلام واتساعاً فيه كما ورد في القرآن العظيم
مثل قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بطولها وقصة أصحاب الكهف بذكر فروعها
وأصولها وقصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام وكثرت فوائد محمولها وقصة
ذی القرنين بطول مقولها وقصة موسى مع فرعون وكثرة فصولها . الثاني أن لا تكون
الإطالة بسبب تكرار اللفظ وهنحن نذكر أقسامه ونبيّن ان شاء الله تعالى (السادس)
في الفرق بينهما . والفرق بينهما أن الاطناب على سائر أحواله بلاغة والتطويل بعضه
عنى وركاكة .. وقال ابن الاثير الاطناب للخواص والإطالة للعوام . وهذا يحتاج الى
تفصيل وقد تقدم

القسم الحادى عشر

(التكرار والكلام فيه من وجوه)

الأول في حقيقته . الثانى في ذكر الفائدة التى أتى به من أجلها . الثالث في أقسامه . الرابع في ذكر ما يتبها فيه التكرار الحسن منه والقيبح (أما الأول) حقيقة التكرار أن يأتى المتكلم بلفظ ثم يعينه بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً أو يأتى بمعنى ثم يعينه وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثانى فإن كان متحد الالفاظ والمعانى فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس وكذلك إذا كان المعنى متحداً . وإن كان اللفظان متفقان والمعنى مختلف فالفائدة في الاتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين (وأما الثالث) فأقسامه ثلاثة . الأول ما يتكرر لفظه ومعناه متحد . الثانى ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف . الثالث ما يتكرر معنى لا لفظاً . . . أما ما يتكرر لفظه ومعناه متحد فنه قوله تعالى « فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر » . وكقوله تعالى « أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » كرر - أولئك - وكذلك قوله تعالى « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » . وكذلك قوله تعالى « فلما أن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَا يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قُتِلَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ » كرر - أن - في أربعة مواضع تأكيداً . وكذلك قوله تعالى « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين » ومثله في القرآن كثير . . . ومن هذا النوع قول الشاعر

* ألا يا سلمى ثم سلمى نمت سلمى *

والغرض من هذا المبالغة في الدعاء لها بالسلامة . وقد يكرر القول طلباً لدوام تذكر الازهاب كما كرر في سورة الرحمن « فبأي آلاء ربكما تكذبان » وقد يكرر اللفظ

ايضاً ليتصل أول الكلام بآخره اتصالاً جيداً كما في قوله تعالى « ثم إن ربك للذين
 عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ »
 . ومن ذلك الآية التي قبل هذه الآية . ومن ذلك قوله تعالى « إني رأيتُ أحدَ عشرَ
 كوكباً والشمسَ والقمرَ رأيتُهُم لى ساجدين » . . . وأما ما تكرر لفظه ومعناه مختلف
 فنه قوله تعالى « وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحَقِّقَ
 الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ » فان المقصود بقوله - يحق الحق - بيان ارادته وبقوله
 - ليحق الحق - الثانية لقطع دابر الكافرين ونصر المؤمنين عليهم . وكذلك قوله
 تعالى « لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ
 عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » معناه لا أعبد في المستقبل ما تعبدونه أنتم الآن ولا أنتم تعبدون في
 المستقبل ما أنا عابده ولا أعبد قط ألّهكم حتى أكون الآن عابداً لما تعبدون ولا أنتم
 عبيدتم قط إلهي حتى تكونوا له الآن عابدين . . . ومن ذلك قوله تعالى « وإذا طلقتم
 النساءَ فبلغنَّ أَجَلَهُنَّ فَاسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ » الى قوله في
 الآية الأخرى التي بعدها « وإذا طلقتم النساءَ فابغنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضَاوُهُنَّ » فكرر
 - باغن - لاختلاف البلوغين . . . وأما قوله تعالى « وقانا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوٌ » ثم
 قال « قانا اهبطوا منها جميعاً » فقد قيل إنه من باب تكرير اللفظ والمعنى وقيل هو من باب
 تكرير اللفظ لا المعنى لاختلاف الهبوطين فان الهبوط الأول كان من الجنة الى سماء الدنيا
 والهبوط الثاني كان من سماء الدنيا الى الارض وفي القرآن العظيم من هذين القسمين
 كثير . . . وأما تكرار المعنى دون اللفظ فهو إما أن يكون بين المعنيين مخالفة ما أو
 لا يكون كذلك . والذي يكون بينهما مخالفة إما أن يكون أحدهما أعم أو لا يكون
 كذلك . فأما ما يكون أحدهما أعم فيك قوله تعالى « ولتكن منكم أمةٌ يدعون الى
 الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فان الدعوى الى الخير أعم من الأمر
 بالمعروف . وكذلك قوله تعالى « فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ » . وكذلك قوله تعالى
 « حافظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوُسطَى » ومثاله في الشعر كثير . قال الشاعر
 إذا أكلوا الحمى وفرت لحومهم وإن هدّموا مجددي بنيت لهم مجداً

وإن ضيموا عهدى حفظت عهدهم وإن هم هوروا غي هوبت لهم رشدا
والفرض بهذا زيادة تأكيده الخاص . . وأما الذى لا يكون أحد المعنيين أعم فكقول
حاطب بن أبى بلتعة - والله يا رسول الله ما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن دين
ولا رضى بالكفر بعد الاسلام . . وأما الذى لا يكون بين المعنيين مخالفة فكقوله تعالى
« وإن تمفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفورٌ رحيمٌ » . وكذلك قوله تعالى
« فصيامٌ ثلاثة أيامٍ في الحجِّ وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » . . . وكذلك
قول الشاعر

نزلت على آل المهلب شاتياً بعيداً عن الأوطان في زمن المحل
فأزال بنى إكرامهم وافقادهم وإحسانهم حتى حبيبهم أهلى

هذا ما يكون من التكرار لفائدة . . وقال ابن الأثير في جامع التكرار في المعنى على
قسمين . مفيد . وغير مفيد . فافيد نوعان . الاول إذا كان التكرار في المعنى يدل
على معنيين مختلفين كدلالته على الجنس والعدد وهو من باب التكرير مشكل لانه
يسبق الى الوهم أنه تكرير محض يدل على معنى واحد فقط وليس كذلك . . فما جاء
منه قوله تعالى « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد » ألا ترى أن
العرب إنما جمعت بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال
ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد المخصوص . فأما رجل
ورجلان وفرس وفرسان فالفائدة إذاً في قوله - إلهين اثنين . وإله واحد -
هو أن الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية يدل على الجنسية والعدد المخصوص فإذا
أريدت الدلالة على أن المعنى به واحد منهما وكان الذى يساق اليه الحديث هو العدد
شُفِعَ بما يؤكده فدل به على أن القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت - إنما هو
إله - ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية وهذا باب من
باب تكرير المعانى وعمر المسلك دقيق المغزى وبه تحل مسائل مشكلات من التكرير
فأعرفة . . ومن هذا النحو إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص
والآخر عام كقوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف

ويُنهَوْنُ عن التكرار الآية فان الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لأن
الأمر بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمراً بالمعروف
لأن الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف . ففائدة التكرير هاهنا أنه ذكر
الخاص هاهنا ذكر العام للتنبيه عايه لفضله كقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى » الآية . وأمثال ذلك كثيرة فاعرفها . . النوع الثاني من الضرب الاول من
القسم الثاني اذا كان التكرير في المعنى بدل على معنى واحد وقد سبق مثاله في أول
هذا الباب كقولك أظن ولا تعصى لأن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية . والفائدة
في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب وتقرير لها في قلبه . والكلام في هذا الموضع
من التكرير كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى اذا كان المراد به
عرضاً واحداً فاعرفه . . الضرب الثاني من القسم الثاني في تكرير المعنى دون اللفظ وهو
غير المفيد . فن ذلك قول ابن هاني انغربي

سارت به صنع القصاصد مُرَدّاً فكأنما كانت صباً وقبولا

فكانه قد قال - فكأنما كانت صباً صباً - لأن الصبا هي القبول . وليس ذلك مثل
التكرير في قوله تعالى - حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى - فيما يرجع الى تكرير
اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى - ولكن منكم أمة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف - فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ لأن كل واحدة من هاتين
الآيتين يشغل على معنيين خاص وعام . وقول ابن هاني - صباً وقبولا - لا يعطى
إلا معنى واحداً لا غير وهذا لا يخفى على العارف بصناعة التأليف . . ومن هذا النحو
قول الصابي في كتاب - وصل كتابك بعد تأخير وإبطاء وانتظار له واستبطاء فان
التأخير والاستبطاء بمعنى واحد وقد يكون لهذا وجه في التجوز وهو التقرير في نفس
المخاطب لبعده الأمد وتطول المدة في انقطاع كتابه عنه وذلك مما لا بأس به في هذا الموضع
• وأمثال هذا كثير فاعرفه (وأما الرابع) فالذي يتهيا التكرار أسماء . وأفعال .
وحروف . ومعان . وقد تقدم الكلام على الاسماء والأفعال والمعاني . . وأما الحروف
فهي على قسمين . حسنة . وقبيحة . . فأما الحسنة فهي كما التزمه الحريري في رسالته

السينية والشينية كره السين في كل كلمة في السينية والشين في الشينية . وكما التزمه الحصري في أول معشراته من حروف المعجم . وكما التزمه الفازازي في عشرينياته . وانما حسن هذا النوع لأن فيه دليلاً على قوة الملكة في الكلام والقدرة على التلاعب بحروفه في النثر والنظام وهو من باب لزوم ما لا يلزم وسيأتي بيانه . . . وأما القبيحة فكثرة حروف تكسب الكلام عجرفة وتكسوه قلقاً حتى يصعب النطق به ويذهب رونق الكلام بسببه كقول الشاعر

وقبرٌ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قُربٌ قبرٍ حربٍ قبرٍ

(وأما الخامس) في الحسن منه والقبيح . . فأما الحسن منه فقد تقدم . . . وأما القبيح فهو التكرار العاري عن الفائدة وهو لا يخلو إما أن يكون في المعنى وحده أو في المعنى واللفظ معاً . أما الأول فقد أعابه بعضهم مطلقاً وبعضهم فصل فأعابه على النثر وعلى الناظم إذا فعله في صدر البيت وأما إذا فعله في عجزه فليس ذلك بصيب إذ قد يضطر لأجل القافية والوزن كقول المتنبي

بجرته تعودُ أن يذمَّ لأهله من دهره وطوارقِ الحدَثانِ

والدهر وطوارق الحدَثان بمعنى واحد . . . وكذلك قيل من قال

إني وإن كان ابنُ عمِّي عائلاً لمصادقٍ من خلفه وورائه

. . . وأما الثاني فقد اتفق على قبحه وهو كقول مروان

سقا اللهُ نجداً والسلامُ على نجدٍ ويا حبيداً نجدُ على النأي والبُعدِ

نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دُونها لعلِّي أرى نجداً وهيأت من نجدٍ

. . . وكذلك قول أبي نواس

أقنابها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومُ الترحلِ خامسُ

. . . وكذلك قول المتنبي

ولم أرَ مثلَ جيرانِي ومثلي لِمثلي عندَ منيهم مقامُ

. . . وأقبح من ذلك قوله

وقلقتُ بالهم الذي قلقتُ الحنى قلاقلَ عيسٍ كلهم قلاقلُ

•• وقال ابن الأثير قال الواحدى فى شرحه لشعر أبى الطيب المتنبي انه لا يلزمه من هذا عيب وأنه قد جرت عادة الشعراء بمثل ذلك كقول أبى منصور الثعالبي
 وإذا البلابلُ أطربيتُ بهديلبها فانفِ البلابلُ باحتساءِ بَلابلِ
 والصحيح أنه مستنقل وأخطأ الواحدى فى الاعتذار عنه وفى تمثيله بيت الثعالبي وبيان ذلك أن بيت أبى الطيب قد ورد فيه ذكر القلقة والقلقل أربع مرات وهن دلالات على معنى واحد لا غير وهو الحركة يقول - وحرَّكتُ بالهمَّ الذى حرك الحشَى نوقاً سراع الحركة كلهن متحركات - وهذا من أقبح ما يكون من التكرير • وأما بيت الثعالبي الذى مثله الواحدى بيت أبى الطيب فليس مثالا لأن لفظة - البلابل - قد وردت فيه ثلاث مرات وكلُّ منها دال على معنى غير الآخر فالاول جمع بلبل وهو طائر حسن الصوت والثانى جمع بَلْبَلَة وهى وساوس الصدور والثالث جمع بُلْبُلَة وهى مخرج الماء من الأبريق فهو يقول - وإذا الاطيار من البلابل هدلت وغرّدت فانف البلابل من قلبك باحتساء الخمر من بلابل الأباريق - وهذا من أحسن ما يكون من التجنيس ومن هاهنا وقع السهو للواحدى وهو أن البلابل فى شعر الثعالبي يدل على معان مختلفة والقلقل فى شعر أبى الطيب يدل على معنى واحد فاعرف ذلك وقس عليه •• ومثل قول المتنبي فى القبح قوله أيضاً

ولم أرَ مثلَ جبرائى ومثلَى مثلَى عند مثلهم مقامُ

فهذا ومثله هو التكرار الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصاً زائداً ألا ترى أنه يقول لم أرَ مثلَ جبرائى فى سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلَى فى مصابرتهم ومقامى عندهم لأنه قد كرّر هذا المعنى فى البيت مرتين

— القسم الثانى عشر —

(القسم)

وهو أن يُقسم فى كلامه بشئ لم يُرد به تأكيد كلامه ولا تصديقه وانما يُريد به

بيان شرف المقسم به وعلو قدره عنده . ومنه قوله تعالى « فَوَرَبِّ السَّاءِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَطْفُونَ » . وقوله تعالى « وَالطُّورِ وَكِتَابٍ تُسْطُورِ » .
وقوله تعالى « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى » . وقوله تعالى « وَالسَّاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا
طَحَّاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا » . وقوله تعالى « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ »
أقسم بهذه الأشياء كلها لعظم خلقها ولشرفها عنده وأقسم بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم
ليعرف الناس عظمته عنده ومكانته لديه . . . ومنه قول الشاعر

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَّى السَّاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَّجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
وَمَنْ قَامَ فِي الْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ بِمَا شَتَّ مِنْ إِذْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
لَمَّا خُلِقْتُ كَمَا كَإِلَّا لَارْبِعٍ عَقَائِلَ لَمْ يُعْقَلْ لَهَا نَوَانِ
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْلِيلِ هَنْدِيٍّ وَجَذْبِ عَنَانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) القسم في القرآن العظيم على قسمين . مظهر . ومضمر .
فالمظهر كما تقدم . والمضمر على قسمين . قسم دلت لام القسم على حذفه كما في قوله تعالى
« لَتَبَاؤُنَّ فِي أُمُومَالِكُمْ وَأَنْتُمْ كَسَمَ » . وفي قوله تعالى « لَتَزُونَّ الْجَحِيمَ » . والقسم
الثاني ما دل عليه المعنى في مثل قوله تعالى « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ
حَتْمًا مَقْضِيًّا » . تقديره والله إن منكم إلا واردها يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- لن تمسه النار إلا نحلة القسم - وله في القرآن نظائر

القسم الثالث عشر

(الاقتباس . ويسمى التضمين)

وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي
أتى به أو ترتيباً فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين . وإن كان كلاماً قليلاً
أو نصف بيت فهو إبداع . وعلى هذا الحد لبس في القرآن من هذا النوع شيء إلا

ما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة
« قالوا أنجمل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء » • ومثل ما حكاه سبحانه من
قول المنافقين « قالوا انما نحن مُصلِحون » • وقولهم « قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء »
• وقوله سبحانه وتعالى حكاية عن قول اليهود والنصارى « وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » • ومثله في القرآن كثير •
وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الاعجمية مثل قوله تعالى « إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم » • وهي لغة للحطب بالحبيشة و - كالةسطاس - وهو الميزان
بلغة الرومية - والفردوس - وهو البستان و - القنطار - وهو اثنا عشر ألف أوقية
• • • ومن اللغة المنسية - الكف • والساق • والفراش • والوزير • والقاضي •
والوكيل • والشراب • والحلال • والحرام • والحسد • والصواب • والبركة • والخطأ •
والوسوسة • والكساد • والنطيحة • والحط • والقلم • واللهم • والكرنى •
والقفل • والركاب • والفاشية • والمشرق • والمغرب • واللطيف • ومن اللغة الفارسية
الحكيمة - الابريق • والسندس • والباقوت • والزنجيل • والمسك • والكافور -
وهذه الكلمات كلها حكاهما الثعالبي في فقه اللغة وهي عند المحققين تختلف فيها فتنهم من
قال انها اعجمية عربت ومنهم من أنكر ذلك وقال ليس في القرآن لفظ أعجمي لقوله
تعالى « بلسان عربي مبين » • وهذه الالفاظ انما هي عربية أصلية وافقت اللغة الاعجمية
والرومية • وانما الذي ورد في القرآن بعض آيات وكلمات من التوراة وغيرها من كلام
الله عز وجل فأشبهه التضمين والابداع • من ذلك قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن
النفوس بالنفس » • ومنها قوله تعالى فيها حكام من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
وذلك قوله تعالى « محمد رسول الله » الى قوله « ذلك مثاهم في التوراة ومثاهم في
الانجيل » • فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين • • • وأما التضمين في الشعر فلا
يخلو إما أن يكون أليث المضمن مشهوراً أو غير مشهور فإن كان مشهوراً لم يحتاج الى
تبينه عليه أنه من كلام غيره لأن شهرته تفنى عن ذلك وان كان غير مشهور فلا بد من
تبينه على أنه ليس من شعره مثل قول الشاعر

ما على طيب لبالٍ سلفت من لبالٍ الوصل لو عادت لنا
نبه عليه في البيت الذي قبله بقوله

فأنا من فرطٍ وجدي مُنشدٌ بيتَ شعرٍ قاله من قبلنا
.. وكذلك إذا كان المضمّن نصف بيت كقول ابن اللبابة الاندلسي في بيت من قصيدة له

حبيبٌ الى قايٍ حبيبٌ لقوله عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلنا

.. ومن التضمين المشهور قول ابن عنين يصف بغلة له
مرّت على علفٍ فنامت فوقهُ جوعاً وقالت والمذامعُ تسجُمُ
وقفّ الهوى بي حيثُ أنت فليس لي متأخرٌ عنه ولا مُتقدّمُ

.. ومثله قول آخر

إن برّذوني المدقع باللعقا ت^(١) في لوعةٍ يكابدُها

رأى بغالاً أُميراً عابرةً بالبين يوماً فظلّ يُنشدُها

قفا قليلاً بها على فلا أقلّ من نظرةٍ أزوّدُها

.. وقد وقع التضمين في الشعر في بيت كما ذكرناه وفي بيتين .. ومنه ما قيل في الحبيص
بيصٍ حين قتلٍ جرياً وهو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبة وعلق في حلقها قصة
وأطلقها عند باب الوزير فأخذت القصة من حلق الكلبة وأدخلت على الوزير فاذا
فيها مكتوب هذه الايات

يا أهلَ بغداد إن الحبيصَ بيصٌ أتى بخزيةٍ ألبسته العارَ في البلد

أبدى شجاعته بالليل مجترئاً على جريٍّ ضعيف البطش والجلد

فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت دم الأبيلق عند الواحد الصمد

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزيةً إحدى يدي أصابني ولم تُرد

كلّاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخى حين أذعوه وذا ولدى

وهذان البيتان البيت الأخير والذي قبله لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها فقالت
ذلك تسلياً لنفسها وتثبيتاً لقلبها .. وأما أنصاف الايات والكلمات فكثير جداً ..
فمن ذلك قول ابن المعتز

عَوْدُ لَمَّا بَتَّ ضَيْفًا لَهُ اقْرَاصُهُ مَنَى بِبَاسِينِ
بَتَّ وَالْأَرْضُ فُرَاشِي وَقَدْ غَنَّتْ قِفَانِكَ بِمَصَارِينِ

.. ومنه قول الضحاک

وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ كَأَنِّي قِفَانِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
.. وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء في أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التي هي من جملة وسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسوء اقتباساً من القرآن وهذا مما قد نهى عنه جملة العلماء وأفاضل الفقهاء الاتقياء وكرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئاً من ذلك أو يستشهد به في واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه - ثم جئت على قدزى موسى - وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذي أريد به .. فن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السدي حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه - لو قبلت هديتك نهراً لقبلتها ليلاً بل أنتم بهديتكم تفرحون - وقال لرسوله - ارجع إليهم فلنأيتهم يجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون - وأوحش من ذلك وأعظم منه في الشعر قول الشاعر

يَسْتَوْجِبُ الْعَفْوَ الْفَتَى إِذَا اعْتَرَفَ بِمَا جَاءَهُ وَانْتَهَى عَمَّا اقْتَرَفَ
لِقَوْلِهِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ

.. وقول الآخر

قَتُّ لَيْلٍ الْعُدُودَ الْآفِلِيلَا ثُمَّ رَنَّتْ ذِكْرَهُمْ تَرْبِيلَا
وَجَعَلَتْ السَّهَادَ كُلَّهَا لِعَيْنِي وَهَجَرْتُ الرِّقَادَ هَجْرًا جَمِيلَا
كَلَّمَا ضَمْنَا مَحَلَّ عَتَابٍ أَخَذْنَا الْعِيُونَ أَخْذًا وَبِيلَا

ضمن هذه القصيدة آخر كل آية من سورة المزمل .. هذا وما أشبهه مما يمدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغي أن تعاف النفوس مساغه وهو مندرج في التحريم لما فيه من عدم الاجلال لسكلام الله عز وجل والتعظيم وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم .. وقد رخص بعض أهل العلم في تضمين بعض آيات القرآن في خطبهم ومواظهم

وأكثر ما استعمل ذلك الشيخ ابن نباتة وابن الجوزي وقد استعمله كثير من الناس

القسم الرابع عشر

(التذليل والكلام عليه من وجوه)

الأول في حده والمعنى الذي أتى به من أجله • الثاني في اشتقاقه • الثالث في أقسامه (أما الأول) فقال علماء علم البيان انه تذليل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق بها ما قبلها من الكلام وتلك الجملة على قسمين • قسم لا يزيد على المعنى الأول وإنما يؤتى به للتأكيد والتحقيق • وقسم يخرج المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله • مثال ما جاء من الكتاب العزيز منضمناً للقسمين معاً قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ » ففي الآية الكريمة تذليلان • أحدهما قوله تعالى - وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا - فان الكلام تم قبل ذلك ثم أتى سبحانه وتعالى بتلك الجملة ليحقق بها ما قبلها • والآخرون سببانه - ومن أوفى بعهده من الله - فأخرج هذا مخرج المثل السائر ليحقق ما تقدم وهو تذليل ثانٍ للتذليل الأول • ومنه قوله عز وجل « وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا » • وكقوله تعالى « ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ يَكْفُرُونَ » ومثله في القرآن كثير • ومثال ما جاء منه من السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم - من همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرًا ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الا هالك - فقوله ولا يهلك على الله الا هالك تذليل في غاية الحسن أخرج الكلام فيه مخرج المثل • • ومثال ما جاء من ذلك في الشعر قول النابغة

ولست بمُستبقٍ أخاً لا تلمهُ على شعثٍ أي الرجال المهذب

فقوله - أى الرجال المهذب - من أحسن تذييل وقع فى شعر ٠٠ ومنه قول الخطيب

نزورُ فتيَّ يُعطى على المدح مالهُ ومن يُعط أنمانَ الحمادِ يُحمدُ

فان عجز البيت كله تذييل أخرج مخرج انثى لأن صدر البيت كله قد استقل بالمعنى ٠٠

وأما الحروف فستأتى أمثله فى الكلام على أقسامه ان شاء الله تعالى (وأما الثانى)

فان التذييل مصدر ذيل الشئ يذيله تذييلا اذا جعل له ذيلا مأخوذ من ذيل المرأة

وهو ما يفضل عن قائمتها ويزيد عليها فيبقى مجرورا على الارض ٠ قال الشاعر

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذبولِ

٠٠ وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذيل المرأة فقال يطهره ما بعده

فكانه شبه هذه الجملة لزيادتها وكون المعنى يتم بدونها بالزائد من ذيل المرأة الذى ينجر

على الارض (وأما الثالث) فالتذييل على ثلاثة أقسام قد تقدم منها قسمان والثالث هو

أن تزيد احدى الكلمتين على الاخرى بحرف فقط إما من آخرها وإما من أولها ٠ فنثال

الزائد فى آخر الكلمة قولهم فلان حام حامله لاءاء الامور كاف كافل بمصالح الجمهور

٠ وكقول أبى تمام

يمدُّونَ من أيدي عواصٍ عواصمِ تصولُ بأسياقٍ قواصٍ قواضبِ

٠٠ ومثال الزائد فى أولها قوله تعالى «والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق»

ومنه قول الشاعر

وكم سبقت منه إلى عوارفٍ ثنائى على تلك العوارف وارف^(١)

وكم غرر من برو ولطائف لشكرى على تلك الطائف طائف

القسم الخامس عشر

(المغالطة ٠ والكلام عليه من وجوه)

الاول فى حقيقتها ٠ الثانى فى اشتقاقها ٠ الثالث فى أقسامها (أما الاول) فقال

(١) فى هامش الاصل ٠٠ أى ممتد يقال ورف الظل اذا امتد

علماء علم البيان أن المغالطة ذكر الشيء وما يتوهم مقابلاله وليس كذلك (وأما الثاني) فاشتقاقه من الفاظ وهو من باب المفاعلة من واحد مثل طارقت النعل وعاقبت الصبي لأن فاعله يذكر شيئاً يوقع به غيره في الفاظ ويوهم ما ليس هو المراد وهو المشار اليه في الحديث المروى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلوطات وهى شرار المسائل (وأما أقسامها) فاربعة • الاول ان يذكر الشيء وما يتوهم مقابلاله ويسمى مغالطة النقيض وهو مثل قول الشاعر

وما أشياء تشربها بمالٍ وإن نفقت فأكسب ما تكون

أوهم بنفقت النفاق السوقي وهو رواج السلعة ومراده الموت يقال نفقت الدابة اذا ماتت • وقد ورد منه عن العرب كثير • من ذلك ما روى أن حنين من العرب اقتنلا فقتل من كل حى قتلى وأسر أسرى فقال أحد الحنين لأسير عندهم أرسل الى قومك رسولاً يقول لهم ليكرموا أسيرنا فاننا لك مكرمون فقال اتتوني برسول منكم أرسله اليهم فجاؤ برجل فسأله عن أشياء فقال ما أراك إلا عاقلاً أبلغ قومى السلام وقل لهم ليكرموا فلاناً فان قومه لى مكرمون وقال له وقل لهم يحلوا عن ناقتى الحمراء ويركبوا جملى الاصب بآية ما أكلت معكم حيساً وسلوا الحارث عن خبرى فلما بلغهم الرسالة حلوا وناق ذلك الرجل وقالوا والله ما له ناقة حمراء ولا جعل أصهب فلما انصرف الرسول استدعوا الحارث وقصوا عليه ما قال فقال أشار بقوله حلوا عن ناقتى الحمراء واركبوا جملى الاصب ارتحلوا عن هذه الارض الدهناء واصعدوا الجبل وأشار بقوله بآية ما أكلت معكم حيساً الى أن أخلاطاً من الناس اتفقوا على أن يغيروا على حبيكم ليلاً فان الحيس يجمع السمن والتمر والأقط فارتحلوا عن تلك الارض وصعدوا الجبل فأغار عليهم أعداؤهم فلم يجدوهم فى المكان الذى كانوا فيه فسامعوا من اغتيال عدوهم لهم • وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال

تحلوا عن الناقة الحمراء أرحلكم والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا

ان الذئب قد اخضرَّت براثها والناس كلهم بكروا اذا شعوا

ومثل هذا بين العرب كثير • • الثانى أن يذكر مع الشيء مثله ويسمى مغالطة المثل

كقول المتنبي

يَسْأَلُهُمْ بِكُلِّ أَقْبَى نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارُ
وَكُلِّ أَصَمٍّ يَعْسِلُ جَانِبَهُ عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ
يُقَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَّتُهُ لَتَعْلَبُهُ وَجَارُ

- والثعلب - الحيوان وطرف السنان - والوجار - بيت ذلك الحيوان . . وكقول الشاعر
بِرْغَمِ شَيْبٍ فَارَقَ السَيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاقِ يَضْطَجِعَانِ
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْدِي وَأَنْتَ يَمَانِي
- فالسيف - يقال له يمان اذا كان صارماً - وشيب - من قيس وكان بين قيس وبين
محاربة . . ومنه أيضاً

وخلطتم بعض القرآن ببعضه فجعلتم الشعراء في الأنعام

- فالشعراء - جمع شاعر واسم سورة - والأنعام - الابل والبقر والغنم واسم سورة أيضاً
وسبب حسن هذا الفن ما يحصل للنفس من الالتئاذ بفهم ما فيه غموض والأول أحسن
لزيادة غموضه . . الثالث من المغالطات الانغاز . والغز الطريق المنحرف وسمى به
هذا لانحرافه عن نمط الكلام ويسمى أيضاً أحجية لأن الحجي هو العقل وهذا النمط
يقوى العقل عند التمرن والارتياض بالاكتشاف من حله وإعمال الفكر فيه ويسمى أيضاً
المعتمى لما فيه من الخفاء . ومن هذا النوع في أشعار العرب والمخضرمين والاسلاميين
وهو في أشعار المتأخرين منهم أكثر . . ومنه في القرآن العزيز ما جاء في أوائل السور
من الحروف المفردة والمركبة التي دق معناها وبعد غورها غزاها وحارت العقول في معانيها
• ومنها قوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام حين سئل لما كثر الأصنام وقيل له
« أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهَتَا يَا إِبْرَاهِيمَ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا » قاباهم بهذه المغالطة
ليقيم عليهم الحجة ويوضح لهم الحجة . . ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن النمرود لما
جادل ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال ابراهيم « رَبِّى الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا
أَحْيِى وَأُمِيتُ » حكى أنه أتى بأثنين فقتل أحدهما وأرسل الآخر وكان ذلك من النمرود
مغالطة لابراهيم عليه الصلاة والسلام لأن ابراهيم عليه السلام أراد إن الله يحيى الميت

ويميت الحى بغير آلة لا يحيى ويميت كذلك الآ هو . . . ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجا من مكة أعزها الله تعالى فقال انه رجل يهدينى الطريق . . . ومنه قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأله الجبار عن زوجته سارة قال هى أختى أراد أخوة الدين ومثله كثير

القسم السادس عشر

(الاشارة . وتسمى الوحى أيضاً . والكلام عليها من وجوه)

الاول فى حدها . الثانى فى أقسامها . الثالث فى الفرق بينها وبين الكناية (أما الاول) فقد قال علماء البيان الاشارة أن تطلق لفظاً جاعياً تريد به معنى خفياً وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام . ومنه قوله تعالى « ولا تَقُلْ لَهُمَا افٍّ » أشار بذلك الى بر الوالدين وترك التعرض اليهما بيسير من الإيلاام فضلا عن كثيره . ومنه قوله تعالى « فيهنّ قاصرات الطرف » اشارة الى عفافهن . ومنه قوله تعالى « وفرش مرفوعة » اشار الى نساء كرام . ومن هذا النوع فلان طويل النجاد رفيع العباد كثير الرماد اشارة بقوله - طويل النجاد - الى تمام خاقته وبقوله - رفيع العباد - الى أن بيته مرتفع يعرفه الاضياف والضيّاق وبقوله - كثير الرماد - الى كثرة قراء الاضياف . . . ويقولون أيضاً فلان جبان الكلب مهزول الفصيل أشاروا بقولهم - جبان الكلب - الى أنه لكثرة طراقه أنست كلابه الطراق وصارت تلوى رقابها وتحرك أذنانها فرحاً بهم وأشاروا بقولهم - مهزول الفصيل - الى كثرة سقيه الالبان ومداومة حلب مواشيه فتقل بذلك ألبانها فيهزل الفصيل بسبب ذلك . والاشارات فى القرآن كثيرة خصوصاً على ما يراه أرباب الحقائق . وبعض أرباب هذه الصناعة بسمى هذا النوع الإيما . . . ومنه قول الشاعر

بعيدة مهوى القرطِ إما لتَهشَلِ أبوها وإما عبدِ شمسٍ وهاشمٍ

أشار بقوله - بعيدة مهوى القرط - الى طول عنقها . . ومنه قول امرئ القيس
 كَانَ المَدَامَ وَصُوبَ الغَمَامِ وَرِيحَ الغَزَامِ ونَشَرَ العُطْرِ
 يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أنْيَابِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ المِسْتَحِرُّ
 أشار الى طيب رائحة فيها وقت السحرو هو وقت تغير الافواه (وأما الثانى) فأقسامها
 أربعة . الاول ما قدمناه . والثانى أن يكون اللفظ القليل مشتقاً على المعنى الكبير
 . ومنه قوله تعالى « فيها ما تشتهى النفسُ وَتَأْتِى الأَعْيُنُ » جمع ما تميل اليه النفوس من
 الشهوات وتلذذ الأعين من المرئيات . ومنه قوله تعالى (فَأَوْحِ الى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)
 . والثالث من أنواع الاشارة عمل أرباب هذه الصناعة المعميات والالغاز وقد تقدم
 بيانها . الرابع من أقسامها التورية وهى أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل
 المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لاما استعمله ولهذا مواضع نينها
 وأملتها فيه ان شاء الله تعالى (وأما الثالث) فالفرق بينها وبين الكناية أن الاشارة فى
 الحسن والكناية فى القبيح وسيأتى بيانه

القسم السابع عشر

(فى الكناية . والكلام عليها من وجوه)

الاول فى حدها . الثانى فى المعنى الذى أتى بها من أجله . الثالث فى أقسامها
 (أما الاول) فقد قال علماء علم البيان إن الكناية هى اطلاق لفظ حسن يشير الى
 معنى قبيح كقوله تعالى « وَأَوْزَنَكُمْ أَرْضَهُمْ وديَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطُوهَا »
 أراد بالارض الثانية لساءهم اللاتى كن محل وطئهم وجهة استمتاعهم . . ومنه قوله
 تعالى « وقالوا ما لهذا الرسول يَأْكلُ الطعامَ ويمشى فى الأسواقِ » يريدون أنه
 يتغوّط فكثروا عن التغوّط بأكل الطعام لانه سيئه . . ومنه قوله تعالى « أَحِلَّ لَكُمْ
 ليلةَ الصَّيَامِ الرِّفْتُ الى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ » كنى بالرفث عن

الحديث في الجماع وباللباس عن الوطء نفسه . . ومنه قوله تعالى « وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ »
 أى هبأناها للولادة بعد الكبر . ومنه قوله تعالى « وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ » أى
 حاضت . . قال بعض المتأخرين من الحدائق في هذا الفن الكناية في اللغة الستر وفي
 الصناعة أن تقصد مجازاً بعيداً مناسباً للحقيقة مع ضمنه أى ارادتها^(١) وإذا استعمل اللفظ
 في ذلك كان ضرباً من الاستعارة وتقع الكناية في المفرد والمؤلف وسيأتى بيانه (وأما
 الثانى) فالمعنى الذى أتى بها من أجله هو الاجمال في الخطاب والدفع بالى هى أحسن
 والتجنب للهجر من القول إذ هو أرسخ في الالفة وأمكن . قال الله تعالى « ادْفَعْ بِالِى
 هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ » (وأما الثالث) فقد اختلفت
 عبارات أهل هذه الصناعة فيها وآثرها ما ذكره ابن الاثير في جامعه قال إن الكناية
 على قسمين . قسم يحسن استعماله . وقسم لا يحسن استعماله . . فأما الضرب الأول وهو
 الذى يحسن استعماله فينقسم الى أربعة أقسام . الاول التمثيل وهو التشبيه على سبيل
 الكناية وذلك أن تراد الإشارة الى معنى فتوضع ألفاظ على معنى آخر وتكون تلك
 لالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذى قصدت الإشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان
 نقى الثوب - أى منزّه عن العيوب ولل كلام بهذا فائدة لا تكون لو قصد المعنى بلفظه
 الخاص به وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوير المدلول عليه لانه اذا صور فى نفسه
 مثال ما خوطب به كان ذلك أسرع الى الرغبة فيه أو الرغبة عنه . فمن بديع التمثيل
 قوله تعالى « أَيْحَبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا » فانه مثل الاغتياب بأكل الانسان
 لحم انسان آخر . مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم لآخ ولم يقتصر على لحم الآخ
 حتى جعله ميتاً ثم جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولاً بالحجة فهذه أربع دلالات
 واقعة على ما قصدت له مناسبة مطابقة للمعنى الذى وردت لأجله . فأما تمثيل الاغتياب
 بأكل لحم انسان آخر مثله فشديد المناسبة جداً وذلك لأن الاغتياب انما هو ذكر مثالب
 الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه لأن أكل
 اللحم فيه تمزيق لا محالة وأما قوله لحم أخيه فلما فى الاغتياب من الكراهة لأن أرباب

العقل والشرع قد أجمعوا على استكراهه وأمروا بتركه والبعد عنه . ولما كان كذلك كان بمنزلة لحم الاخ في كراهته ومن المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر مثله إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه وهذا القول مبالغة في الاستكراه لا أمد فوقها . . . وأما قوله - ميتاً - فلاجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها . . . وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة . موصولاً بالحجة فلما حُبات عاينه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع العلم بأنها من أذى الخلال ومكروه الافعال عند الله عز وجل والناس . . . ومن هذا القسم قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط » فمثل البخل بأحسن تمثيل لان البخل لا يمد يده بالعطية كالمغلول الذي لا يستطيع أن يمد يده وانما قل - ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك - ولم يقل ولا تجعل يدك مغلولة من غير ذكر العنق لانه قد قال تعالى - ولا تبسطها كلَّ البسط - فتاب ذكر العنق عن قوله كل الغل لأن غل اليدين الى العنق هي اقصى الغايات التي جرت العادة بفعل اليد اليها . . . ومن امثال العرب - ايك وعقيلة المالح - وذلك تمثيل للمرأة العسنة في المنبت السوء لأن عقيلة المالح هي الذرة . . . ومن التمثيل قول بن الدُّمينية

أبني أفي يُمنى يديك تركتني فأفرح أم صيرتني في شمالكي

أي ابني أمتزلتني كريمة عندك أم هينة عليك فذكر اليمين وجعلها مثلاً لا كرام المنزلة وذكر الشمال وجعلها مثلاً لهوان المنزلة لان اليمين اشرف مكانة من الشمال وأكرم محلا . وفي القرآن العظيم ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى « وأصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمينِ في سدرٍ مخضودٍ » الى قوله « وماءٍ مسكوبٍ » فلما جاء الى ذكر الشمال قل تعالى « وأصحابُ الشمالِ ما أصحابُ الشمالِ في سمومٍ وحميمٍ وظلٍ منٍ يحمومٍ » فأعترف بذلك . الشاعري الارداف وهو اسم سماء قدامة بن جعفر الكاتب قال اعلم أن أكثر علماء هذه الصناعة قد أدخلوا الارداف في التمثيل وفي الفرق بينهما اشكال ودقة فأما التمثيل فقد سبق الاعلام به وهو ان يراد الاشارة الى معنى فتوضع الالفاظ على معنى آخر فتكون تلك الالفاظ وذلك المعنى مثلاً للمعنى الذي قصدت الاشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان نقي الثوب - أي منزوع العيوب . . . وأما الارداف فهو أن يراد الاشارة الى معنى

فترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ورادفله كقولنا - فلان طويل النجاد -
والمراد طويل القامة الا انه لم يتلفظه بطول القامة الذي هو الغرض ولكن ذكر ما هو
دليل على طول القامة وليس نقاء الثوب بدليل على الزاهاة عن العيوب وانما هو تمثيل
لها فاعرف ذلك . واعلم أن الاراداف يتفرع الى خمسة فروع . . الاول فعل البداهة كقوله
تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه » أى انه سفيه
الرأى بمعنى أنه لم يتوقف فى كلامه وقت ماسمعه ولم يفعل كما تفعل المراجيح العقول
المتثبتون فى الاشياء فان من سفاهتهم اذا ورد عليهم أمر أو سمعوا خبراً أن لا يستعملوا
فيه الروية وتأنوا فى تدبره الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه . الأترى أن معنى قوله
- كذب بالحق لما جاءه - أى انه ضعيف العقل عازب الرأى فعدل عن ذلك الى ما هو
دليل عليه ورادف له وذلك أكد وأبلغ . ومن ذلك قوله تعالى « وإذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » ومثله فى القرآن كثير
. الثانى من الاراداف باب المثل وهو ان العرب تأتى بمثل فى هذا توكيداً للكلام
وتشيداً من أمره يقول الرجل اذا نفى عن نفسه القبح - مثلى لا يفعل هذا - أى أنا لا أفعله
ففى ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصداً للمبالغة فيسلك به طرق الكناية
لانه اذا نفاه عن مثله ومشابهه فقد نفاه عنه لا محالة . كذلك قولهم أيضاً - مثلك اذا سئل
أعطى - أى أنت كذلك . وهو كثير فى الشعر القديم والمولد وفى الكلام المنشور وسبب
توكيد هذه المواضع بمثل انه يراد أن يجعل نفسه من جاهة هذه أوصافهم تبييناً للامر
وتوكيداً له ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم ترتب فيه قدمه . مثل ذلك قولهم
لا نسان - أنت من القوم الكرام - أى لك فى هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به
ولست دخيلاً فيه ومن هذا الباب فى القرآن كثير كقوله تعالى « ليس كمثل شئ » وهو
السميع البصير » وهذا كقولك - مثلى لا يفعل كذا - فينفون البخل عن مثله وهم
يريدون نفيه عن ذلك قصداً للمبالغة لانهم اذا نفوه عن من يسد مسدده وهو على أخص
أوصافه فقد نفوه عنه . ونظير ذلك قولك للعربى - العرب لا تحفر الذم - وهذا أبلغ
من قولك أنت لا تحفر الذم وليس فرق بين قوله تعالى « ليس كمثل شئ » وبين قوله

ليس كالله شيء إلا من الجهة التي نهى عنها فاعرفها . . الثالث من الادراف ما يأتي في جواب الشرط وذلك من ألطف الكنايات واحسنها . فمن ذلك قوله تعالى « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث » كناية عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادعوه وذلك رادف له . ونظيره قولك كنت تشكر حضور زيد فيها هو أي فأنت كاذب وهذا من دقائق الكناية . . الرابع من الادراف الاستثناء من غير موجب وذلك من غرائب الكناية كقوله تعالى « ليس لهم طعام إلا من ضريع » الآية . - والضريع - نبت ذو شوك تسميه قريش الشبرق في حال خضرته وطراوته فاذا ليس سمته الضريع والابل ترعاه طرياً ولا تقربه يابساً . والمعنى ليس لهم طعام أصلاً لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الانس وهذا مثل قولك - ليس لفلان ظل إلا الشمس - تريد بذلك نفي الظل عنه على التوكيد وذلك رادف لانتفاء الظل عنه كما ذكر الضريع رادف لانتفاء الطعام . . وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم

وتفرّدوا بالمكرّمات فلم يكن لسواهم منها سوى الحرمان

فالمراد نفي المكرّمات عن سواهم لأنهم اذا كان لهم الحرمان من المكرّمات فما لهم منها شيء . . الخامس من الادراف وليس مما تقدم بشيء وذلك نحو قوله تعالى « عفا الله عنك لم أذنت لهم » والمراد به اذا خوطب بمثل هذا غير النبي صلى الله عليه وسلم أنك أخطأت وبئس ما فعلت فقله - لم أذنت لهم - بيان لما كفى عنه بالعفو أي مالك أذنت لهم وهلا استأنيت فذكر العفو دليل ورادف له وان لم يذكر . وكذلك قوله تعالى « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » قيل لهم ان أستمتم الى العجز فاركبوا العناد فوضع قوله - فاتقوا النار - موضعه لأن اتقاء النار لصيقة وضمة من حيث أنه من نتائج روادفه لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه - إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطى - يريد فأطيعوني وأطيعوا أمرى واحذروا ما هو نتيجة حذر السخط وروادفه . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ألا ترى الى لطافة هذه الكناية فانها أفادت تكذيب دعواهم ودفع

ما انتحلوه وفاندها هاهنا أنه روى في تكذيبهم أدب حسن لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبت لأن فيه نوع استقباح في الخطاب فوضع قوله - قل لم تؤمنوا - الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه لأن ذلك رادف له .. وما يجري هذا المجرى قوله تعالى « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أن تعلمون أن صالحاً مرسل من ربه » أثبت العلم برسالة وانه من الأمور الظاهرة المسلمة التي لا يدخلها ريب ولا يعتريها شك لكن عدل عن ذلك الى ما هو دليل عليه ورادف له وهو الايمان به أعنى صالحاً إنما صح عنهم بعد ثبوته عندهم والعلم برسالة اليهم فالإيمان به أدنى دليل على العلم بأنه نبي مرسل وهذا من دقائق الرداف ولطائفه .. وأمثال ذلك كثيرة كقول الاعرابية في حديث أم زرع تصف زوجها له إبل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزاهر أيقن أنهن هوالك .. فان الظاهر من هذا القول أن ابله يركن عند بيته بفنائيه ولا تبرح ليقرب عليه نحرها للاضياف فاذا هزمت المزاهر للغناء نحرها لضيوفه فقد اعتادت هذه الحالة وأيقنتها وغرض الاعرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها بالجود والكرم ولكنها لم تذكر ذلك بلفظه الدال عليه وانما أنت بمعان دلت على ذلك من غير تصريح بمرادها .. وكذلك قال بعضهم

وَدِدْتُ وَمَا تَعْنَى الْوَدَادَةِ أَنِّي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِرَةِ عَالِمٌ

فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَرْنِي وَعَلِمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمُنِي اللَّوَائِمُ

أى أهجرها فأضرب عن ذلك جانباً ولم يذكر ذلك اللفظ المختص به ولكنه ذكر ما هو دليل عليه ورادف له .. الثالث من الكناية وهو المجاورة وذلك أن يريد المؤلف ذكر شئ فترك ذكره جانباً الى ما جاوره فيقتصر عليه اكتفاء بدلالته على المعنى المقصود كقول عنزة

فَشَكَّكْتُ بِالرَّمْحِ الْأَصَمَّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَابِ مُحَرَّمٌ

أراد - بالثياب - هنا نفسه لانه وصف المشكوك بالكرم ولا توصف الثياب به فثبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب وفي ذلك من الحسن ما لا ينكره العارف بهذه الصناعة

وقال أيضاً

بزجاجة صفراء ذات أشعة قُرنت بأزهر في الشمال مُفدتم
- الصفراء - هاهنا هي الحمرة والذكر للزجاجة حيث هي مجاورة لها ومشتملة عليها
• وذهب بعضُ المفسرين في قوله تعالى « وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ » انه أراد بالثياب القلب أو
الجسد أى وقبلك فطهر أو جسدك •• ومنه قول امرئ القيس

فإنْ نَكَ قد ساءتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ فُئِّلِي ثِيَابِي مِن ثِيَابِكَ تَشْلِي
•• الرابع من الكناية ما ليس بتمثيل ولا ارداف ولا مجاورة كقوله تعالى « أو من
ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مُبين » فكفى بأنهم يتزينون في الحلية أى الزينة
والنعمة وهو اذا احتاج الى مجازاة الخصوم كان - غير مبين - أى ليس عنده بيان ولا برهان
يحتاج به من خاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال •• ومن
هذا الباب قال أبى نواس

تقولُ التي مِن يَتَهَاخَفُ مُحْمِلِي عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِيرُ
• ألا ترى ما أحسن هذه الكناية فانه أضرب عن ذكر امرأته بقوله - من بيتها
خف مركبي - فانه من اللفظ الكناية مذهباً •• وكذلك قول نصيب
فعاُجُوا فَاثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
•• وقال الجاحظ نحن قوم نسحر بالبيان ونموه بالقول •• الثانى من التقسيم الاول من
الكناية وهو الذى يقبح ذكره ولا يحسن استعماله كقول أبى الطيب المتنبي
إني على شَغْفِي بما في خُمْرِها لا عَفْ عَمافي سراويلِياتِها
فان هذه كناية عن الزاهة والعفة وعلم الله أن الفجور لاحسن منها •• وقد ذكر الشريف
الرضي هذا المعنى فابرزه في أجل صورة فقال

أَحْنُ إِلَى مَا يَضْمَنُ الْخُمْرُ وَالْحُلِي وَأُصْدِفُ عَمًا فِي ضِمَانِ الْمَآزِرِ
ألا ترى الى هذه الكناية ما الطفها والمعنيان سواء • وبهذا يعرف فضل الشاعرين
أحدهما على الآخر وذلك اذا أخذنا معنى وأحداً فصاغه أحدهما أحسن صياغةً تميزه

— ❦ — القسم الثامن عشر ❦ —

(التعريض)

وقد اختلف فيه مذاهب بعض علماء هذا الشأن فذهب بعضهم الى أن الكناية والتعريض بمعنى واحد وبعضهم فرق بينهما . . قال ابن الاثير في جامعه في الكناية والتعريض ان لهذا النوع من الكلام موقعا شريفاً ومحلا كريماً وهو مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانباً وذلك نوع من علم البيان لطيف وقد تكلم جماعة من المؤلفين في هذا الفن وخاطبوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما بل أوردوا لهما من النظم والنثر وأدخلوا أحد القسمين بالآخر وذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمنهم أبو محمد بن سنان الخفاجي وأبو هلال العسكري والغامدي فأما ابن سنان فانه ذكر في كتابه قول امرئ القيس

ورُضْتُ فذلْتُ صعبةً أيّ إذلال
وَصِرْتُ إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضة وهو مثال للتعريض . وسنورد لك أيها الناظر في كتابنا هذا فرقا بين الكناية والتعريض ونميز أحدهما عن الآخر فنقول وبالله التوفيق . ان الكناية هي أن يذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كما كنى الله عز وجل عن الجماع بالمس فان حقيقة المس هي الملامسة يقال مسست الشيء اذا لمستته ولما كان الجماع بلامسة بالابدان وزيادة أمر آخر أطلق عليه اسم المس مجازاً و ضد الكناية التصريح . وأما التعريض فهو أن يذكر شيئاً يدل به على شيء لم يذكره وأصله التلويح عن عرض الشيء وهو جانبه وبنت امرئ القيس ضربه مثالا للكناية وهو عين التعريض فان غرضه من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لما استقبح ذكره لم يذكره بل ذكر كلاما آخر ودل به عليه لأن المصير الى الحسنى ورقة الكلام يفهم منها ما أرادته أمرؤ القيس من المعنى

وذلك مما لا يخفاء به وحيث تبيين الفرق نشرع في أقسام كل واحد من الكناية والتعريض
فقول ٠٠ ان الكناية هي على قسمين ٠ أحدهما ما يحسن استعماله وهو الذي نحن بصدد
ذكره هاهنا والآخر ما لا يحسن استعماله وقد تقدم بيانهما ٠ وأما التعريض فقد ميزه الله
تعالى في خطبة النساء فقال جل من قائل « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء » قال المفسرون التعريض بالخطبة أن يقول لها وهي في عدة الوفاة انك جميلة
وانك لحسنة وانى اليك لشيق وان قدر الله شيئاً فهو يكون وما أشبه ذلك ٠ ومما هو من
التعريض قوله حكاية عن عبدة الاصنام حين كسرها ابراهيم عليه السلام « أأنت فعات
هذا بالهتيا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسالوهم إن كانوا ينطقون » يعنى أن كبير
الاصنام غضب ان تعبد هذه الاصنام الصغار معه فكسرها فغرض ابراهيم صلوات الله
عليه وسلامه من هذا الكلام اقامة الحجة عليهم لانه قال - فسالوهم ان كانوا ينطقون -
هذا على سبيل الاستهزاء بهم ٠ وهذا من رموز الكلام والقصد فيه ان ابراهيم عليه
السلام لم يكن القصد الصادر عنه الى الصنم انما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على
أنه أسلوب من الفصاحة آخر يقتضى أن يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم
وتبكيهم والاستهزاء بهم ٠ ومن بديع التعريض قوله تعالى « قال الملأه الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشراً مثلاً وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا » الى قوله
« بل نظنكم كاذبين » فقلوه - ما نراك الا بشراً مثلاً - تعريض انهم أحق بالبوته منه
وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملائكة
وموازن لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم بها ألا ترى الى قوله تعالى حكاية عنهم
- وما نرى لكم علينا من فضل - ٠ ومن مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه قال حكى المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبي
صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو محتضن أحداً بنى ابنته وهو يقول والله انكم
لتعجبون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن رنجان الله وان آخر وطئة وطئها الله بوج
٠٠ اعلم أن - وج - واد بالطائف والمراد غزاة حنين واد قبل وج لانها آخر غزاة وقع بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين وأما غزوات الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد

حين فلم يكن فيهما وطأة اى قتال وانما كانت مجرد مخرج الى الغزاة حسب من غير ملاقة العدو ائى ولا قتال لهم ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - على ما قبله من الحديث وهو التأسف على مفارقة اولاده لقرب وفاته لأن غزوه حين كانت فى شوال سنة ثمان ووفاته كانت فى ربيع الاول من سنة احدى عشرة وبينهما سنتان ونصف وكأنه قال - وإنكم من ربحان الله - أى من رزق الله وأنا مفارقكم عن قريب إلا انه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - فكان ذلك تعريضاً لما أراد وقصده من قرب وفاته ومفارقته إياهم يعنى اودلاه وهذا من أغرب التعريضات وأعجبها • ومن هذا الباب قول الشميدر الحارثي

بني نعمنا لاتذكروا الشعر بعد ما دفتتم بصحراء الغمير القوافيا

فان ليس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الموضع من الغلبة لهم والقوة عليهم إلا انه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر ودفعه تعريضاً أى لا تفخرون بعد ذلك الواقعة التى جرت لنا ولكم بذلك المكان • ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن سعد الى المأمون فى حق بعض أصحابه أما بعد فقد استشفع فلان الى أمير المؤمنين لينطول فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعأ فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك بعد عن طاعته فوق المأمون فى كتابه قد عرفنا نصيحتك له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليهما

- القسم التاسع عشر -

(الاستطراد)

وهو التعريض بعيب انسان بذكر عيب غيره لمتعلق أو نفي عيب عن نفسه بذكر عيب غيره مثل قوله تعالى « وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم » • ومثل قوله تعالى « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة

عادي ونمود. • ومثل قوله تعالى « أَلَا بُعْدًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ عَاجِلٌ أَلْعَابُهُ » ومثل هذا في القرآن كثير • • ومنه في الشعر قول السموءل بن عاديا
 إنا لقومٌ لا نرى القتلُ سُبَّةً إذا مارأته عامرٌ وسَلُولُ
 يُقَرَّبُ حُبُّ الموتِ آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطولُ
 • • وقال آخر

ولا عيبَ فينا غيرُ عرقٍ لمعشرٍ كرامٍ وأنا لا نخطُّ على الرَّمَلِ
 يريدُ أنا لَسْنَا مجنُونٌ فَانِ الجَوْنُ كانتِ تَزْعُمُ أن الرجلَ منهم إذا تزوجَ أخته أو
 ابنته فجاءت منه بولد أن ذلك الولد إذا خط بيده على داء النملة أبرأه.

القسم العشرون

(في التوراة)

وهو أن يعاقب المتكلم لفظه من الكلام بمعنى ثم يردّها بعينها ويعاقبها بمعنى آخر
 وهو في القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « حتى تَوْتَى مَثَلُ مَا وُتِيَ رَسُلَ اللَّهِ
 اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » الآية. الجلالة الأولى مضاف إليها والثانية مبتدأ بها. وقوله
 تعالى « وَلَسَكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ومثله قوله
 تعالى « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ »

القسم الحادي والعشرون

(الاحتجاج النظري)

وبعض أهل هذا الشأن يسميه المذهب الكلامي • • وهو أن يذكر المتكلم معنى
 يستدل عليه بضرب من المعقول • ومنه قوله تعالى « أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

والارضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ اِنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۖ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » ۖ وَقَوْلُهُ تَعَالَى « قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ » ۖ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ

كَجَرَى الْقَضَاءِ بِمَا فِيهِ فَلَا تَلَمَّ وَلَا مَلَامَ عَلَىٰ مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ
 ۖ وَقِيلَ إِنَّ الْاِحْتِجَاجَ أَنْ يَخْرُجَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقَةِ الْجِدْلِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ
 مُلُوكٌ وَآخِوَانٌ أَذَا مَا أَتَيْتُهُمْ أَحْكَمُ فِي أُمُورِهِمْ وَأَقْرَبُ
 كَقَوْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلِمَ تَرْهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنِبُوا
 نَقُولُ لَا تَلَمَّنِي فِي مَدْحِ آلِ جَفَنَةَ وَقَدْ أَحْسَنُوا إِلَيَّ كَمَا أَحْسَنْتَ إِلَى قَوْمٍ فَشَكَرُوكَ فَلِمَ
 رَ ذَلِكَ ذَنْبًا

❦ القسم الثاني والعشرون ❦

(حسن المطالع والمبادئ • ويقال فيه حسن الاقتراح)

قال علماء علم البيان • • ومن ضروب هذا العلم حسن المطالع والفوائح وذلك دليل
 على جودة البيان وبلوغ المعاني الى الالذهان فانه أول شيء يدخل الالذنه وأول معنى يصل
 الى القلب وأول ميدان يحول فيه تدبر العقل وهو في القرآن العظيم على قسمين • جلي
 وخفي • أما الجلي فكقوله تعالى « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » • وكقوله تعالى « الْحَمْدُ
 لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ » • وقوله « تَبَارَكَ الَّذِي
 بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » وأكثر مطالع سور القرآن على هذا النمط
 • وأما الخفي فمثل قوله تعالى « أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ » • وقوله « أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » • وقوله « الْمَصَّ » • وقوله « حَمَّ » • وقوله « قَ وَالْقُرْآنَ »
 • وقوله « نُونُ وَالْقَلَمِ » وما يجري مجرى ذلك من السور التي أفتتحت بالحروف المفردة
 والمركبة وسيأتي الكلام عليها في فصل مفرد

— القسم الثالث والعشرون —

(حسن المقطع)

وهو عند أرباب هذا الشأن أن يحتم المتكلم كلامه بكلام حسن السبك بديع المعنى فانه آخر ما يبقى في الذهن ولانه ربما حفظ من دون سائر الكلام فيتعين أن يجتهد في رشايقه وحلاوته وجزالته وجميع خواتم سور القرآن في غاية الحسن ونهاية الكمال لانها بين • أدعية • ووصايا • وفرائض • وقضايا • وتحميد • وتهليل الى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى للنفوس بعدها تطامع ولا الى ما يعقبها تشوف — كالدعاء — التي ختمت به سورة البقرة — والوصايا — التي ختمت بها سورة آل عمران — والفرائض — التي ختمت بها سورة النساء — والتبجيل • والتعظيم — اللذين ختمت بهما سورة المائدة — والوعد • والوعيد — اللذين ختمت بهما سورة الانعام — والتحريض — على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به سورة الاعراف — والحض على الجهاد • وصلة الرحم — التي ختمت بهما سورة الانفال • ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وتسليته ووصيته بالتهليل التي ختمت به سورة براءة • وتسليته التي ختمت بها سورة يونس ومثلها خاتمة سورة هود • ووصف القرآن ومدحه اللذين ختمت بهما سورة يوسف • والرد على من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ختمت به سورة الرعد • ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة في انزاله التي ختمت به سورة ابراهيم • ووصية الرسول التي ختمت بها سورة الحجر • وتسليته صلى الله عليه وسلم وطمانينته ووعد الله سبحانه الذي ختمت به سورة النحل • والتحميد الذي ختمت به سورة سبحان • وتحضيض الرسول صلى الله عليه وسلم على الابلاغ والاقرار بالبشرية والأمر بالتوحيد الذي ختمت به سورة الكهف • وما ذكر في نصف القرآن مثال لمن نظر في بقيته الى غير ذلك من فواصل القرآن

— القسم الرابع والعشرون —

(في براعة الاستهلال)

وهو أن يذكر الإنسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاماً دالاً على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه كما قيل لِكَاتِبٍ أَكْتُبُ إِلَى الْأَمِيرِ وعرفه بأن بقرة ولدت حيواناً على شكل الإنسان فكتب . أما بعد حمد الله الذي خلق الأنعام في بطون الأنعام . ومنه قوله تعالى « لَمْ تَغْلِبِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ » وهم من بعد غلبهم سيفلون » . ومنه قوله تعالى « بِرَّاءَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ هَادَتْهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » . ومنه في القرآن كثير . . وشرطه أن لا يتبدأ بشئ يُتطير منه كقوله الْأَخْطَلُ

إذا مُتَّ ماتَ الجودُ وانقطعَ الندى ولم يبقَ إلا من قليلٍ مُصَرَّدٍ . .
وان يجنب التشبيب بالاسم المستكره كقول جرير

وتقول بوزعٍ قد دبتُ لغيرنا هلاً هويت لغيرنا يا بوزع^(١)

. . بل يتبدى بالمدح مثل قول أبزون العماني

على منبر العلياء جدك يخطبُ وللبلدة العذراء سيفك يخطبُ

وفي النهاية بمثل قول المتنبي

المجدُ عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الالمُ

. . وقول الآخر

أبشر فقد جاء ما تريدُ وبأدأ أعدائك المبيدُ

. . وفي التشبيب كمثل قوله

زُئِمُوا الْجَمَالَ فَقُلْ لِلْعَاذِلِ الْجَانِي لَاعِصِمِ الْيَوْمَ مِنْ مَدْرَارِ أَجْفَانِي

(١) هكذا في الاصل والمحموظ

وتقول بوزع قد دبت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

•• وفي المراتي بمثل قول أوس

أيتها النفسُ أنجلى جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

(قال المصنف) عفا الله عنه هذا النوع قد قدمناه في فصل حسن المطلع لكن الزنجاني رحمه الله أفرد له باباً فأفردناه على حكم ما أفردناه وكان في فصل حسن المطلع زيادات يحتاج إليها فذكرناها هاهنا وهذه الزيادة التي اقتضت أفرادها

❧ القسم الخامس والعشرون ❧

(الانتقال من فن الى فن • ويسمى التخلص • والكلام عليه من وجوه)

الاول في حقيقته • الثاني في شرطه • الثالث في الفرق بينه وبين الاقتضاب •
الرابع في المعنى الذي جيء به من أجله • الخامس في ذكر من هو أحق باستعماله
(أما الاول) فقال علماء علم البيان التخلص هو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني
فيما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الاول سبباً إليه فيكون بعضه أخذاً
برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع
كلامه كأنما أفرغ أفرافاً (وأما الثاني) فن شرطه أن يكون انتقاله من فن الى فن
ببديع وحسن رصف ووجازة لفظ ورشاقة معنى ليكون الذي انتقل اليه أقرب الى
القلب وأعلق بالنفس من المعنى الذي انتقل عنه (وأما الثالث) فالفرق بينه وبين
الاقتضاب أن التخلص لا يكون الا لعلاقة بينه وبين ما تخصص منه • وأما الاقتضاب
فليس شرطه أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل يكون كلاماً مستأنفاً منقطعاً عن
الاول (وأما الرابع) فالمعنى الذي جيء به من أجله شيان • أحدهما معرفة حدق
المتكلم وقوة ملكته في التلعب بالكلام وتصرفه فيه وطول باعه واتساع قدرته في
الفصاحة والبلاغة • والثاني التفتن بحصول ملاذ كثيرة وتكون لذته بأمور اقتضاها
اعمال للفكرة فيما يتخلص به من بديع المعنى ورشيق اللفظ وحسن النسق (وأما الخامس)

فالأحق باستعماله الشاعر فإن الشاعر تحصره القوافي والاوزان فيضيق عليه النطاق اذا اقتصر على معنى واحد فتدعو حاجته الى الخروج من فن الى فن ومن معنى الى معنى ليتسع نطاقه ويتحقق ارفاقه بخلاف الناثر فانه مطلق العنان بمدود الباع منبسط البنان يعضى حيث شاء ويتفنن في الانشاء . . وقد ورد في القرآن العظيم من هذا النوع آيات كثيرة . منها قوله تعالى « قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفأنتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين » لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم الى ذكر صفات الله عز وجل قال - ان أولئك أعداء لي إلا الله - فانقل بطريق الاستثناء المنفصل وهو خير من غيره من الكلام ومثله في القرآن كثير

﴿ القسم السادس والعشرون ﴾

(في الاقتضاب . والكلام عليه من وجوه)

الاول في حقيقته . الثاني في المعنى الذي أتى به من أجله . الثالث في أقسامه الرابع في أدواته . الخامس في الفرق بينه وبين النخاص . السادس في ذكر اختلاف الأئمة في الأبلغ منهما (أما الأول) فقال علماء علم البيان ان الاقتضاب ضد التخاص وذلك أن يقطع الناظم كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون لثاني علاقة بالأول ولا تلقيق بينه وبينه وهو مذهب القدماء ولذلك قال أبو العلاء محمد بن غانم الغساني ان كتاب الله العزيز خال من الاقتضاب والتخلص . وهذا القول فاسد لأن حقيقة التخلص انما هي الخروج من كلام الى كلام آخر غيره بلطفية تناسب بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج اليه وفي القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير والانذار والشارة بالجنة الى أمر ونهي ووعيد ووعيد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لنبي ونبي منزلة

الى ذم شيطان مرید وجبار عنید بلطائف دقيقة ومعان آخذة بالقلب أنيقة . . فما جاء من التخلّص في القرآن الكريم قوله تعالى « واتلّ عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لآبيه وقومه ما تعبدون قالوا انبئنا صنما فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون » الى قوله « فلو أنّ لنا كُرّةً فنسكون من المؤمنين » الآيات . هذا كلام يُذهل العقول ويحير الالباب وفيه كفاية لطالب البلاغة والمنتصب لهذه الصناعة فانه متى أنعم فيه النظر وتدبر أنباءه ومطاوى حكمته علم أنّ في ذلك غنى لمن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن . ألا ترى أيها المتأمل ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه الصلاة والسلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لاسؤال مستفهم ثم أمحى الى آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع والى تقليد آبائهم الاقدمين فكشفه وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذي لا تجب العبادة لإله ولا ينبغي الرجوع والالابة الا اليه فصور المسئلة في نفسه دونهم لقوله - فانهم عدوّ لي الآ ربّ العالمين - على معنى انى فكرت في أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة العدو وهو الشيطان فاجتنبتها وآثرت عبادة من اخير كله منه وأراهم بذلك انها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم الابما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى لهم الى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال - فانهم عدوّ لكم - لم تكن بتلك المثابة فتخلص عند تصويره المسئلة في نفسه الى ذكر الله تعالى وأجرى تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه وتعدد نعمه من لدن خلقه وإنشائه الى حين وفاته مع ما يرجو في الآخرة من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة وواجب على الخلق الخضوع له والاستكانة من عظمتهم ثم خرج من ذلك الى أدعية مناسبة فدعا الله بدعوات الخالصين وابتهل اليه ابتهاال الأواين لأن الطالب من مولاه والراغب اليه اذا قدم قبل سؤاله وضراعه الاعتراف بالنعمة والاقرار بالاحسان كان ذلك أسرع بالاجابة وأنجح لحصول القصد والطلبه ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث يوم القيامة ومجازات الله تعالى لمن آمن به بآثابة الجنة ولمن ضل عن عبادته بالنار فجمع بين الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون من الاصنام سؤال

موبخ لهم مستهزء بهم وذكر ما يدفعون اليه عند ذلك من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى العودة ليؤمنوا . . فانظر أيها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على لطيفة دقيقة حتى كأنه معنى واحد وخرج من ذكر الاصنام وتقريره لآبيه وقومه من عبادتهم إياها مع ما هي عليه من التعرى عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية وعظم شأنه وعدد نعمه ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه إياه وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله عز وجل وعقابه فتدبر هذه النخلصات اللطيفة وضم هذا الى غيره من تضمين هذا الكلام بأنواع من صناعة التأليف وهى الإيجاز والكناية والتقديم والتأخير ثم إنبأه الفعل الماضى عن الفعل المضارع . فأما الإيجاز فلا يخفاء به على العارف بما أشرنا اليه فى بابه الذى سبق ذكره أولا وان من جملة قوله تعالى « وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين » فانه جمع الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته مع عظمهما ونخامة شأنهما فى هذه الكلمات البسيرة . وأما الكناية فقولہ - وبرزت الجحيم للغاوين - والغاوون هنا كناية عن آبيه وقومه ويدل على ذلك قوله وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله - لان كلامه فى الاول كان معهم فى عبادتهم للاصنام . وأما التقديم والتأخير فانه ذكر ابراهيم النعمة وتعيدد الاحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة . وأما إنبأه الفعل الماضى عن المضارع فقولہ - وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله - بعد قوله - ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقبائٍ سامٍ - وفى ذلك من الفائدة ما أشرنا اليه فى بابه وقد سبق ذكره (وأما الثانى) فالغنى الذى أتى به من أجله تشوف النفس بعد قطع الكلام الاول الى الكلام الثانى الذى بعده ولا سيما اذا لم يكن بفاصلة فانه يدل على تمكن المتكلم فى البلاغة وقوة ملكته فى التلاعب بالكلام وجودة فكرة المؤلف وحسن فطرة السامع وصحة ذهنه (وأما الثالث) فقال علماء البيان هو على قسمين . منه ما يكون بفاصلة . ومنه ما لا يكون بفاصلة وهو بالفاصلة أحسن

لأن بها تشوف النفس الى المعنى الثانى فتكون له لذّة أشد مما اذا ورد بغتة (وأما الرابع) فأدواته فواصله وهى - أما بعد - وقيل إن أول من تكلم بهارسل الله ثم تداولها الناس بعده - وهذا - وهذه - وقد يذكّر لهما خبر كقوله تعالى « هذا ذكرٌ وإن للمتقين لحسن مآب » وقد لا يذكّر لهما خبر كقوله تعالى « هذا وإن للطاغين لشر مآب » وكما قال الشاعر

هذا وكلم لي بالجنينة سكرة أنا من بقايا شربها مخمور

• • وقد قال ابن الاثير فى جامعه فى قوله تعالى « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار » الى قوله « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » ألا ترى ما ذكر قبل هذا ذكر من ذكر من ذكر من الأنبياء وأراد أن يذكّر بعده بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال - هذا ذكر - ثم قال - وإن للمتقين لحسن مآب - ويدلّ عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال - هذا وإن للطاغين لشر مآب - وذلك من فصل الخطاب الذى هو اللطف موقفاً من التخلص فاعرفه • • ومن بديع الاقتضاب قوله تعالى « ويل للمطففين » الى قوله « لرب العالمين » ثم اقتضب فقال « كلاً إن كتاب الأبرار لى عتّين » • • وهو فى القرآن كثير جداً وأكثر ما يرد فى ذكر القصص وهذا من النوع الاول من الاقتضاب لأنه بلا فاصلة • • وقال ابن الاثير ومما استطرف من هذا النوع قول ابن الزمكافى (١)

وليل كوج البر قعيدى ظلمة وبرد أعانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن قهيدودينه
على أولقى فيه التفات كأنه أو جابر فى خطبه وجنونه
الى أن بدا ضوء النهار كأنه سناوجه قرواش وضوء جبينه

وقال إن هذه الابيات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح كان جالساً فى ندمائه فى ليلة

(١) ابن الزمكافى هذا تصحيح منا اعتماداً على حفظنا وفى الاصل ابن الزمكافى

• • وقد أورد الابيات التلوخى فى كتابه الاقصى القريب فى باب التخلص والاقتضاب

ولم يسم القائل

من لبلى الشتاء وفي جلتهم هؤلاء الذين هجّاهم الشاعر كان البرقيدي مغنياً وسليمان بن فهد وزيراً وأبو جابر حاجباً فالتمس الممدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه (قال المصنف عفا الله عنه) هذا الذي ذكره ابن الاثير قد أورده علماء علم البيان في باب الاستطراد وهو به أمس وأليق.

القسم السابع والعشرون

(في التطبيق)

ويسمى المطابقة والطباق والتكافؤ والتضاد . والكلام عليه من وجوه

الاول في حقيقته . الثاني في اشتقاقه . الثالث في أقسامه (أما الاول) فقال علماء علم البيان هو أن يجمع في الكلام بين متضادين مع مراعاة التقابل بحيث لا يضم الاسم الى الفعل ولا الفعل الى الاسم وهو كقوله تعالى « فليضحكوا قليلاً ولينكوا كثيراً » وقوله تعالى « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود » . وقوله تعالى « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » . وقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير » الى قوله « وترزق من تشاء بغير حساب » . وقوله تعالى « وأنه هو أضحك وأبكى » ومثله في القرآن كثير . ومن ذلك في أشعار العرب ومخاطباتهم كثير . فن بديع أشعار العرب قول الحارث بن حنظلة

بأننا نوردُ الرّايات بيضاً ونصدِرُهُنَّ سَحَرًا قَدَرُوْنِ

جمع في هذا البيت بين الطباق والمقابلة . . وأبدع منه قول بعض المتأخرين

فأوردَها بيضاً ظمًا صدُورُها وأصدَرَها بالرّبيّ ألوانها سحرُ

. . قال ابن الاثير أجمع جماعة علماء من أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده كاليابض والسواد والليل والنهار وخالفهم في ذلك أبو الفرج

قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة اراد لفظتين متساويتين في البناء والصفة مختلفتين في المعنى وهذا الذى ذكره قدامة هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء لا مشاحة فيها إلا اذا كانت مشتقة ولنظر نحن فيما حمله على ذلك • والذى حمل قدامة على ذلك ما اقتضاه اشتقاق لفظ الطباق وسنبينه (وأما الثانى) فاشتقاق الطباق وأصله فى اللغة من طابق البعير فى سيره اذا وضع رجله • وضع يده وهذا يقوى قول قدامة لان اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذى يقعان فيه واحد فكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحداً • • وأما الجماعة فيحتل أن يكونوا رأوا أن الرجل مخالفة لليد فراعوا المخالفة والضد مخالف للضد لا اجتماع لهما وهذا عين التضاد • ويجوز أن يكون الجماعة سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة تسمية مرتجلة لا اشتقاق لها ولا مناسبة وهذا هو الظاهر من هذا الأمر إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم يطلع عليها غيرهم والصحيح هو الأول لأن بعضهم سماه التضاد وهذا دليل على مراعاة الاشتقاق (وأما الثالث) فقد قسم أرباب علم البيان الطباق الى قسمين • لفظي • ومعنوي • أما اللفظي فهو على قسمين • الاول ما قدمناه • والثانى أن يجمع بين شيئين موافقين وبين ضديهما ثم اذا اشترطهما بشرط وجب أن يشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى » الآية • فكما جعل التيسير للتيسر مشروطاً بالاعطاء والتقى والتصديق جعل ضده وهو العسر مشروطاً بأضداد تلك الامور وهى المنع وعدم الاتقاء والاستغناء والتكذيب • • وأما المعنوي فعلى قسمين الاول أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

(١)

• • والثانى فى النفي كقول البحترى أيضاً
يُقَيِّضُ لى من حيثُ لا أعلمُ النوى ويسرى إلى الشوق من حيثُ أعلمُ
• • والطباق فى القرآن كثير • • ومنه فى السنة قوله صلى الله عليه وسلم — علم الانساب

علم لا ينفع وجهل لا يضر - وقوله صلى الله عليه وسلم في مدح الانصار - إنكم لتقولون
عند الطمع وتكثرون عند الجزع .. ومن الطباق البديع قول الشاعر
إن هذا الربيع شيء عجيبٌ تضحك الأرض من بكاء السماء

❦ القسم الثامن والعشرون ❦

(المقابلة • والكلام عليها من وجوه)

الأول في حقيقتها • الثاني في اشتقاقها • الثالث في أقسامها • الرابع في الفرق
بينها وبين الطباق (أما الأول) فقال جماعة من العلماء بهذا الشأن المقابلة ذكر الشيء
مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها .. وقال بعضهم المقابلة أن تضع معاني
تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو مخالفة فتأتي في الموافق بما وافق وفي المخالف بما
خالف وتشرط شروطاً وتعدد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن تأتي في الثاني بما
يوافقه بمثل ما شرطت وعددت وفيما يخالفه بأضداد ذلك كقوله تعالى « فأما من
أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للإسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى » وكقول الشاعر

فيا عجيباً كيف اتفقنا ففناصحٌ وفي مطوى على الغل غادرٌ

(قال المصنف عفا الله عنه) قال الامام نضر الدين رحمه الله هذا النوع في فصل الطباق
وذكره الزنجاني في فصل المقابلة والذي اختاره العلماء المتقدمون في هذا الفن أن المقابلة
ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها كما تقدم (وأما الثاني) فالمقابلة
مصدر من قابل الشيء الشيء يقابله مقابلة إذا واجهه وصار ماثلاً أمامه وهو من باب
المفاعلة كالمضاربة والمقاتلة وأصله في الاجرام يقال قابل الشخص الشخص والجبل الجبل
إذا واجهه ونالوجه إذا صار موازياً له ماثلاً أمامه ثم توسع فيه حتى استعمل في المعاني
ولما وضع المؤلف الكلمة بازاء الكلمة الأخرى والمعنى بازاء المعنى الآخر حصلت
المقابلة من جهة اللفظ تارة ومن جهة المعنى أخرى (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة •

مقابلة لفظية • وهى على قسمين وقد تقدم • ومقابلة معنوية • وهى على قسمين أيضاً •
الاول أن يقابل معنىً بمعنىً مثل « إنَّ لك أن لا تجوعَ فيها ولا تمرى وأنت لا تظلمُ
فيها ولا تصحى » وجهُ المقابلة فى هذه الآية أن - الجوع - هو خلوُّ الباطن - والعزى -
خلوُّ الظاهر - والظلم - احتراق الباطن - والصحى - احتراق الظاهر . فقابل الخلو
بالخلو والاحتراق بالاحتراق • والثانى أن يجىء فى السلب كقول الفرزدق

لعمري لئن قلَّ الحصى فى رحالكم بنى نهشلٍ ما لؤمكم بقليلٍ

• والثالث المقابلة الفاسدة وهو أن يقابل الشئ بما لا يوافقُه ولا يخالفُه كقول السكيت
وقد رأين بها حوراً منعمةً بيضا تكامل فيها الدلُّ والشنبُ

- والشنب - لا يشاكل الدل • وهذان القسمان ذكرهما الزنجاني فى تكلماته • والمقابلة
قريب من الطباق للمشابهة من بعض الوجوه والمخالفة من وجهين نذكرها بعد هذا
القسم (وأما الرابع) فالفرق بين المقابلة والطباق من وجهين • الاول أن الطباق
لا يكون إلا ضدَّين غالباً مثل قوله تعالى « وهو الذى يُميتكم ثم يُحييكم » وأشبه ذلك
• والمقابلة تكون غالباً بالجمع من أربعة أضداد • ضدَّين فى أصل الكلام • وضدَّين فى
عجزه • وتبلغ الى الجمع من عشرة أضداد • خمسة فى الصدر • وخسة فى العجز • • الثانى
لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها • وقد ورد فى أشعار
العرب والمتأخرين أبيات كثيرة يتضمن البيت منها مقابلتين وطباقين • • فن ذلك قول
الحارث بن حلزة

بأنَّ نورِدُ الرايات بيضاً ونصْدِرُهنَّ نحرأقْدروينا

• • ومن ذلك قول بعض المتأخرين

فأوردها بيضاً ظمأ صدورها وأصدرها بالرِّى ألوانها نحرُ

• • قال ابن الاثير فى جامعِه ان الطباق أحد أنواع المقابلة لانه لا يخلو الحال فى ذلك
من ثلاثة أقسام • اما أن يقابل الشئ بضده أو بغيره أو بمثله وليس لنا قسم رابع •
فأما الاول وهو مقابلة الشئ بضده كالسواد والبياض وما أشبه ذلك كقوله تعالى
« فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً » ألا ترى الى صحة هذه المقابلة البديعة حيث قابل

الضحك بالبكاء والقليل بالكثير • وكذلك قوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب • وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير المال عين ساهرة لعين نائمة - ومن هذا قول بعضهم في السحاب وله بلا حزن ولا فرح ضحك يراوح بينه وبكا

فقابل الضحك بالبكاء والحزن بالسرور في بيت واحد إلا أن في ذلك نظراً من حيث ترتيب التفسير لامن حيث المقابلة لأن ترتيب التفسير يقتضى أن كان قال - بلا حزن ولا مسرة بكاء يراوح بينه وضحك - وهذا لا كبير عيب فيه • وإنما الأولى والأليق ما أشرنا إليه فاعرفه • • وقال آخر

فلا الجود يُفنى المال والجَدُّ مَقْبَلٌ ولا البخلُ يَبقى المال والجَدُّ مُدْبِرٌ • • ومثله قول البحتري

وأمة كأن قبضَ الجورِ يسخطها دهرًا فأصبح حسنُ العدلِ يُرضيها
فقابل القبح بالحسن والجور بالعدل والسخط بالرضا وذلك بديع في بابه فاعرفه • وأما القسم الثاني وهو مقابلة الشيء بغيره فهو ضربان • أحدهما ما كان بين المقابل والمقابل له مناسبة وتقارب كقول بعضهم

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ومن أساء أهل السوء إحساناً
والظلم ليس ضد المغفرة وإنما هو ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وأمثال هذا كثير • وأما القسم الثاني أن يقابل الشيء بالشيء وبينهما بُعد ولا يناسبه بحال من الاحوال • أقول وذلك لا يحسن استعماله في التأليف • • ومما جاء منه قول بعضهم

أَمْ هَلْ طَعَانُ بِالْعَمَاءِ رَافِعَةً وإن تكامل منها الدل والشنب

فان ذلك غير مناسب لانه انما كان يحسن أن يكون مع الدل الفنج أو ما قاربه ومع الشنب اللبس أو ما يجري مجراه من اوصاف الثغر والغم • وأما الثالث فهو ان يقابل الشيء بمثله وهو ضربان • أحدهما التقابل في اللفظ والمعنى والآخر التقابل في المعنى دون اللفظ • أما التقابل في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى « وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكَرًا » وقوله

تعالى « فَنَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ » . وأما التقابل في المعنى دون اللفظ فهي مقابلة الجملة لمقابل مستقبل كانت أو ماضية فإن كانت ماضية قوبلت بالماضية وإن كانت مستقبلية قوبلت بالمستقبلية وربما قوبل الماضي بالمستقبل والمستقبل بالماضي وذلك إذا كان أحدهما في معنى الآخر . فمن ذلك قوله تعالى « قل إن ضللتُ فإني أضل على نفسي وإن أهديتُ فيها يوحى إلى ربِّي » فإن هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وإن أهديت فإني أهديت لها . . . وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى أن النفس كما هو عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبالٍ عليها وضار لها فهو بسببها ومنها لأنها أمانة بالسوء وكل ما هو لها مما ينفعها فبهديتها ربها وتوفيقه إياها وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحتته مع علو محله وسداد طريقته كان غيره أولى به . ومن هذا الضرب قوله تعالى « ألم يروا أناجعنا الليلَ ليسكنوا فيه والنهار مُبصرًا إن في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون » فإنه لم يراعِ التقابل في قوله - ليسكنوا فيه فيه . ومبصرًا - لأن القياس يقتضى أن يكون والنهار ليبصروا فيه وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهكذا النظم المطبوع الغير المتكلف لأن معنى قوله مبصرًا ليبصروا فيه طرق القلب في الحاجات . ومن مقابلة الشيء بمثله أنه إذا ذكر الموءلف ألفاظاً تقتضى جواباً فالمرضى عندنا أن يأتى بتلك الألفاظ في الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها مما هو في معناها . فمن ذلك قوله تعالى « وجزاء سيئةً سيئةً مثلها » ومما عيب في هذا الباب قول بعضهم من اقترف ذنباً عامداً أو اكتسب جرماً قاصداً لزمه ما جناه وحق به ما توخاه . والأليق إن كان قال لزمه ما اقترف وحق به ما اكتسب ليكون أحسن طباقاً وإن كان ذلك جائزاً في الكلام من حيث أن معناه صواباً لكنه عدول عن الأليق والأولى في هذا الباب وأمثاله كثيرة فاعرفها . . . واعلم أن في تقابل المعاني بابا عجيب الامر يحتاج إلى فضل تأمل وزيادة نظر وتدبر وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالعجاز من أبيات الشعر . . . فما جاء من ذلك قوله تعالى في حق المنافقين « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا » إلى قوله « ولكن لا يشعرون » . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا »

الى قوله « ولكن لا يعلمون » ألا ترى كيف فصل الآية الأخيرة بـ « يعلمون » والآية التي قبلها يشعرون وانما فعل ذلك لان أمر اديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة والعلم ولذلك قال - ولكن لا يشعرون - وأما النفاق وما فيه من المعنى المؤدى الى الفتنة والفساد فى الارض فأمر دينوى مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصاً عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتعاون فهو كالحسوس عندهم فذلك قال - يعلمون - وأيضاً فإنه لما ذكر السفة فى الآية الأخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقاً قال - لا يعلمون - وآيات القرآن العظيم جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فنصبج الارض مخضرةً إن الله لطيفٌ خبيرٌ » . وقوله « له ما فى السموات وما فى الارض وإن الله لهو الغنى الحميد » . وكقوله « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات والارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا باذنه إن الله بالناس لرؤوفٌ رحيمٌ » فإنه انما فصلت الآية بلطيف خبير لان ذلك فى موضع الرحمة لخلقه بانزال الغيث واخراج النبات من الارض ولأنه خبير بمنفعتهم ومضرتهم فى انزال الغيث وغيره . وأما الآية الثانية فانما فصلت بغنى حميد لانه له ما فى السموات وما فى الارض فعرف الناس أن جميع ما فى السموات وما فى الارض له لا حاجة بل غنى عنها جواد بها لان ليس غنى نافعاً بغناه الا اذا كان جواداً منعها واذا جاد وأنعم حمده المتعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحميد - ليدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه . وأما الآية الثالثة فانما فصلت - برؤوف رحيم - لانه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما فى الارض لهم واجراء الفلك فى البحر لهم وتسييرهم فى ذلك الهول العظيم وجعله السماء فوقهم وامساكه اياها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله - رؤوف رحيم -

❦ القسم التاسع والعشرون ❦

(الاحتراس)

وهو أن يذكر لفظاً ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما في ضمنه مما يؤهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن مثل قوله تعالى « يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا » وكان في العادة أن من تكلم في المهد لا يعيش ولا يتأدى به العمر فحصل الاحتراس بقوله تعالى - وكهلا - يريد أنه ليس يموت عاجلاً كأمثاله ممن تكلم في المهد بل يعيش إلى أن يبلغ السكوهة . ومنه قوله تعالى « وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ » أزال بقوله - من غير سوء - توهم أن بياض اليد من برص وغيره . . . وقد ورد في أشعار العرب من هذا كثير . من ذلك قول بعضهم

فسقا ديارك غير مُفسدها صوب الربيع وديمة تهبي

فاحترس بقوله - غير مفسدها - لأن تكرار الماء على الديار مما يوجب الدمار . . . وقال آخر

ألا فاسلمى يا دارمى على اليبلا ولا زال منها لاجر عائك القطر

فاحترس بقوله - ألا فاسلمى - ومثله في القرآن والشعر كثير

❦ القسم المو في ثلاثين ❦

(الاختصاص)

وهو عند الأصوليين التخصيص واختلفت فيه عبارات أهل العلم . . . فقال بعضهم هو إخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به لولا التخصيص وهو شبيه بالنسخ من حيث اشتراكهما في الابس ومن حيث أن كل واحد منهما يقتضى اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ إلا أنهما يفترقان من وجوه خمسة . الاول أن الناسخ أبداً

لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ كذا وقع في جميع ما نسخ من الكتاب والسنة إلا في آيتين . أحدهما قوله تعالى « مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ » فلها منسوخة بما قبلها وهو قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَبِزُرُونِ أَزْوَاجاً يَتَزَوَّجْنَ بَأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً » وهذا على خلاف الأصل وقد يعتذر عن هذا بأن آية الحَوْل إنما تسخت بالسنة لكن لا يتأتى هذا إلا على قول من يقول إن السنة تنسخ الكتاب . وأما على قول أنها لا تنسخه فلا يتأتى هذا . وقد يقال إن آية الحَوْل نزلت قبل آية الأشهر ولكن آية الأشهر أثبتت في الصحف قبلها فكان آية الحَوْل مقدمة في النزول متأخرة في التلاوة (الثاني) أن النسخ لا يكون إلا بخطاب رفع به حكم الخطاب الأول والتخصيص قد يقع بقول وفعل وقياس وغير ذلك (الثالث) أن نسخ الشيء لا يكون إلا بما هو مثله في القوة أو بما هو أقوى منه في الرتبة والتخصيص جائز بما هو دون المخصوص في الرتبة (الرابع) أن التخصيص لا يقع في حكم واحد والنسخ جائز في مثله لاسيما على أصل من ينفي نسخ الشيء قبل وقته (الخامس) أن التخصيص ما أخرج من الخطاب ما لم يرد به والنسخ رافع ما أريد اثبات حكمه . والذي اعتد عليه المحققون أن التخصيص إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام أو ما يقوم مقامه بدليل منفصل في الزمان إن كان المخصص لفظياً أو بالحس إن كان عقلياً قبل تقرير حكمه . فقولنا - أو ما يقوم مقامه - احتراز من المفهوم فانه يدخله التخصيص . وقولنا - بالزمان - احتراز من المستثنى من الاستثناء . وقولنا - بالحس - لأن العقلي المخصص مقارن . وقولنا - قبل تقرير حكمه - احتراز من أن يعمل بالعام فإن الإخراج بعد هذا يكون نسخاً . . . والتخصيص يسميه أرباب علم البيان الاختصاص عندهم ولا يحسن إلا أن يكون اختصاص الشيء بمعنى ظاهر مثل قوله تعالى « وَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى » اختصاصاً دون سائر النجوم لأنها عبدة . وقيل إن النجوم تقطع السماء طولا وهي تقطعها عرضاً . وقيل لأن المنجمين بطلوعها يتكلمون على المغيبات وما يحدثه الله في ملكه من الكائنات وينسبون ذلك إلى طلوعها وإن هذه الحوادث في كل عام من تأثيرها فرد الله ذلك عليهم بإعلامنا بأنها مدبرة بتدبيره مقدرة بتقديره متصرفة بمشيئته إذ هو ربها ورب كل شيء وهو على

كل شيء قدير .. ومن هذا النمط قوله تعالى « فيهما فاكهة ونخل ورمان » وهذا لا يتأتى إلا على قول من يقول أن الرمان والرطب فاكهة . وأما على قول من يقول أنهما ليسا من الفاكهة فلا يكون من هذا النوع .. ومن ذلك قوله تعالى « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ » أعاد الله ذكر جبريل وميكال مع أنهما من الملائكة بلا خلاف لخصوصية فيهما إما لأمر اختص بعلمه بهما اقتضى تخصيصهما أو لأن جبريل روح الله وأمينه على وحيه وميكال أمينه على خزائن فتحه ورحمته . وفي أشعار العرب كثير من ذلك نحو قول الخنساء أخت صخر

يَذْكُرْنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَنْدُبُهُ لِسُكُلٍ غُرُوبِ شَمْسٍ
وانما خصت هذين الوقتين لأن طلوع الشمس يذكرها بغارته على أعدائه وغروبها يذكرها باقراؤه ضيفانه فاخصت لهما هذين الوقتين من بين سائر الاوقات لهذين المعنيين . وعبارات التخصيص ثلاثة . الأولى انما جاءني زيد . الثانية جاءني زيد لامرؤ . والثالثة ما جاءني الا زيد . فيفهم من الأولى تخصيص . طلاق المجيء أو تخصيص مجيء معين ظنه المخاطب مخصوصاً بغيره أو مشاركا غيره فيه فأفاد اثباته لزيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة ومن الثانية في دفعتين والثالثة بأصل الوضع تفيد نفي التشريك ولهذا لا يصح ما زيد الا قائم لا قاعد لانك بقولك - الا قائم - نفيت عنه كل صفة تنافي القيام فيندرج فيه نفي القعود فيقع - لا قاعد - تكراراً ويصح انما زيد قائم لا قاعد فان صيغة - انما - موضوعة لتخصيص ويلزمه نفي الشركة فليس له من القوة ما يدل عليه بالوضع ولهذا يصح زيد هو الجائي لا عمرو فدلالة الأولين على التخصيص أقوى ودلالة الثالثة على نفي التشريك وقد تذكر الثالثة في مثل ما اذا ادعى واحد أنك قلت قولاً ثم قات بخلافه فتقول ما قلت الا ما قاتته قبل . وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « ما قلت لهم الا ما أمرتني به » ليس المعنى اني لم أزد على ما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولكن المعنى اني لم أدع بما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولم يذكر ما يخالفه .. وحكم - غير - لكذا وقع موقع - الا - حكم الا .. وأما - انما - فالاختصاص فيها يقع مع

المتأخر فاذا قلت انما ضرب عمراً زيد فلاختصاص في الضارب كما قال سبحانه وتعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » واذا قلت انما ضرب زيد عمراً فلاختصاص في المضروب واذا قلت انما هذا لك فلاختصاص في - لك - بدليل أنك تقول بعده لاغيرك واذا قلت انما لك هذا فلاختصاص في - هذا - بدليل أنك تقول بعده لا ذاك . قال الله تعالى « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » فاذا وقع بسدّها الفعل فالفى أن ذلك الفعل لا يصح الا من المذكور كقوله تعالى « انما يتذكر أولو الالباب » . . . وقد يجمع معها حرف النفي إما متأخراً كقولك انما جاءني زيد لا عمرو واما متقدماً كقولك ما جاءني زيد وانما جاءني عمرو . فهناك لو لم تدخل - انما - كان الكلام مع من ظن أيهما جاءك وان أدخلها كان الكلام مع من غلط في الجأني ولو قلت ان عمراً جاءني فان كانت المستغنى عنها فظهرت فائدة دخول - ما - على - إن - في - انما - . . . واعلم أن موضوع - انما - أن يجيء في أمر لا يدفع المخاطب صحته كقوله تعالى « انما يستجيب الذين يسمعون » أو ينزل بعده منزلته كقول الشاعر

إنما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماتُ

فادعى كونه بهذه الصفة بما لا ينكره أحد . ومثله قوله تعالى حكاية عن اليهود « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مُصلِحون » الذي يدعون انهم مصلحون أمر ظاهر معلوم فلذلك أكد الأمر في الرد عليهم فجمع فيه بين - ألا - التي هي للتنبيه و - إن - التي هي للتحقيق - وهم - التي هي للتأكيد فقال « ألا انهم هم المفسدون » . . . وقال ابن الاثير وهم يرون بالتخصيص في أعمال العام في النفي والخاص في الاثبات مثال ذلك الحيوانية والانسانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي الانسانية ولا يجنب من اثباتها اثبات الانسانية . . . ومما يدخل في هذا الباب الاسماء المفردة الواقعة على الجنس الذي يكون الفرق بينها وبين واحدها تاء التأنيث فانه متى أريد النفي كان استعمال واحدها أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعمالها في الجنس أبلغ . فالاول هو الخاص والعام نحو قوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » ولم يقل

بضوئهم لأن ذكر النور في حالة النفي أبانغ من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة فلو قال ذهب الله بضوئهم كان المعنى يعطى نفي تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نوراً لان الاضاءة هي فرط الانارة دليله قوله تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءاً . والفرض من قوله - ذهب الله بنورهم - انما هو ازالة النور عنهم رأسافهم اذا ازاله فقد ازال الضوء . وكذلك قوله تعالى « ذهب الله بنورهم » ولم يقل اذهب الله نورهم لأن كل من ذهب بشئ فقد اذهب وليس كل من اذهب شيئاً ذهب به لأن الذهاب بالشيء هو استصحابه له ومضى به وفي ذلك نوع احتياز للمذهوب به وامساك له عن الرجوع الى حاله والعود الى مكانه وليس كذلك الازهار للشيء لزوال معنى الاحتياز وهذا كلام دقيق يحتاج الى زيادة تأمل وانعام نظر فافهمه وقس عليه ما أشبهه وبالله التوفيق

— ••• —

— القسم الحادى والثلاثون —

(الاختراع)

قال علماء علم البيان •• الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه واشتقاقه من التليين والتسهيل يقال نبت خرع اذا كان ليناً فكان المتكلم سهل طريقه حتى أخرجه من العدم الى الوجود . ومنه في القرآن كثير •• من ذلك قوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ولم يُسمع بمثل هذا التمثيل البديع لأحد قبل نزول القرآن ولو سُمع لكان القرآن سابقاً ولا يكون مثله ولا قريباً منه وكذلك جميع أمثال القرآن ليس لها أمثال •• ومثال ذلك من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - حمى الوطيس - فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من تكلم بهذا حين قدم المسلمون خالد بن الوليد في غزوة مؤتة حين حمل خالد في العدو

- والوطيس - هو الثور فعب بشدة حميه ووقوده عن شدة الحرب واتقادها واتقاد نارها حين حمل خالد بن الوليد رضى الله عنه . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم - السعيد من وعظ بغيره - . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم - أما بعد - ومثل هذه الكلمات فى السنة كثير وليس هذا موضع إحصائها ولا محل استقصائها

القسم الثانى والثلاثون

(الهدم)

وهو أن يأتى غيرك بكلام تضمن معنى فتأتى أنت بضده فكأنه قد هدم ما بناه المتكلم الاول كقول أبى تمام

وبروحى القمر الذى بمحجرٍ أضحى مصوناً للتوى مبذولا

هدمه بعض الشعراء فقال

وبروحى القمر الذى لم يُبتدل بل حل وسط القلب لا بمحجرٍ

.. وقال البلاذرى

وقد يرفع المرء اللثيم حجابهُ ضعة ودون العرف منه حجابُ

هدمه الآخر فقال

ملك أغر محجبٍ معروفاً لا يحجبُ

• ومنه فى كتاب الله العزيز كثير .. من ذلك قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه » هدمه الله تعالى بقوله « والله لا يحب الظالمين » • وقوله « ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله » • وقوله تعالى « فلم يعدّ بكم بذنوبكم » • تقديره إن كنتم فيما ادعيتم صادقين فلم يعدّ بكم بذنوبكم • ومنه قوله تعالى « وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » هدمه الله عليهم بقوله « ذلك قولهم بأفواههم » • وقوله « ما اتخذ الله من ولدٍ » • ومنه قوله تعالى « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله » هدمه الله بقوله « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » • • ومثله فى القرآن الكريم كثير وفى الشعر هو كثير أيضاً

القسم الثالث والثلاثون

(الاستفهام)

وهو على قسمين • استفهام العالم بالشيء مع علمه به • ومراده بذلك معان ستة
 (الاول) التقرير ومرادك باستفهامك عن ذلك الشيء أن يقربه الفاعل كقوله
 تعالى حكاية عن قوم نمرود «أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ» ولا شبهة أنه ليس
 غرضهم أن يقر لهم بوجود كسر الاصنام ولكن غرضهم أن يقرّ بأن ذلك منه لا من
 غيره. (الثاني) يراد به الانكار وهو كقوله تعالى «أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ» وقوله
 تعالى «أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ» والانكار هاهنا في نفس الفعل أنكر الله عليهم كونهم
 جعلوا الملائكة إناثا وقالوا هم بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً • وكذلك
 قوله تعالى «اللَّهُ أَذُنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» المقصود إنكار أصل الاذن لانكار
 انه كان من غير الله وأضافوه الى الله • وكذلك قوله تعالى «الَّذِينَ كَرِهَ اللَّهُ حُرْمَ أَمْ
 الْاُنْتَيْنِ» تقديره لو وجدتم التحريم لكان محرماً إما ذا أو ذاك ثم يستدل ببطلان
 الاصلين على بطلان القسمين على بطلان أصل التحريم • ومثله قولك للرجل الذي
 بدعى أمراً وأنت تنكره متى كان هذا في ليل أم نهار - وتقديره لو كان لكان إمامي
 ليل وإما في نهار ولما لم يوجد فيهما ثبت أنه ليس بوجود أصلاً • فكذلك تقول في
 الآية فاتها نفي لأصل الاذن لنفي أقسامه وذلك أبلغ في النفي • وكذلك قوله تعالى
 «أَنْزَلْنَاهُ مَكْمُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ» حصل الانكار هاهنا بنفس الالتزام • وكذلك
 قول الشاعر

* أَتَقْتَلُنِي وَالْمَشْرِفَى مُضَاجِمِي *

• • واعلم أن الاستفهام بمعنى الانكار حاصله راجع الى تنبیت السامع على فساد ذلك
 الشيء حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتد عنه فعلى هذا لا يتصور الاً بالمحال على سبيل
 أن يقال له - أنت في دعواك كن يدعى المحال - وعلى هذا جعل قوله تعالى «أَأَنْتَ

نَسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُنَى » وليس اسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون لذلك الانكار وانما المعنى فيه تنزيل من يحاول اسماعهم منزلة من يحاول اسماع الصم وانما قدم الاسم في هذه الآية ولم يقل - أَفَتَسْمِعُ الصَّمَّ - لمعنى وهو اختصاصه صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى قال له صلى الله عليه وسلم أنت خصوصاً تظن أنك تقدر على اسماعهم فتكون بمنزلة من ظن أن لنفسه قدرة على اسماع الصم . . . واعلم أن حال المفعول في ذلك كحال الفاعل فإذا قدِّمتَ المفعول توجه الانكار الى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل فإذا قلت - أزيداً تضرب كان على هذا الحكم ولهذا قدِّمت - غير - في قوله تعالى « قل أغير الله أخذ ولياً » . ومن ذلك قوله تعالى « أبشراً منا واحداً نتبعه » وقد تقدم بيانه فانهم بنوا كفرهم على أن البشر ليس بمثابة أن يتبع ويطاع . . . واعلم أن صيغة المستقبل إما أن يكون الاسم مقدماً أو الفعل فان كان الاسم مقدماً اقتضى شيئاً بما اقتضاه في الماضي بمطابقته من الاقرار بكونه فاعلاً فالانكار لذلك . فمثال ذلك قوله تعالى « أ هم يقسمون رحمة ربك » (الثالث) الاستفهام للمبالغة في الاستحقاق مثل قولك الرجل تستحقه - أنت تمنعني أنت تضربني - ومنه قوله تعالى « أبشراً منا واحداً نتبعه » . وقوله تعالى « قل أغير الله أخذ ولياً » (الرابع) يأتي للمبالغة في التعظيم كقولك - أ هو يسأل الله أ هو يمنعمهم حقوقهم - ومنه قوله تعالى « أ من جعل الارض قراراً » الى قوله « أ إله مع الله » (الخامس) يأتي للمبالغة في بيان الخساسة كقولك - أ هو يسمع لهذا أو يرتاح الى الجميل - ومنه قوله تعالى « أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » (السادس) يؤتى بالاستفهام ليقع في النفس عدوبة المستفهم عنه واستحلاؤه كقول الشاعر

أيا ظبية الوعاء بين جلاجل وبين النقا أنت أم أم سلم

تقديره أنت الظبية أم أم سلم . أتى بالاستفهام هاهنا ليوقع في النفس موقفاً عظيماً من الحسن وبديع المحاسن حتى يشكل حالها كمثل محاسنها فيبقى عند ناظرها من ذلك تخيل لا يفرق بسببه بينها وبين الظبية . وهذا النوع يسمى عند أرباب الصناعة التجاهل . . . ومن بديع التجاهل قول مهباز الديلمي

أَنْتِ أَمَرْتِ الْبَذَرَ أَنْ يَصْدَعَ الدُّجَى وَعَلِمْتَ غَضَنَ الْبَانِ أَنْ يَتِمَّلًا
.. ومن بديعه أيضاً قول الآخر

وَعُقَارِ عَيْشٍ مَن عَاقَرَهَا عَيْشٌ أُنِيقُ
هِيَ لِلزَّهْوِ نِظَامٌ وَالِى اللّهُوَ طَرِيقُ
قَاتُ لِمَا لَاحَ لِي مِنْهَا شُعَاعٌ وَبَرِيقُ
أَشْقِيقُ أَمْ عَقِيقُ أَمْ رَحِيقُ أَمْ حَرِيقُ

.. وأما القسم الثانى من الاستفهام فهو أن يستفهم عن شئ لم يتقدم له به علم حتى
يحصل له به علم . ومنه فى القرآن العظيم وفى الشعر كثير وهذا هو أصل الباب

— القسم الرابع والثلاثون —

(المزلزل)

وهو أن يكون فى الكلام لفظة لو غير وضعها أو اعرابها تغير المعنى . ومنه فى
القرآن العظيم كثير .. من ذلك قوله تعالى « أَيْتَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » لو كسرت
الكاف لتغير المعنى . ومن ذلك قوله تعالى « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » لو ضُمَّت لاختل المعنى .
ومن ذلك قوله تعالى « وَيَلُومُنَّ الْمُكَذِّبِينَ » . ومن ذلك قوله تعالى « وَافِرِ
آبْنَتَى إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ » . وقوله تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » لو غير اعراب
إبراهيم و اعراب العلماء لاختل المعنى .. ومنه فى الشعر قول الوطواط

رَسُولُ اللَّهِ كَذِبُهُ الْأَعَادَى فَوَيْلٌ لِّمَنْ وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِ

ن كسرت ذال المكذب كان حسناً وان فتحت كان قبيحاً وكفراً .. ومن هذا المعنى
قوله تعالى « فَسَاءَ صِبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » فتح الذال ولو كسرت الذال كان قبيحاً وكفراً

﴿ القسم الخامس والثلاثون ﴾

(التعجب)

ومنه في القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى « فَاَصْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ »
 - ما - هاهنا تعجبٌ والتقدير تعجبوا من صبرهم على النار وقيل هي الاستفهامية
 والتقدير فأى شئ صبرهم على النار . . ومن التعجب قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
 مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » والخلاف فيها كالخلاف في الأولى . . ومن ذلك قوله
 تعالى « قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » أى ما أشد كفره . ومثله في القرآن كثير . .
 ومنه في الشعر قول بعضهم

أَيَا شِعْمًا يُضَى بِلَا انْطِفَاءٍ وَيَا بَدْرًا يَلُوحُ بِلَا حَقَاقٍ
 فَأَنْتَ الْبَدْرُ مَا سَبَبُ انْتِقَاصِي وَأَنْتَ الشَّمْعُ مَا سَبَبُ احْتِرَاقِي

﴿ القسم السادس والثلاثون ﴾

(السلب والإيجاب)

قال علماء علم البيان هو أن يورق الكلام على إثبات شئ وينفيه في كلام واحد
 وخطبة واحدة أو بيت واحد . وهو في القرآن العظيم كثير . . ومن ذلك قوله تعالى
 « هُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ » . وقوله تعالى « هُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ » . . ومنه في
 الشعر قول السموءل بن عادياة اليهودي

وَتُسَكِّرُ إِنْ شَدْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُسَكِّرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

- القسم السابع والثلاثون -

(الهزل الذى يراد به الجذ)

وهو فى القرآن العظيم فى قوله تعالى « قال يوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون »
روى أن أهل الجنة يفتح لهم باب من النار فيقولون لمن كان يضحك منهم فى الدنيا
من الكفار أن يدخلون الجنة فيقولون نعم فيقولون لهم هلموا فيتبادرون إلى الجنة فيغلق
الباب دونهم ويضحك منهم المؤمنون ويردون خائين وليس مراد المؤمنين بذلك القول
الضحك منهم وإنما مرادهم بذلك تبيكتهم وتشديد الحزن عليهم .. ومنه قوله تعالى
« إن تدخروا منا فأننا نسخر منكم » يعنى يوم القيامة .. ومنه فى السنة قوله
صلى الله عليه وسلم للعجوز التى سأته عن دخولها الجنة فقال لا يدخل الجنة عجوز
مزل بها وصدق وقال حقاً فإن الله تعالى أخبر عن أهل الجنة فقال « عمرُبا أتراباً
لأصحاب اليمين » وترى الإنسان مساويه فى العمر أو مقاربه .. ومنه فى الشعر قوله
إذا ما تميمى أذاك مُفاخرأ فقل عدى عن ذا كيف أكلك للضب
.. وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف القرآن وهو الجذ ليس بالهزل فالمراد به
الهزل الذى لا يراد به الجذ

- القسم الثامن والثلاثون -

(التاميح)

وهو أن يشير فى فحوى الخطاب إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من
غير أن يذكره كقول بشار بن عدى
اليوم خمرٌ ويبدو فى غدٍ خبرٌ والدَّهرُ ما بين إناهم وإياس

أشار به الى قول امرئ القيس - اليوم خرّ وغدا أمرت - حين بلغه قتل أخيه^(١) وهو
يشرب فصار مثلاً .. وكقول أبي بكر الخوارزمي
كانك لا تروين بيتاً لشاعرٍ سوى بيت من لا يظلم الناس يُظلم
.. وكقول أبي فراس

ولاخير في دفع الأذى بذلةٍ كما ردّها يوماً بسوءته عمرو
أشار بذلك الى قصة عمرو بن العاص مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
.. وقد يسمى أخذ بعض ألفاظ المثل اقتباساً وإيراد المثل كما هو تضميناً .. ومما جاء
من التاميم في الكتاب العزيز قوله تعالى « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف »
.. وقوله تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » .. وقوله تعالى « صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود » الآية .. ومن ذلك قوله تعالى « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب
الموت إذ قال لنيه ما تعبدون من بعدى » الى قوله « فأنما هم في شقاق » .. ثم قال
« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .. ومن ذلك قوله تعالى « هذا نذير
من النذر الأولى أرقت الآزفة » ثم قال « ليس لها من دون الله كاشفة » .. ومثله
في القرآن كثير

❦ القسم التاسع والثلاثون ❦ -

(النسخ والساخ والمسخ)

فأما النسخ ففي القرآن العظيم كثير .. وهو على ثلاثة أقسام .. منه ما نسخ لفظه
وحكمه .. ومنه ما نسخ لفظه وبقي حكمه .. ومنه ما نسخ حكمه وبقي لفظه .. أما

(١) ليس هو من قول امرئ القيس وإنما هو من قول مهلهل حين بلغه قتل
جساس أخاه كليلاً .. وامرؤ القيس لم يقتل له أخ فإن كان قاله حين بلغه قتل بني أسد
أباه حجرأ فربما اه كتبه محمد بدر الدين

مانسخ لفظه وحكمه فقد روى عن قتادة وغيره قالوا كنا نقرأ سورة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم - وقالوا كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - لو أعطى ابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب - . . . وأما ما نسخ حكمه وبقي لفظه ففي القرآن العظيم منه كثير . . . وأما السانخ والمسخ فليس في القرآن للعظيم منهما شيء لأنه لم يسبق قبله كلام فيسانخ منه ولم يتقدم معانيه فيقصر عنها فيمسح لانه الكلام القديم الذي لم يشبهه كلام ولم يتقدم عليه نثر ولا نظام وسندكر في القسم الذي ليس في القرآن منه شيء ما قاله أهل هذه الصناعة في السانخ والمسخ ان شاء الله تعالى

القسم الرابعون

(التعديد . ويسمى أيضاً سياق الاعداد)

وهو ايقاع أسماء مفردة على سياق واحد فازدروى في ذلك ازدواج أولزوم تجنيس أو مطابقة أو نحوها فذلك الغاية في الحسن كقولهم وضعنا في يده زمام الحل والعقد . والقبول والرد . والامر والنهي . والاثبات والنفي . والبسط والقبض . والابرام والنقض . والهدم والبناء . والمنع والمطاء . . . ومنه قول المتنبي

الخليلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والحربُ والطننُ والقرطاسُ والقلمُ

. ومنه في القرآن كثير . . . من ذلك قوله تعالى « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » . . . ومن ذلك قوله تعالى « وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكرك والأنثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب السمعى وأنه أهلك عاداً الأولى وعموداً فأتى وقوم نوح من قبل

أنهم كانوا هم أظلم وأظنى ، . . ومنه قوله « والله يقبض ويبسط »

❦ القسم الحادى والاربعون ❦

(المَوْجَّة)

وهو ان يمدح بشئ يقتضى المدح لشيء آخر كقول المتنبي
نهبت من الاعمار مالو حويته لهنت الدنيا بأنك خالد
أول البيت مدح بفرط الشجاعة وآخره بعلو الدرجة . وفى القرآن العظيم منه كثير
. . ومنه قوله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رهماء بينهم
تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سياهم في وجوههم من أثر
السجود » مدحهم في أول الآية بالشدة على الكفار ثم بالرحمة بينهم ثم بالخشوع
والخضوع ثم بالتدلل وحسن المسئلة ثم حسن السيأ وصباحة الوجوه . ومثله قوله
تعالى « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله » . . ومن هذا النوع قوله
تبارك وتعالى « ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول »
يجوز ان تكون - تقول - راجعة الى - الطائفة - ويجوز أن تكون عائدة على النبي
صلى الله عليه وسلم

❦ القسم الثانى والاربعون ❦

(المحفل الضدين)

وهو أن يكون الكلام محفلاً لشيء عوذه . . ومنه فى القرآن العظيم كثير . . من ذلك
قوله تعالى « وكان وراءهم ملك بأخذ كل سفينة غصباً » محفل أن يكون أراد

بورائهم - أمامهم ويحتمل أن يكون - وراءهم - وهو يطلبهم ومنه قوله تعالى
 « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » - والقرء - يطلق على الحيض والطمهر
 • ومثل ذلك قوله تعالى « قال إنه يقول إنها بقرة صفراء » قال المفسرون أراد
 سوداء • ومثله في الشعر قول الشاعر

* يغادرُ الجونة أن تغيبا *

- والجون - الاسود - والجون - الابيض وهو من الاضداد • • ومنه قول بشار في
 رجل خاط له قباء وكان الخياط أعور

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء
 فأحاجي الناس طراً أمديحاً أم هجاء

وكان سبب ذلك أن بشاراً خاط له زيد قباء فقال هذا إن شئت لبسته على وجهه وإن
 شئت لبسته على بطائه فقال له بشار وأنا أقول فيك شعراً إن شئت جماعته مدحاً وإن
 شئت جماعته ذماً وأنشده البيتين • • وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقال

أيا ابن كرويس يا نصف أعمى وان تفخر فيا نصف البصير

وكان ابن كرويس أعور • • وينخرط في هذا السلك قوله تعالى « إنك لأنك الحليم
 الرشيد » إذا جعل هذا من باب التهمك به والازراء عليه كان ذماً • ولهذا قال بعض
 المفسرين أرادوا - انك لأنك الاحق السفية - وإن أريد به المدح فالتقدير - انك
 أنت الكامل الحليم الرشيد فكيف يبدو منك مثل هذا لأنه ذكر الحليم والرشيد
 بالالف واللام التي هي لاستغراق الجنس أو للعهد • • ومثله في السنة قول النبي صلى الله
 عليه وسلم - من جعل قاضياً ذنباً بغير سكين - فإن أريد به الذم يكون التقدير من
 من جعل قاضياً فقد قتل بغير سكين لأنه ليس في قدرته إقامة الحق على وجهه واجراء
 الأحكام على القانون المستقيم فيكون قد كلف ما لا طاقة له به ومن كلف ما لا طاقة له
 به فهو في ألم شديد يشبه ألم من ذبح بغير سكين • ومن أراد المدح قال انه لشدة تحرزه
 في أحكامه واجتهاده في نقضه وإبرامه وانعامه النظر فيما يحدث من الوقائع ويتجدد من
 خفايا الاحكام والنظر في أمر الوصايا ومال الايتام الي غير ذلك من الامور المشقة يحصل

له من الألم مقدار ألم من ذبح بغير سكن بل أشد لأن من ذبح بغير سكن يقاسى الألم في حال ذبحه ثم يستريح والحاكم بهذه الأمور مستقر الثعب دائم التكبد مشغل القلب منقسم الفكر دائم النظر فنسأل الله اللطف بنا وبه انه على ما يشاء قدير

القسم الثالث والاربعون

(التجريد)

وهو على قسمين .. الاول خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى باسم التجريد وفائدته مع التوسع في الكلام أن يثبت الانسان لنفسه ما لا يليق التصريح بنبوته له وذلك قد يكون فضيلة كقول الحيمس بيص

إلآم براك المجد في رضى شاعر وقد نحت شوقاً فرّوع المنابر
وأنت نصبت الشعر علماً وحكمة ببعضهما ينقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير أنك فارس السمقال وعجى الدارسات الفوار
وإنك أتعبت المسامع والنهى بقولك عما فى بطون الدفاتر
.. وقد تكون لقيمة ولكن يؤثر ابداءه إما لتشك كقول النابغة

حننت الى رياء ونفسك باعدت مزأرك من رياء وشعباً كما معا
فاحسن أن تأتى الأمر طائماً ونجزع إن داعى العصابة أسما
وأذكر أيام الحمى ثم أنتنى على كبدى من خشية أن تقطعا
بنفسى تلك الارض ما أطيب الرثا وما أحسن المصطاف والمترعا

.. أو يكون لغير التشكى وذلك كالاعتذار كما قال المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسغدر النطق إن لم تسعد الحال
واجز الأمير الذى نعماء ياديه بغير قول ونعمى القوم أقوال

.. القسم الثانى خطاب المتكلم لنفسه بخيلا لها أن معه غيره كما قبل

أقول للنفس نساءً ونعزيةً إحدى يدي أصابني ولم ترد
وهذا النوع في القرآن العظيم منه كثير وسند كره في فصل تلوين الخطاب ان شاء الله
تعالى وقد ذكرنا منه طرفاً في أنواع الالتفات فانظره هناك فهو كثير

القسم الرابع والاربعون

(الرجوع والاستدراك)

وهو من أنواع الاعتراض ولكن علماء هذا الشأن أفردوا له باباً • وهو على
قسمين • • الاول أن تذكر شيئاً وترجع عنه كقولهم والله ما معه من العقل شيء
الأمقدار ما يوجب الحجة عليه كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم
• • القسم الثاني من الاستدراك وهو أن يتدى كلامه بما يؤهم السامع أنه هجو ثم
يستدرك ويأخذ في المدح كقول أبي مقاتل الضير

لا تقل بشري ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان
وهذا النوع غير مستحسن عند الخذاق فإن السامع ربما يتطير من أول الكلام فيتأذى
ولا يلتذ بما بعده والاستدراك في الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى « بلى من كسب
سيئة وأحاطت به خطيئته » وقوله تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن » وقوله
تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر » على قراءة
من خفف فرفع - البر - وقوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم » وقوله تعالى « قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قاي »
• • وفي القرآن كثير



﴿ القسم الخامس والاربعون ﴾

﴿ السؤال والجواب ﴾

وهو أن يحكى كلاماً يقال ثم يحينه يقال أيضاً • وهو في القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَذْبَحُهَا هَزُوا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » الى قوله « فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » • ومنه قوله تعالى « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَرْسَلَ إِلَيْكُمُ لِحُنُوءٍ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْمَلِكُمْ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِبَنِي مُيَمِينَ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » • وفي الشعر منه كثير من ذلك قول امرئ القيس

ويوم دخلت الخدر خدر غيرة
فقلت لها سيري وارخي زمامها
فقلت لك الويلات إنك من جلى
ولا تمنعنا من جناك المعلن

ومن بديعه قول بعض المتأخرين

وكاملة الأوصاف وأفرة الحيا
شكوت اليها ما أجن من الجوى
فقلت أصم العاذلون مسامى
فقلت فإذا عندكم لمدله
إذا شئت أن تحظى لدينا فكن لنا
فكم هلك في حُبنا من معاشر
ولا ظفروا بنا بأيسر طائل
إذا افتخرت بالحسن اعجزها المثل
فقلت إذا اشتد الجفا عذب الوصل
فقلت إذا صح الهوى بطل العذل
فقلت له إما الحياة أو القتل
فريدا فلا مال لديك ولا أهل
وما نهوا صفو الحياة ولا علوا
انطمع بالفريط في وصلنا جهل

•• ومن ذلك قول الباخري

قد قلتُ لها هجرتي ما العلة صدقت وتمايلت وقالت قل لهُ
قال علماء البيان أحسن هذا النوع ما كثرت فيه القلقة

﴿ القسم السادس والاربعون ﴾

(التوهم • ويسمى الايهام أيضاً)

وهو أن يجاء بكلمة توهم أخرى • ومنه قوله تعالى « يومئذ يُوفيهم الله دينهم الحق يومهم من لا يفهم أو يعلم العربية أن دينهم حق لأن دينهم إذا قرأها بالرفع من لا يفهم ولا يعلم العربية اقتضى ذلك أن دينهم حق وليس كذلك • ومنه قوله تعالى « قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة » من لا يفهم العربية ولا يفهم المعنى يعتقد أن مانافية وأنه ليس عند الله خير من اللهو ومن التجارة • ومنه قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » من لا يعرف العربية إذا سمع هذه الآية اعتقد أن الله تعالى يخشى العلماء والعارف بالعربية والقراءة ينصب الجلالة ويرفع العلماء فيظهر له أن العلماء هم الذين يخشون الله • ومنه قوله تعالى « قويل للمصلين » من لا يعلم المعنى اعتقد أن الويل لاحق بالمصلين ولهذا قال بعض الجهال

ما قال ربك ويل للذين سهوا بل قال ربك ويل له صائنا

• • وقد يقع من ذلك في الشعر كثير • ومنه قول سقيم

خجال على وحشيته ونخاله على ظهره سباً جديداً يمانيا

فقوله - يمانياً - يومهم أنه شياً بالشين • وكذلك قول المتنبي

فان الفئام الذي حوله لنحسد أرجلها الأروسا

فقوله - أرجلها - يومهم أنه القيام بالقاف وانما هو بالقاء والفئام الجماعات



❦ القسم السابع والاربعون ❦

(التشعيب)

وهو أن يكون في صدر الكلام كلمة من عجزه مثل قوله تعالى « قد نرى تقاب
وجهك في السماء فلتولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقوله
تعالى « ولئن أنيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلك وما أنت بتابع
قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض » . ومثل قول الشيخ أبي العلاء
قد أوردت غمد الحيام وأعشبت شعث الرجال واون رأسي أغبر
ولقد سلوت عن الشباب كما سلا غيري ولكن للحزين تذكر
.. وقال آخر ..

وما هجرتك النفس يا عز أنها قللتك ولكن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا بقول إذا ما جئت هذا حبيبها
أهابك إجلالا وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها

❦ القسم الثامن والاربعون ❦

(الاستثناء)

وهو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه أو يدخل شيئاً ثم يخرج منه بعضه . أما
الاستثناء ففي القرآن منه كثير . فنه قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير » الى قوله تعالى « الا ما اضطررتم اليه » . ومنه قوله تعالى « قل لا أجد في
ما أوحى الي محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسحوقاً أو لحماً خنزير »
.. ومنه في القرآن كثير . وأما الرجوع فلا ينبغي أن يكون في القرآن منه شيء لأن

المتكلم به لا يلبق بجلاله أن يوصف بالرجوع عن شيء • وأما ماسوى القرآن ففيه منه كثير من ذلك في الاستعمال قولهم - ليس له عقل الا ما تقوم عليه به الحجة - • وأما في الشعر فقد ورد في أشعار كثيرة • • منها

أليس قليلاً نظرةً إن نظرناها - اليك ولكن ليس منك قليل
• • ومنه قول الآخر

وما بي انتصار إن عدّا الدهر ظالمًا على بلى إن كان من عندك النصر
• • ومنه قول النابغة

ولا عيبَ فيهم أن سبّوهم • • من قول من قراع الكتاب



﴿ القسم التاسع والاربعون ﴾

(الغرابة • والظرافة • والسهولة)

أما الغرابة فقال ابن قدامة • • هي أن يكون المعنى غامضاً لم يسبق اليه على جهة الاستحسان فيقال ظريف وغريب إذا كان عديم المثال أو قليله والقرآن العظيم كله سهل ممتنع ألفاظه سهلة ومعانيه نادرة وأسلوبه غريب قدمازجت القلوب عذوبته وحلت في العيون طلاوته وراق في الاسماع سماعه واستقر في الطباع انطباعه فلهذا لم يُسأَم على تردادِهِ ولم تملهُ النفوس على دوام ابراده فكل آية منه حسنة المساق وكل كلمة منه عذبة المذاق وكل معنى منه دق ورق • • ومن هذا النوع في أشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين كثير لا يحصى • • فمن ذلك قول بعض العرب

هو صاحي ربح الشمال إذا جرت • وأشقى لقلبي أن تهبَّ جنوبُ
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى • فقلت وهل للماشقين قلوب
• • وقال آخر

ولا تحسبا هذا لها الغدر وحدها • سجية نفس كل غانية هنبه

فما خلف اجفاني شؤونٌ بخيلة ولا بين أضلاعي لها حجرٌ صله
.. وقال آخر

تقولُ نساءُ الحى تأملُ أن ترى محاسنَ ليلي مُتِ بَدْءُ المطامعِ
وكيفَ ترى ليلي بعينٍ ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامعِ
وتلتذُّ منها بالحديثِ وقد جرى حديثُ سواها في خروجِ المسلمعِ

.. وقال آخر

لا خيرَ في الحبِّ وقفاً لا تحركهُ عوراضُ اليأسِ أو رتاحهُ الطمعُ
لو كان لي صبرها أو عندها جزعُي لكنتُ أملكُ ما آتَى وما أَدْعِ
إذا دَعَى بِاسْمِها دَاعٍ ليحزني كادتْ له شُعْبَةٌ من مُهْجتي تقعُ
لأحملُ اللومَ فيها والغرامَ بها ما كلفَ اللهُ نفساً فوقَ ما تسعُ

.. وقال مسلم بن الوليد

عيني لعينك حينَ تنظرُ^(١) لكنَّ عينك سَهمٌ حَتِفٌ مُرْسَلٌ
ومن العجائبِ أنَّ معنىً واحداً هو منك سَهمٌ وهو مني مَقْتَلٌ

.. وقال آخر

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدَّثوا سوى أن يقولوا إني لك عاشقُ
نعم صدقَ الواشونَ أنتِ عزيزةٌ عليَّ وإن لم تصفُ منك الخلائقُ

.. وقال أبو تمام

أقولُ وقد قالوا استرحتَ بموتها من الكربِ رُوحُ الموتِ شرٌّ من الكربِ
.. وقوله أيضاً

وقالوا عزاءُ الموتِ للنفسِ مدفعُ فقلتُ ولا للحزنِ مُدْمَنَاتُ مدفعِ
ومن الغريبِ السهلَ الظريفِ قولُ أبي تمامٍ في قصيدته التي أولها

مافي وقوفك ساعةً من باسٍ تحيى بقايا الاربعِ الادراسِ
إقدامُ عمرو في نهضةٍ حاتمٍ في حلمٍ أحفَ في ذكاءِ إياسِ

(١) كذا في الاصل ولم تقف عليه في المطبوع من شعره

لا تشكروا ضربى له من دُونِهِ مثلاً شروداً فى الندى والباس
 قاله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنيراس
 وهذه الابيات على غاية من الغرابة وعلى نهاية من الطرافة والاطابة واغرب ما فيها أن
 أبا تمام لما أشد قوله

أقدام عمرو فى ساحة حاتم فى حلم أخنفت فى ذكاء إياس
 قال بعض من حضر فى مجلس الخلافة شبه أمير المؤمنين بكل بوال على عقبه فأنشد فى
 الحال يديها * لا تشكروا ضربى له من دونه * البيتين . فقال له الخليفة بمن فقال
 تمنيت الموصل فكان الخليفة توقف عن ذلك فقال له حكيم عنده اعطها له فانه
 لا يصل اليها فاقى من قوة فكرته شمت رائحة كبده فتوجه اليها فات فى الطريق . وهذا
 النوع القرآن كله منه فانه من غرابة الأسلوب وبداعة السياق وجودة الاتساق على
 غاية لا تدرك وطريقة لبعده مثالها لا تسلك . . ومن هذا النوع قول زهير

وما كان من خير كبير فاقما توارثه آباء آباؤهم قبل
 وهل يُنبِت الخطى الأوشيجهُ وتُفرس إلا فى منابتها النخل
 على مُكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين الساحة والبذل

(قال المصنف عفا الله عنه) هذا البيت قد ذكر أرباب هذه الصناعة أنه أمدح بيت
 قاله العرب وقد طعن عليه بعض الحذاق منهم وذكر فيه عيوباً . منها أنهم لو كانوا كرماء
 ما كان فيهم مقل . ومنها أنه جمل حق المعترى على المكثرين واجباً عليهم ولم يوجه
 على المقلين فكان المكثرون عليهم اكرام الضيف واجبا ولم يكن واجباً على المقلين
 فاقضى ذلك أن يكون اعطاء المكثرين عن كظم واعطاء المقلين عن كرم فصار المقلون
 أحسن حالا من المكثرين وأكرم أنفسا وعليه ما أخذ غير هذه ولنا بسدد استيفائها
 وهذا الباب واسع جداً وما ذكرناه فيه مقنع

﴿ القسم الموفى خمسين ﴾

(ما يوههم فساداً • وليس بفساد)

وهو أن يقرن الناظم أو الثائر كلاماً بما ليس بناسبه أو يقدم التشبيه على ذكر المشبهة • • ومنه في القرآن كثير وكذلك في أشعار العرب • • أما القرآن • فنه قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » قرن بها بقوله « وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن » الآية واتبعها • بقوله « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية » الآية فليس قبلها وبعدها ما يناسبها • ومنه قوله تعالى « إن لك أن لا نجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تنظمأ فيها ولا تضحي » الذي يقتضيه المعنى المناسب ظاهراً أن يقول إن لك أن لا نجوع فيها ولا تنظمأ وأنت لا تعرى فيها ولا تضحي • ومنه قوله تعالى « فإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وغير العالم المطاع على خفايا معاني القرآن العظيم يظن في ذلك كله عدم المناسبة وليس الأمر كذلك بل ما ورد به القرآن العزيز هو الاحسن وسندكر ان شاء الله المناسبة في ذلك • • فأما آية اليتامى فقد ذكر أئمة التفسير في المناسبة وجوها • أحدها ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت هذا في اليتيمة تكون عند وصيها فيعجبها حسننها ومالها فيمنعها عن الأزواج ليتزوجها بمهر دون مهر مثلها ويحوز مالها فأعلم الله المؤمنين أن من خشى منهم أن يقع في مثل ذلك مع اليتامى فليتكح ما طاب له من النساء من غير اليتامى • وقيل المعنى فإن كنتم من التقوى على حد تحشون أن تلوا مال اليتيم خشية عدم الاقسط فانكحوا ما طاب لكم من النساء يعنى اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً فإن من كان بهذه المثابة من خوف الله والتقوى لا يخشى عليه من الجور والميل وعدم العدل بين نسائه بدليل ما عقبه به من قوله « فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » • وقد ذكر أئمة التفسير في الجمع غير ذلك اقتصرنا على هذا خشية التطويل • وأما آدم عليه السلام فقد تقدم في المناسبة انها تارة يُقصد فيها مناسبة اللفظ والمعنى وتارة يراعى فيها مناسبة اللفظ فقط

وثارة براعى فيها مناسبة المعنى وهذه الآية منه وهو الذى أريد لأن - الجوع - خلو
الباطن عن الغذاء - والتعرى - خلو الظاهر عن الثياب - والظما - احتراق الباطن
بالحرارة - والضحي - احتراق الظاهر فظهرت المناسبة من حيث المعنى فيها . . وأما آية
الصلوات والمحافظة عليها فقد سئل عنها بعض أجلة أهل العلم رضى الله عنهم فقال لما
أمر الله تبارك وتعالى بالمحافظة على حقوق الخلق ذكر لهم حقوقه وهو الصلاة ليجمع
لهم فى التعليم بين مراعاة حقوق الخلق والحق ليحصل لهم السكال ثم لما كانت حقوق
الآدميين منها ما هو متعلق بالحياة وقد ذكر ذلك قبلها ناسب أن يذكر الحقوق المتعلقة
بالمات بعدها . وقد ذكر أهل التفسير رضى الله عنهم فيها أجوبة كثيرة اقتصرنا على
هذا منها . وقد وقع فى أشعار العرب الاقدمين والمتقدمين من الاسلاميين والمتأخرين
من هذا النوع كثير . من ذلك قول امرئ القيس

كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخلي كرى كرتة بعد إجفال

.. قال بعض النقاد ان هذا فاسد لانه جعل التناول مجاوراً للشجاعة فى البيتين
والاجود أن يجاور الشجاعة بالشجاعة والغزل بالغزل فيقول

كأنى لم أركب جواداً ولم أقل لخلي كرى كرتة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أبطن كاعباً ذات خلخال

.. ومن هذا النوع قول المتنبي

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال جرحى هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم

.. وهذا الذى ذكره النقاد قد رده جماعة من الخدائق بما حكى أن سيف الدولة قال
للمتنبي هذا فاسد المجاورة لانك أثبت بالتشبيه قبل ذكر المشبه والاجود أن تقول

وقفت وما فى الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثرعك باسم
تمر بك الأبطال كلى هزيمة كأنك فى جفن الردى وهو نائم

.. فقال المتنبي أيد الله مولانا الامير ان صح الذى استدرك صح الذى استدرك على

امرى القيس وهو أعلم بالشعر متى فقد أخطأ امرؤ القيس وأسأت أنا ومولاتا يعرف
أن الثوب لا يعرفه البراز كعرفة الناصح لأن البراز يعرف جلته والحائك يعرف جلته
وتفاريقه لانه هو الذى أخرجه من الغزلية الى الثوبية . . وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء
بلذة ركوب الخيل للصيد وقرن السباحة فى سبأ البحر للاضياف بالشجاعة فى منازل
الاعداء وأنا ذكرت الموت فى أول البيت فأتبعته بذكر الردى وهو الموت لتجانسهما
ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو وجهه من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية
قلت - ووجهك وضاح وتغرك باسم - لأجمع بين الاضداد فى المعنى وان لم يتسع اللفظ
لجمعهما فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً . . ومن ذلك قول بعضهم
فأنك ان تهجو تيماً وترثى سراًيل قيس أو سحوق العمام
كمهريق ماء فى الفلاة وغرّه سراب أذاعته رباح السمام
. . وقال آخر

إنى وتركى ندا الاكرمين وقد جى بكفى زناداً شحاحا
كشاركة بيضها بالعرأ ومأبسة بيض أخرى جناحا
يجب أن يكون كل بيت من الاولين مع بيت من الاخرين لانه أجود وأنسب . . ومن
هذا النوع أيضاً قول الشاعر

فيا أيها الحيران فى ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بئى من العدا
تعال اليه تاق من نور وجهه دليلاً ومن كفيه بحراً من الندأ
قال النقاد هذا فاسد التفسير لانه قابل البنى بالسباحة وكان يجب أن يقابل بغير ذلك
فيقول تنظر أسداً حامياً وليثاً مانعاً . . وقد قيل فى هذا البيت انه دل على الشجاعة
بلازمها لأن الشجاع لا يكون بخيلاً ولذلك قال الشاعر

لا تطلبن من البخيل شجاعة أن البخيل يخاف أسباب الردى
من لا يجود بماله يوم الندأ أنى يجود بنفسه يوم اللقا
وقد تعسف لهذه الابيات وجوه من المعانى وضروب من التصحيح تخرج بها عن أن
تكون فاسدة ليس هذا موضع استيفائها وفيما ذكرت كفاية ومقنع والله الهادى والموفق
(٢٣ - فوائد)

❖ - القسم الحادى والخمسون ❖

(فى التادر والبارد)

فأما البارد فليس فى القرآن العظيم منه شئٌ وسيأتى بيانه فى الفن الثالث الذى ليس فى القرآن العظيم منه شئٌ . . . وأما التادر فالقرآن مشحونٌ به فان أكثر ألفاظه نادرة الوجود ومعانيه مستوفية المقصود كل كلمة منه جامعة لمعان شتى وكل آية تحتوى على معانٍ لغير المتكلم به لا تتأتى وكل سورة إحكام أحكامها لا ينحصر وإعجاز إعجازها قد أعجز البشر وفيه النادر الحسن والاحسن . . . فمن الآيات التى لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثلها قوله تعالى « فلما جاء أمرنا وفار التنور » الى قوله « وقيل بعداً للقوم الظالمين » ولهذا ان ابن المقفع لما عارض القرآن ووصل الى هذه الآية قال هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله وترك المعارضة وزق ما كان اختلقه . . . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » جمعت هذه الآية أمرين ونهيين وخبرين ووعدين . . . ومن هذا النوع فى القرآن كثير بل القرآن كله حسن وأحسن وليس هذا موضع استقصاء الاحسن وفى أشعار العرب من هذا كثير وقد تقدم بيانه

❖ - القسم الثانى والخمسون ❖

(المساواة والتقصير)

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص . . . والقرآن العظيم جُلُّه بل كله على هذا النمط . . . وأما التقصير فليس فى القرآن منه شئٌ وسيأتى بيانه فى الفن الثالث

﴿ القسم الثالث والخمسون ﴾

(النصريح بعد الابهام • ويسمى التفسير)

قال أئمة هذا الشأن المراد بالتفسير بعد الابهام تفخيم المبهم واعظامه لانه هو الذى يطرق السمع أولاً فيذهب السامع فيه كل مذهب كقوله تعالى « وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » فسر ذلك الامر بقوله - أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - وفي ابهامه أولاً وتفسيره بعد ذلك تفخيم للمبهم وتعظيم لشأنه فانه لو قال تعالى - وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - لما كان بهذه المثابة من الفخامة فان الابهام أولاً بوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه فيتشوف الى معرفة كنهه والاطلاع عليه وعلى حقيقته • • ومن هذا الباب قوله تعالى « إهدنا الصراط المستقيم صراط الذى أنعمت عليهم » لما جاء فى الاول من التنبية والاشعار بأن - الصراط المستقيم - هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما نقول - هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم - ثم نقول - فلان - فيكون ذلك أبلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم والأفضل لانك بدأت بذكره مجلاً ثم بينته مفصلاً فجعلته علماً فى الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلاً جامعاً للخصلتين جميعاً فعليه بفلان • وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى « وقال الذى آمن يا قوم انبعوثى أهدكم سبيل الرشاد » الى قوله « يرزقون فيها بغير حساب » ألا ترى كيف قال - أهدكم سبيل الرشاد - فابهم سبيل الرشاد فلم يبين أى سبيل هو ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بدم الدنيا وتصغير شأنها لأن الاخلاص اليها أصل الشر كله ثم نبى ذلك بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هى الوطن المستقر ثم نكث بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف ويُشبط لما يزلف فكانه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة فى الآخرة والامتناع عن الاعمال السيئة خوف المقابلة عليها والمسايرة الى الاعمال الصالحة

رجاء المجازاة عليها .. وكذلك قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيمُ القواعدَ من البيت » ولم يقل قواعد البيت لما في ابهام القواعد ولما في تبيينها بعد ذلك من الايضاح وتفخيم حال المبهم بما ليس في الاضافة .. ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً » الى قوله « فأطاعُ إلى إله موسى » الآية لما أراد تفخيم ما التمس من بلوغه اسباب السموات أبهمها أولاً ثم فسرهما ثانياً ولأنه لما كان بلوغهما أمراً عجيباً أراد أن يورده على صورة مشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه لتتشوف اليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك .. ومما يدخل في هذا الباب الابتداء بذكر الضمير ثم الافصاح بذكر صاحبه وحده كقوله تعالى « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن » فانه لما أتى بالضمير الذي هو منه قبل صاحبه الذي هو في القرآن كان ذلك تفخيماً له وتعظيماً من أمره ولو قال - وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن - ولم يذكر الضمير لما كان للكلام تلك الفخامة التي كانت له مع ذكر الضمير .. ومثل هذا قولهم الكريم العالم الفاضل - ثم يقال - فلان - وقد سبق الكلام عليه .. وأما الابهام من غير تفسير فكثير شائع في القرآن العزيز كقوله تعالى « إنَّ هذا القرآنَ يَهْدِي لى هِىَ أَقْوَمُ » أى الطريقة أو الحالة أو الملة التي هى أقوسها وأشدّها وأى ذلك قدرت لم تجده له مع الافصاح ذوق البلاغة الذى تجده مع الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة وهذا لا يخفى على العالم برموز صناعة التأليف فاعرفه .. ومما يدخل في هذا الباب الاستثناء العدى وهو ضرب من التأليف لطيف المأخذ عجيب المغزى وانما يفعل ذلك طامباً للبالغه لأن له تأثيراً شديداً فى القلب وموقعاً عظيماً فى النفس وفائدته أنه أول ما يطرق سمع المخاطب ذكر العقد فى العدد فيكبر موقع ذلك عنده وهو شبهه بما ذكرنا من الابهام ثم التفسير بعدها يسوى بينهما .. فن ذلك قوله تعالى « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فابث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً » فانه انما قال - ألف سنة إلا خمسين عاماً - ولم يقل تسعمائة وخمسين عاماً لفائدة حسنة وهى ذكر ما ابتلى به نوح عليه الصلاة والسلام من أمته وما كابده من طول المقام ليكون ذلك تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبهاً له فان ذكر رأس العدد الذى هو منتهى

العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع قوة صبره وما لاقاه من قومه . . ومن يديح التفسير بعد الابهام قوله تعالى « انما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى » ولو حذف - واحدة - كان الأمر كما ذكرنا وذهبت تلك الفخامة التي في الابهام وزال ما فيه من الغموض وانقطع شوق النفس الى التفسير وفسر - الواحدة - بقوله أن تقوموا لله مثنى وفردى . . ومنه قوله تعالى « والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى » . ومنه قوله تعالى « فغشيهم من اليم ما غشيهم » . ومنه « وفعلت فمלתك التي فعلت » . ومنه في الاستعمال قولهم فؤاد فيه ما فيه . . ومنه قول الشاعر في وصف الحر

فقد مضى ما مضى من عقل شارها وفي الزجاجة باقى يطلب الباقي . . ومنه قول الآخر

مضى ما مضى حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعدي . . وقال آخر

سأغسل عني العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا فاعرف ذلك وقس عليه

القسم الرابع والخمسون

(التعقيب المصدري)

وانما يُعتمد الى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمه والاشعار بتعظيم شأنه أو بالضد من ذلك . . مثال الاول قوله تعالى « ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض » الى قوله « هل تجزون ألا ما كنتم تعملون » فقوله - صنع الله - من المصادر المؤكدة لما قبلها وهو كقوله « وعند الله . وصيغة الله » ألا ترى أنه لما جاء ذكر هذا الأمر العظيم الدال على القدرة الباهرة من النفخ في الصور وإحياء

الموتى والنفوس واحضار الناس للحساب وتسيير الجبال كالسحاب في سرعتها وهي عند الرؤية لها والمشاهدة كأنها جامدة عقب ذلك بأن قال - صنع الله - أى هذا الأمر العجيب البديع صنع الله والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت من الاشياء الباهرة وأثابة الله المحسنين ومعاقبة المجرمين فجعل هذا الصنع من جملة الامور التي هي أنفسها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال - صنع الله الذى أتقن كل شئ - يعنى أن مقابلة الحسنات بالثواب والسيئة بالعقاب من إحكام الاشياء واتقانه لها واجرائه اياها على الحكمة أى انه عالم بما يفعل العباد وبما سيرجمعون اليه فيكافئهم على حسب أفعالهم ثم لخص ذلك بقوله « من جاء بالحسنة » الى آخر الآيتين . فانظر أيها المتأمل الى بداعة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة ايجازه وفصاحة تفسيره وأخذ بعضه برباب بعض كأنه أفرغ افراغا واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق . ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب الكلام كان كالشاهد بصحته والمنادى على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون الا ما قد كان ألا ترى الى قوله - صبغة الله . وصنع الله . ووعد الله . وفطرة الله - بعد ما وسمها بإضافتها اليه بسمه التعظيم كيف تلاها بقوله - الذى أتقن كل شئ - . . وأما الثانى وهو ضد الاول وذلك ما يراد به تصغير الشأن كقولهم اذا ذكر انسانا يريدون ذمه - قد ركب هواه . واستقر على غيه . وتمادى على جهله . وسحب ذيل عجيبه - وما أشبه ذلك ثم يقول - صنع الشيطان الذى غلب النفوس وميل الالباب - ومثل هذا كثير فاعرفه

القسم الخامس والخمسون

(النفي والاثبات)

وهو أعلى ضرب من البلاغة كثير الفوائد عذب الموارد . وقد تكلم فيه أرباب علم الكلام وأرباب علم البيان وقالوا ان نفي الخاص يدل على ثبوت العام ولا يدل نفيه

على نفيه . وقد بينا أن زيادة المفهوم في اللفظ توجب زيادة الالتئاذ به لحصول جملة من الملاذ دفعة واحدة ولذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص وأثبت الخاص أحسن من إثبات العام . أما الاول فكقوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » ولم يقل بضوئهم لأن النور أعم من الضوء إذ يطلق على الكثير والقليل وإنما يقال الضوء على القدر الكثير . ولذلك قال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً » وهاتنا دقيقة وهو أنه قال - ذهب الله بنورهم - ولم يقل أذهب نورهم لأن الأذهاب بالشيء لا يمنع من عود ذلك الشيء بخلاف الأذهاب إذ يفهم من ذلك استصحابه في الأذهاب ومقتضى ذلك منعه من الرجوع . وكذلك قوله تعالى « قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة » معناه لاضلالة واحدة في ويلزم من ذلك أن لا يثبت له فرد من الضلال البتة ولا كذلك لو قال ليس بي ضلال لان اسم الجنس يقال على الكثير والقليل فيجوز أن يكون المنفي هو الكثير . ومما يشبه ذلك قوله تعالى « ولا تقل لهما أف » فان هذا يدل على النهي عن الضرب أيضاً لاعلى أن التأنيب أعم بل لأن المقصود من منع التأنيب هو الأكرام وعدم الإهانة والإهانة بالضرب أكثر من الإهانة بالتأنيب . الثاني كقوله تعالى « وجنة عرضها السموات والأرض » ولم يقل طولها لان العرض أنقص إذ كلما له عرض فله طول ولا ينعكس . ومما يتعلق بهذا انه اذا كان الشيء يشبه أشياء بعضها أتم في التشبيه أو أوفق من بعض فالاولى والأولام الاقتصار على ما هو أتم وأوفق فان ذكر الكل فالاولى الابتداء بالادنى والاضعف ليكون انتقال الذهن الى الأعلى بتدرج ولأن التشبيه بالأعلى أدنى والانتقال من لذة الى ما هو دونها غير ملذذ ولا مستحسن فلذلك قال الاشرع النحوي

حصى الحديد عليهم فكانه لمعان برق أو شعاع شمس

. واذا كان للشيء صفة يغني ذكرها عن ذكر صفة أخرى أو يدل عليها كان الاقتصار عليها أولى من ذكرها لان ذكرها كال تكرار وهو ممل واذا ذكر فالاولى تقديم المدلول عليها وتأخير الدالة حتى لا تكون الآخرة قد تقدمت الدالة عليها وقد يخل بذلك لمقصود

آخر كما في قوله تعالى « وكان رسولا نبيا » فانه آخر نبيا لاجل السجع . واذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على بروت آخر أو نفيه كان الأولى الاقتصار على الدال على الآخر فان ذكرنا فالأولى تأخير الدال وقد يخل بذلك لمقصود كما في قوله تعالى « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » وعلى قياس ما قلنا ينبغي أن يقتصر على صغيرة وان ذكرت الكبيرة فأنذكر أولا . ومثله قوله تعالى « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » وعلى ذلك القياس يكتب في بقوله - ولا تقل لهما أف - وان ذكرنا فيقول - ولا تنهرهما ولا تقل لهما أف - . واذا تكررت الصفات فان كان للمدح فالأولى الانتقال من الأدنى الى الأعلى ليكون المنهج مزيدا لتزايد الكلام وان كان للذم فقد قالوا ينبغي الابتداء بالاشد ذما وهو مشكل . وقد يجوز أن يستعمل نفي الخاص لنفي العام ويسمى هذا عكس الظاهر وهو من الحجاز البديع . ومثاله قول على رضى الله عنه في وصفه لمجلس رسول الله صلى عليه وسلم - انه لاتننى فئاته - أى تذاع والمراد أنه لافئات له البتة وانما يعرف ذلك لأنه نكرة في معرض المدح وانما يكون كذلك اذا كان المراد ما ذكرناه . ومنه - ليس بهاضب فينجحمر - والمراد أنه لاضب بها . . . وكذلك قول بعضهم

تردين جلاب الحياء فلم يرى لذيولهن على الطريق غبار

والمراد انهن لا يخرجن ولا يمشين . وهذا ينبغي أن يكون من باب تنسيق الصفات لكن فيه زيادة اقتضت افراده

❦ القسم السادس والخمسون ❧

(في الضائر وما يتغاق بها)

اعلم وفقنا الله وإياك أن الضمير لا يخلو إما أن يكون معلوماً أو لا يكون كذلك . فالأول تأكيده بضمير آخر وعدم تأكيده بذلك سواء في البلاغة كما في قوله تعالى « بيدك الخبير إنك على كل شيء قدير » مع قوله تعالى « نعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب » وذلك لأن قدرة الله تعالى وعلمه معلومان

فاستوى حذف الضمير المؤكد واثباته معهما . والثاني الأولي فيه والأفصح تأكيد
الضمير بضمير آخر وذلك إذا أريد تقوية المتعلق به . وحيث إن يكون الضميران
متصلين أو منفصلين أو أحدهما متصل والآخر منفصل . أما المتصلان فكقوله تعالى
« قال أقتلت نفساً زكيةً بغيرِ نفسٍ لقد جئت شيئاً نكراً » قال ألم أقل لك إنك لن
تستطيع معي صبراً » وإنما أكد هنا دون قصة السفينة لارادته في قصة الغلام زيادة
الذكر . . وأما المنفصلان فكقول المتنبي

فإنك أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر المملك الهمام

والغرض المبالغة في زيادة المدح . . وأما إذا كان أحد الضميرين منفصلاً والآخر متصلاً
فكقوله تعالى « قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى » وهاتين دقتي . أحدها الإتيان بلفظة
- إن - المشددة لتنفيذ تأكيد ثبوت ما بعدها . وثانيها تكرير الضمير يدل على تأكيد
ما يتعاقب به . وثالثها ذكر - الأعلى - معترفاً يدل على أن غيره لا يكون كذلك بخلاف
على وأعلى . ورابعها أن - الأعلى - بصفة أفعول يشعر بزيادة العلو . وخامسها حذف
لام العلة يفيد زيادة علة لعدم الخوف لأن قوله - لا تخف - علة لعدم الخوف لأنه
نهى عنه واشتقاقه بعد ذلك بقوله - إنك أنت الأعلى - منع أيضاً من الخوف لأن
الأعلى لا يخاف الأدنى

- القسم السابع والخمسون -

(الفصل والوصل)

وهو العلم بمواضع العطف والاستشفاء والتهدى الى كيفية إيقاع حروف العطف
في مواقعها وهو من أعظم أركان البلاغة حتى قال بعضهم حشد البلاغة معرفة الفصل
والوصل . . واعلم ان فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ثم من
الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو وهو المراد بالذكر هاتين والعطف

والمعطوف عليه على ثلاثة أقسام • الاول عطف مفرد على مفرد وهو يقتضى التشريك فيما يوجب الاعراب • الثانى عطف الجمل التى فى قوة الافراد ويقتضى التشريك أيضاً • الثالث الجمل التى ليست فى قوة المفرد • وهى على قسمين • قسم يكون فيه معنى أحد الجملتين لذاته متعلقاً بمعنى الأخرى كما اذا كانت كالتوكيد لها فلا يجوز ادخال العاطف لأن التوكيد والصفة متعلقان بالمؤكد والموصوف لذاتيهما والتعاقب الذاتى يغنى عن لفظ يدل عليه فالتأكيـد كقوله تعالى « ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » • وكقوله تعالى « واذا تلى عليه آياتنا وتلى مستكبراً كأن لم يسمها كأن فى أذنيه وقراً » ولم يقل وكأن لأن المقصود من التشبيه بمن فى أذنيه وقر التشبيه بمن لا يسمع إلا أن الثانى أبلغ • • وكذلك قوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبينٌ » • وقوله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى » الانبئات فى الآيتين جميعاً تأكيـد لئنى ما نفى • • وأما قوله تعالى « إن هذا إلا مآك كريمة » فيحتمل أن يكون تأكيـداً لقوله « ما هذا بشراً » اذ المرتفع عن البشرية من المخلوقات اما هو الملك ولان الناس اذا شاهدوا فى الانسان من الخلق الحسن والخلق الجليل ما يعجبوا منه قالوا ما هذا بشرٌ لان غرضهم أن يقولوا انه ملك فلما كان ذلك مفهوماً قبل التصريح به كان التصريح به تأكيـداً ويحتمل أن يكون صفة له فان اخراجه عن جنس البشرية يتضمن دخوله تحت جنس آخر لا تحت الملك على الخصوص فان القسمة غير محصورة فى النوعين فجعله ماسكاً تعييناً لذلك النوع وتمييزه عن غيره • الثانى أن لا يكون بين الجملتين تعلق ذاتى فان لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العطف ولذلك عابوا أبا تمام فى قوله

لا والذي هو عالمٌ أن الهوى صبرٌ وأن أبا الحسين كريمٌ

اذ لا مناسبة بين مرارة الهوى وبين كرم أبى الحسين • ثم إن كان المحدث عنه فى الجملتين شيئين لغير المناسبة فى الذى أخبر بهما والذى أخبر عنهما والمراد بالمتاسبة أن يكونا متشابهين كقولك زيد كاتب وعمر وشاعر أو متضادين تضاداً على الخصوص كقولك زيد طويل وعمر قصير وكقولك العلم حسن والجهل قبيح • فلو قلت زيد طويل

والخليفة قصير أخلّ المعنى عند السامع اذ لم يكن لزيد تعلق بمحدث الخليفة ولو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل اللفظ اذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر . . وان كان المحدث عنه في الجملتين شيئاً واحداً كقولك فلان يقول ويفعل فيجب الاتيان بالعاطف فان الغرض جعله فاعلا للامرين وترك العاطف يومهم أن الثاني رجوع عن الاول والاجتماع لزيادة الاشتراك كقولك العجب من انك تنهى عن شيء وتأتى مثله . وكقول الشاعر

لا تَطْمَعُوا أَنْ تَهْنِئُوا وَتُكْرِمَكُمْ وَأَنْ تَكْفِيَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتَوْذُونَا
أى لا تطمعوا أن تروا اكرامنا اياكم يوجد مع اهانتكم ايانا ويجامعها في الحصول . .
والعاطف تارة يجب اسقاطه وتارة يجب اثباته وتارة يخير بين اسقاطه واثباته . . أما
الذى يجب اسقاطه فهو اذا كان اثباته يخل بالمعنى كقوله تعالى « واذا قيل لهم لا تفسدوا
فى الارض قالوا انما نحن مُصالحون ألا انهم هم المفسدون » فقوله - ألا انهم هم
المفسدون - كلام مستأنف وهو اخبار من الله تعالى فلو أتى بالواو العاطفة لكان اخباراً
عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى ويتناقض الكلام . .
وكذلك قوله تعالى « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مُستهزؤون
اللهُ يُستهزئُ بهم » فهذا اخبار من الله تعالى وفى الحقيقة جواب سؤالٍ مقدر لانه
تعالى لما أخبر عنهم بأنهم قالوا كبت وكبت تشوَّف السامعون الى العلم بمصير أمرهم
فكانه قيل فماذا فعل الله بهم فقال « اللهُ يُستهزئُ بهم ويمدُّهم فى طُغيانهم يعمهون »
. . وأما ما يجب اثبات العاطف فيه فقوله تعالى « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ
وَمَكُرُوا وَكَرَّ اللَّهُ » فان كل واحدة من الجملتين خبر من الله تعالى . ومثله فى القرآن
العظيم كثير . وأما الذى يخير بين اسقاطه واثباته فهو اذا كان اسقاطه لا يخل بالمعنى
واثباته لا يفيد معنى زائداً . وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى



﴿ فصل ﴾

يشقل على ذكر جل عطف بعضها على بعض
بالواو • والفاء • وثم • واختلاف معانيها

• فمن ذلك قوله تعالى « هو يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا عَصِيتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ » عطف أولاً بالواو لأن الاطعام والاسقاء ليس فيهما ترتيب واجب مع أن تأخير الاسقاء أولى ولذلك أخره في الذكر وعطف ثانياً بالفاء اذ لامهلة بين المرض والشفاء وعطف بهم لما بين الأمانة والاحياء من المهلة ومع ذلك نسب الموت الى الله لما في ذلك من اظهار القدرة والقهر ونسب المرض الى نفسه لان الادب أن لا ينسب الى الله تعالى إلا ما يحمد والموت وان كان مذموماً لكنه عند قائل هذا محمود لانه على يقين من السعادة الآخروية • ومن ذلك قوله تعالى « فحملتُهُ فَانْتَبَذَتْهُ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ » انما عطف بالفاء مع أن بين مجيء المخض والحمل مهلة لان المهلة التي بين حملها ومخاضها كانت مدة يسيرة قيل كانت يوماً وقيل كانت ثلاث ساعات وعليه أكثر المفسرين حتى يتميز حملها عن سائر النساء ويكون ذلك كرامة لها فعلى هذا يكون المراد بالآية بيان ذلك • • وجميع أفعال المطاوعة اذا كانت على معانيها فانما يعطف عليها بالفاء لا الواو وتقول دعوته فأجاب وأعطيته فأخذ ولا يحسن أعطيته وأخذ ولادعوته وأجاب قال الله تعالى حكاية عن ابليس « وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى » وكذلك تقول كسرتة فانكسر ولا تقول كسرتة وانكسر • وأما اذا كان فعل المطاوعة على غير معناه فقد يحسن العطف عليه بالواو كما في قوله تعالى « وَلَا تَطْعَمْ مِنْ أَغْلَقْنَا قَبْسَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ » • ومن المعطوف بالواو أيضاً قوله تعالى « وَإِنَّا أَنَا أَوْ آيَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » ولو قال لنى هدى أو على ضلال لم يحسن لان على - تفيد الاستعلاء وهو مناسب للحق - وفى - تفيد الوعاء والكافر كأنه مغموس فى الضلال • • ومن هذا النوع قوله تعالى « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ

والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، ما عدل عن اللام في الاصناف الاخيرة الا لبيان ان تلك الاصناف أحق بالصدقات بنبي أن توضع فيهم وضع الشيء في الوعاء وكرر في لبيان أن سبيل الله أولى بذلك فتأمله فهو كثير في القرآن

❦ القسم الثامن والخمسون ❦

(في الوصف)

والوصف أصله الكشف والظهار من قولهم - وصف الثوب الجسم - إذا لم يستره ونم عليه .. وأحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عياناً ولاجل ذلك قال بعضهم أحسن الوصف ما قلب السمع بصراً .. ومنه في القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى في وصف البقرة التي أمر بنو اسرائيل بذبحها لما سألوها أن توصف لهم بقولهم « ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » وقوله لما سألوهم أن يصف لهم لونها « قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » وقوله لما سألوهم بيان فعلها قال انه « يقول انها بقرة لاذلول تنير الارض ولا تنسى الحرب مسالمة لاشية فيها » فجمع في هذه الآية جميع الاحوال التي يضبط بها وصف الحيوان فان الحيوان عند البيع والاجارة وسائر وجوه التمايكات يحتاج فيه الى معرفة سنه ولونه وعمله ثم يفقر فيه الى معرفة عيوبه فتنفى الله سبحانه وتعالى عن تلك البقرة كل عيب بقوله - لاشية فيها - فجمع في هذه الآية جميع وجوه الوصف فانه في الاول وصف سنه وفي الثاني وصف لونها وفي الثالث وصف خلقها وعملها .. ومن ذلك قوله تعالى « مثل الجنة التي وعد المتقون » أي صفة الجنة التي وعد المتقون كيت وكيت . ومنه قوله تعالى « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا » وقوله تعالى « الذين ينفقون » الآية . وقوله تعالى « مثل الحياة الدنيا » الآية .. ومن هذا الباب في القرآن كثير لا يحصى وكذلك

في السنة النبوية وكذلك في الشعر . . ومن بديع ما ورد في الشعر قول أبي تمام في وصف سحابة

ديمعة سحت المهاد سكوب . مستغيث بها النرى المكروب
لوسعت بقعة لاعظام أخرى لسي نحوها المكان الجديب
.. والوصف قريب من التشبيه إلا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز والوصف راجع
إلى حقيقة وذاته . وفي القرآن العظيم والكلام الفصيح منه كثير

— القسم التاسع والخمسون —

(تنسيق الصفات بغير حرف نسق)

وهو أن تصف الشيء بصفات عديدة متوالية . أما لتعظيمه . وأما لتحقيره . وأما لبيان
خصوصية فيه . ومنه في الكتاب العزيز كثير . . أما في التعظيم فنقل قوله تعالى « هو
الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » إلى آخر السورة
 . وأما في التحقير فكقوله تعالى « ولا تطع كل حلافٍ مهين هازٍ مشاءٍ بنيمٍ مناعٍ
للخيرٍ معتدٍ أنيمٍ عدلٍ بعد ذلك زينيم » . وما لبيان الخصوصية وإظهار الكرامة فكقوله
تعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً » الآية . ومنه في السنة النبوية قوله صلى
الله عليه وسلم — ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً
الموطنون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون — ومن الدم — ألا أخبركم بأبغضكم إليّ
وأبعدكم مني مجلس يوم القيامة أساؤكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون — . . ومن هذا
النوع في الشعر كثير . من ذلك قول العباس بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
.. وقول حسان

بيض الوجه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

— القسم الستون —

(حسن النسق)

وهو أن تأتي بكلمات من النثر أو النظم متاليات ومتعاقبات نسوقة بعضها على بعض بحرف العطف كل كلمة إذا أفردت كانت تقوم بمعنى مفرد مستقل وكل بيت إذا جرد من تلوه استقل معناه ولم يفتقر الى غيره وان ضم اليه تلوه صارا كأنهما بيتاً واحداً . .
ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا بياض اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي » وقيل بعداً للقوم الظالمين « فانت ترى هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة لانه سبحانه بدأ بالاهم اذ كان المراد اطلاق أهل السفينة من سجنها ولا يتهيأ ذلك الا بانكشاف الماء عن الارض فلذلك بدأ بالارض فأمرها بالانقلاع ثم علم سبحانه أن الارض اذا ابتلعت ما عليها ولم تنقطع مادة السماء تأذي بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها وربما ينزل من السماء أكثر مما يتنازع الارض فأمرها بالاقلاع بعد أن أمر الارض بالابتلاع ثم أخبر بغيض الماء عند ما ذهب ما على الارض وانقطعت مادة السماء وذلك يقتضي أن تكون ثالثة الجملتين المتقدمتين ثم قال تعالى — وقضى الامر — أى هلك من قدر هلاكه ونجى من قضيت نجاته وهذا كنه الآية وحقيقة المعجزة ولا بد أن تكون معلومة لاهل السفينة ولا يمكن علمهم بها الا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم وبذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استواء السفينة على الجودي أى استقرارها على المكان الذي استقرت فيه استقراراً لا حركة معه لتبقى آثارها عبرة لمن يأتي بعد أهلها وذلك يقتضى أن تكون بعد ما ذكرنا . وقوله سبحانه وتعالى — وقيل بعداً للقوم الظالمين — وهذا دعاء أوجبه الاحتراس ممن يظن أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق فداء الله سبحانه وتعالى على الهالكين وسامهم ووصفهم بالظلم احتراساً من هذا الاحتمال وذلك يقتضى أن يكون بعد كل ما تقدم والله أعلم . فانظر

وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وما يخادعون إلا أنفسهم
وما يشعرون في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرصاً ولهم عذابٌ أليمٌ . . . وأما مدح
الناس بعضهم بعضاً فينبغي لمن أراد أن يمدح أحداً أن يمدحه بالفاظ حسنة مستعذبة
واضحة المعنى راثقة اللفظ غير حوشية ولا قلقة وأن تكون القصيدة أو الرسالة حسنة
المطلع بديعة التخلص عذبة المقطع وأن يكثر في وصف الممدوح ونشر مآثره وتعدد
مكارمه ونحو ذلك ويكثر من ذكر النوع الذي يميل إليه من المكارم ويجب أن يوصف
به من المآثر ونحو ذلك . . . وقد قال قدامة الأوصاف التي يمدح بها أربعة . الأول
العقل ويدخل فيه الحياء والثبات والسياسة والكفاءة وثقافة الرأي والصدق بالحجة
والحلم عن سفاهة السفهاء وأمثال ذلك . الثاني الشجاعة ويدخل فيها المهابة والحماية
والدفاع والاختذ بالثأر والنكاية في العدو وقتل الاقران والسير في المهامه وأشياء ذلك .
الثالث العفة ويدخل فيها الفناعة وقلة الشره وطهارة الأزار ونحو ذلك . الرابع العدل
ويدخل فيه السماحة والاطلاق والتبرُّع بالنائل واجابة السائل وقراء الضيف . ويحدث
من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات والوفاء بالوعد . ومع العفة ترك الشره
والرغبة عن المسألة والاقتصار على أدنى معيشة . ومع العدل البروانحياز الوعد . ويحدث
من تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم . ومع العدل الاستلاف
وترك الخلاف . ويحدث من تركيب العفة مع العدل الاسعاف بالقوة والابتثار على النفس
ونحو ذلك . . . واستوعب زهير الاقسام الاربعة فقال

أخي ثقة لا تهلك الحر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

وصفه بالعفة لقلة امعانه في اللذات وبالسخاء ووصفه بالشجاعة والعقل فقال

ومن مثل حصن في الحروب ومثله لإذهاب ضيم أو لخصم مجادل

وأما قوله - أخي ثقة - فهو وصف بالوفاء وهو داخل فيما ذكرنا . . . وفي الذم يأتي
بأضداد ما تقدم . وقيل أحسن الهجاء ما لا تستحي العذراء من انشاده . وقيل في
الذم أن تأتي بالالفاظ المنكية والمعاني المشجبة والمقاصد المؤلمة المبكية ويتوخى أقبح
معائب المهجوة وأعظم وجوه الازدراء به ولهذا المعنى حرّمه الله ورسوله وعم بالفم

والإنكار كل من يحفظه أو يقوله

﴿ القسم الثاني والستون ﴾

(الحمد والشكر)

وقد اختلف العلماء فيهما فقال قوم وهم الجمهور الحمد هو ذكر ما في الانسان من
الآثار الحسنة والصفات المستحسنة والشكر ثناء يقصد به مجازاة النعم . وقال بعض أهل
العلم ان الحمد وصف اخلال كقول الخنساء أخت صخر

وما باقت كفتُ امرئ متاولاً من المجد إلا والذي نالت أطولُ

وما بلغ المهدون للناس مدحةً وان أطنبوا إلا التي فيك أفضلُ

والشكر وصف الافعال كقول الشاعر

وانكم بقية حتى قيس وهضبتُ التي فوق النصاب

تبارون الرياح اذا تبارت وتمتئون أفعال السحاب

يذكرني مقامي في ذراكم مقامي أمس في ظل الشباب

.. وقيل ان الحمد والشكر سواهما . وقال أهل اللغة - حمدت الرجل - اذا شكرت

له صنيعه - وأحمدته - اذا وجدته محموداً . وقال ابن الانباري - حمد - مقلوب مدح

وقد قيل كيف يكون الحمد والشكر سواء والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران

والذي أختاره أن الحمد أعم من الشكر وانه قد يحمد الشخص على ما فيه من

الاخلاق الجليلة والصفات الجميلة ويحمد على حسن خلقه من الصباغة والجمال والكمال

ويحمد على ما فيه من الفصاحة والبلاغة والنجابة ويحمد على كثرة انعامه واحسانه والشكر

انما يكون للنعم عليك فقط فاذا حمدت أحداً ان نويت بالحمد الشكر له على ما اهدى

الك من الانعام والاحسان كان هذا الحمد هو الشكر لانه مجازاة لصنيع ومكافأة

لاحسانه فقد آتيت بأعلى درجات الشكر هو الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم بقوله الحمد رأس الشكر وهو الذى يجوز اطلاقه على الشكر واطلاق الشكر عليه وان أردت بالحمد الثناء على صفاته الجميلة الكاملة التى خلقه الله عليها فهذا أخو المدح وهو علاء ويجوز اطلاقه على المدح واطلاق المدح عليه وان أردت بالمدح وصفه بكمال الجلال والجلال وحسن الشيم والخلال والثناء عليه بما أسدى إليك والى غيرك من الانعام والافضال فهذا هو الحمد الكامل ولا يجوز أن يطلق عليه الشكر والمدح فهذا هو الحق .. وقد تكلم المفسرون فى الحمد والشكر والفرق والجمع بينهما وبين المدح ومن علم ما ذكرته هنا سهل عليه الاختلاف والاتلاف والله الموفق للصواب لا رب غيره

— القسم الثالث والستون —

(تأكيـد المدح بما يشبه الذم)

وهو كقولهم بحار العلم إلا أنهم جبال الحلم .. ومنه قول بديع الزمان هو البدر إلا أنه البحر زائراً يسوى أنه الضرعام لكنه الوابل وهذا من نوع الغلو والإغراق وسيأتى بيانه عقيب هذا القسم ان شاء الله تعالى . وهذا النوع فى القرآن كثير

— القسم الرابع والستون —

(المبالغة) وتسمى الافراط والغلو والايغال

ومعنى هذه الاسماء مقاربة وبعضها أرفع من بعض

قال علماء علم البيان المبالغة الزيادة على التمام وسميت مبالغة لبلوغها الى زيادة على المعنى لو أزيلت تلك الزيادة وأسقطت كان المعنى تاما دونها لكن الغرض بها تأكيـد ذلك المعنى فى النفس وتقريره . وفى القرآن العظيم والكلام الفصيح والاشعار منه كثير .

أمة الكتاب العزيز فقوله تعالى « اذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَبَتْ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا » . ومنه قوله تعالى « وقد
مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ » وقد قيل ان
هذه الآية ليست من باب المبالغة بل حكاية عما وقع . ومنه قوله تعالى « تَكَادُ السَّمَاوَاتُ
يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَتَشَقَّقُ الْأَرْضُ وَتُخْرِجُ الْجِبَالُ دُخَانًا » . وقوله تعالى « وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ
بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى » الآية . . وأما الكلام الفصيح
فقد روى عن العرب أنهم قالوا فلان يهْدُ الجبال ويصرع الطير ويفزع الجن ويروى
الماء . . وقال بعض العرب في فرسه - يحضر ما وجد أرضاً وإن الوابل ليصيب عجزه
ولا يبلغ معرفته حتى أنال حاجتي - . ودم اعرابي رجلاً فقال - يكاد يمدى لؤمه من
تسمى باسمه - . وقالت سكينه - ما لبست بنتي الذر إلا لتفضحه - ومنه في الشعر
كثير . . فمن ذلك

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نظّم العزّع ناريه
.. وقال المتنبي

لقيت الروابي والشناخيب دونه وجبت هجيراً يترك الماء صاديا
.. وقال آخر

لو كان يبعد فوق النجم من كرم قومٌ ل قيل أقعدوا يا آل عباس
.. وقال آخر

فكنت إذا ما جئت ليلي بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنوبعدها
من الخفريات البيض ودّ جلسها إذا ما مضت أحدىثة لو تبعدها
وكيف يودّ القلب من لا يودّه بلى قد تريد النفس من لا يريدّها
.. وقال آخر

وحدبها السعير الحلال لو أنه لم يحن قتل المسلم المتحرّر
إن طالم يملل وإن هي أجزت ودّ الحديث أنها لم توجرت

شركُ النفوس ونزعةُ مائلها للمطمئنَّ وعقلةُ المستوفز
والاشعار في هذا الباب كثيرة لا تحصى

— القسم الخامس والستون —

(الرثاء والتعزية)

فأما الرثاء فهو مدح الميت بما كان فيه من المناقب المذكورة والمخاسن الماثورة . ومنه قوله تعالى في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام « وتركنا عليه في الآخرين سَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » . وقوله تعالى « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » . وقوله تعالى في حق نوح عليه الصلاة والسلام « وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » . وأما التعزية فهو أن يذكر ما يتوصل به إلى تسلية مخلي الميت وتفسيرهم واطفاء نار نكلهم . وفي القرآن من ذلك كثير وهي كثيرة في أشعار المتقدمين والمتأخرين . . أما القرآن فقوله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ » . وقوله تعالى « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ » . وقوله تعالى « وكأين من نبيٍّ قُتِلَ معه رِيبٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » . وقوله تعالى « كلَّ نفسٍ ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة » . وقوله تعالى « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » . وقوله تعالى « والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » . وقوله تعالى « والذين إذا أصابهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون » . وقوله تعالى « ولئن صبرتم لهوَ خَيْرٌ للصابرين » وأما الاشعار فقد ورد منها في هذا كثير لا يحصى . . فمن أحسن ذلك قول بعضهم

مضى ابن سَيدٍ حيثُ لم يَبْقَ مَشْرِقٌ ولا مَغْرِبٌ إلا له فيه مَادِحٌ
وما كُنْتُ أَدْرِي ما فَوَاضِلُ كَفِّهِ على النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَهُ الصَّفَاغُ
وأَصْبَحَ في لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مُفْرَدًا وكانت به حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ
لَنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْمَرَاتِي وَحُسْنُهَا لَقَدْ عَظُمَتْ مِنْ قَبْلُ فِيهِ الْمَدَائِحُ
.. ومن بَدِيعِ التَّعْزِيَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ

أَيْتُهَا النَّفْسُ أَجْلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تُحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا

.. وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ

قِسْمَةُ الْمَوْتِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ كُلُّ شَيْءٍ بِكَاسِهَا مَخْجُورٌ

.. وَقَوْلُ الْخُنَسَاءِ

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأُنْذِرُنِي لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْ لَا كَثْرَةُ الْبَاكِينِ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكَوْنَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَسَلَّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِ

﴿ الْقِسْمُ السَّادِسُ وَالسُّتُونَ ﴾

(فِي الشَّكَايَةِ)

وهي في القرآن على قسمين . ملفوظ بها . وغير ملفوظ بها .. أما الملفوظ بها
ففي قوله تعالى « إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ » .. ومن الشعر قول بعضهم
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي وَالْأَخْلَاقَ تَذْهَبُ
.. وَقَالَ آخَرُ

وَلَا خَيْرَ فِي شَكْوَى إِلَى غَيْرِ مُشْتَكِي وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرٌ
.. وَأَمَّا غَيْرُ الْمَلْفُوظِ بِهَا فَفِي الْقُرْآنِ مِنْهُ كَثِيرٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « قَالَ رَبِّ إِنِّي
الْقَوْمَ اسْتَغْفِرُونِي وَكَادُوا يُقْتَلُونِي » . وَقَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

والسلام « قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا » إلى قوله « وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا » • وقوله تعالى « وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْغَايَةِ » ومثله في القرآن كثير وفي الشعر كثير • • فمن بديعه قول الشاعر

يَا إِلَهِي قَدْ أَتَقَلَّتْنِي الذُّنُوبُ فَأَعْفُ عَنِّي فَالْعَفْوُ مِنْكَ قَرِيبُ
وَتَجَاوَزَ عَنِّي مُذْنِبِي بِخَطَايَا هـ عَنْ الْخَيْرِ قَابَهُ مُحْجُوبُ
كُلُّ يَوْمٍ يَعْصِي عَلَيْهِ وَيَدْرِي أَنَّهُ مِنْ حَيَاتِهِ مُحْسُوبُ
وَهُوَ فِي غَفْلَةٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْخَطَا يَرِ قَرِيبٌ مِنْهُ الْخَطَا وَالذُّنُوبُ
• • ومن بديعه أيضاً قول بعضهم

يَا مَنْ يُنَاجِي بِالضَّمِيرِ فَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدَى لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُنَاجِي لِشَدَائِدِ كُلِّهَا يَأْمَنُ إِلَيْهِ الْمُسْتَكِي وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ جُودِهِ فِي قَوْلِهِ كُنْ أَمِنْ قَانَ الْفَضْلُ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سِوَى قِرْعِي لِبَابِكَ حَبِيلَةٌ فَإِذَا رَدَدْتَ فَأَيُّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَاهْتَفِ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ بِرُكٍّ عَنِّي فَقِيرٌ يَتَمَعُ
حَاشَى لَجُودِكَ أَنْ يَقْنَطَ رَاجِيًا الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
• • وفي هذا الباب أشعار كثيرة لا تحصى

❦ القسم السابع والستون ❦

(الحكاية)

وهو أن يحكى كلام المتكلم أما بلفظه أو بمعناه والقرآن العظيم مشحون بذلك • وهو على قسمين • ظاهر • ومقدر • • أما الظاهر فكما حكاه الله سبحانه وتعالى من قول الملائكة « قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ » • ومنه قوله تعالى « وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ » وقالت

النصارى » وكذلك كل ما يحكاه الله تعالى من أقوال القرون الخالية والامم الماضية . وأما
المقدر فكقوله تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »
التقدير يقولون - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - دليل
ذلك انه رد عليهم بقوله « قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثاً » ومثله في القرآن العظيم كثير

﴿ القسم الثامن والستون ﴾

(الانقضاء)

وهو طاب الموعود بالوعد السالف . وهو على ضريين . حسن . وخشن . فالحسن
مرغوب فيه لانه يحصل المقصود وينجز الموعود . . وأما المذموم فهو سبب الحرمان
وحسم لمادة الاحسان . وقد وقع منه في الكتاب العزيز القسمان . . أما الحسن فمثل
قوله تعالى « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رؤسك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخاف
الميعاد » . وقوله تعالى « قل رب احكم بالحق » وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون . .
وقوله تبارك وتعالى « ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين » استنجزوا وعده الكريم وهو قوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »
. . وأما الخشن فورد منه في القرآن كثير أيضاً . فمنه قوله تعالى « واذ قالوا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » الآية . وقوله تعالى « وقالوا
ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب » . وقوله تبارك وتعالى « فأتينا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين » . وفي الشعر منه كثير



﴿ القسم التاسع والستون ﴾

(التذكير)

وهو التنبيه لمن غفل أو سهى عن شكر نعمة أسديت إليه ومنن أزلقت لديه نسيمها أو تناسها لتقوم عليه حجة النعم وليوقظ من نوم غفلته في ليل نسيانه أو تناسيه المظلم . وفي الكتاب العزيز منه كثير من ذلك قوله تعالى « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » . وقوله تعالى « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين . اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » . وقوله تعالى « فقولاً له لئنألهه يتذكرُ أو يخشى » ومعناه لعله يتذكر سترنا له وانعامنا عليه في أمر النيل اذ تضرع الينا فأجربنا له النيل لما التمس قومه منه اجراء النيل أو يخشى انتقامنا منه في الدنيا بالفرق وفي الآخرة بالنار والحرق . والفرق بين الاقتضاء والتذكير أن التقاضى لاستبعاد حصول المطلوب لطول مدة انتظار المرغوب . والتذكير انما يكون عن غفلة أو نسيان كقول بعضهم

جئتكَ للاذكارِ مُستحِرضاً لا لتقاضيكَ وَحُوشيتنا
ولستَ بالمهمَلِ لَكِنا لكثرةِ الإِشغالِ أَنْسيتنا

﴿ القسم الموفى السبعين ﴾

(الوعد والوعيد)

• أما الوعد فهو اطماع باحسان في المستقبل وهو على قسمين متحقق الوقوع وهو وعد الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى « وعد الله لا يخلف الله وعده » . وقوله تعالى « ان الله لا يخلف الميعاد » ووعد مرجو وقوعه وهو وعد العباد . والوعد يكون

في الخير والشر لكن استعماله في الخير أكثر قال الله تعالى « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مائياً » . وقال تعالى « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفشحاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » . وفي هذه الآية شاهد للمعنيين . وقد ورد في القرآن العظيم وفي الشعر منه كثير . أما القرآن فنه ما قدمنا . ومنه قوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا » . وقوله تعالى « وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها » . وقوله تعالى « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رؤسنا » . . . وأما الوعيد فهو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيراً من الوقوع في المخالفات . وفي القرآن العظيم منه كثير . فمن ذلك قوله تعالى « آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنزدها على أذبارها أو نلغنها كالأعصاب السبب وكان أمر الله مفعولاً » . وقوله تعالى « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » . وقوله تعالى « ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » . وقوله تعالى « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور » الى قوله « وما للظالمين من نصير »

❦ القسم الحادى والسبعون ❦

(العتاب والانذار)

وهو دليل بقاء المودة ودوام عقد اللفة والصحبة . والفرض به ازالة ما فى النفوس من الوحشة لأن مجرياته يظهر ما فى القلوب من آثار الجنابة ويبدو ما فى البواطن من تأكيد أسباب العناية اذ لولا بقاء المودة الخفية لحصت القطيعة بالكلية ولم يحتج الى عتاب ولم يرغب فى الاعتبار ولهذا قيل

* ويبقى الود ما بقى العتاب *

ومنه في القرآن العظيم كثير .. فمن ذلك قوله عز وجل « عفا الله عنك لم اذنت لهم » . وقوله تعالى « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » . وقوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » الى قوله « والله عليم حكيم » . وفي القرآن من جميل العتاب شيء كثير .. وأما الانذار ففي القرآن منه كثير لا يحصى . فنه قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون » . ومنه قوله تعالى « وأنذرتهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر » الآية . وقوله تعالى « وأنذرتهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يوفون »

❖ القسم الثاني والسبعون ❖

(الاعتبار)

وهو رجوع الانسان عما عتبت عليه بسببه يقال عتبه فاستعجب أى أرجعته فارجم . ومنه قوله تعالى « فان يصبروا فلنار منوى لهم وإن يستعجبوا فما هم بمعتين » . وفي الحديث - اما محرجنا فيزداد واما مسيئنا فيستعجب .. ومنه قول الشاعر
عتبت عليه فما أعتبا وعنه اعتذرت وقد أذنبنا

❖ القسم الثالث والسبعون ❖

(الاعتذار)

وهو التوسل الى محو الذنب وازالة أثر الجرم مأخوذ من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست .. ومنه قوله تعالى « يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا » الآية . وقوله تعالى « واذا قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم

عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون . وقوله تعالى « تبرأنا اليك ما كانوا يعبدون »

- القسم الرابع والسبعون -

(تأكيـد الضمير المتصل بالمنفصل)

يفعل ذلك لضرب من المبالغة . وفي القرآن العظيم منه كثير . فمن بديع ما جاء منه قوله تعالى « قالوا يا موسى إما أن نتلقى وإما أن نكون نحن الملقين » قولهم - يا موسى إما أن تأتي - تخيير منهم له وحسن أدب راعوه معه كما يفعل أرباب الصناعات اذا تلاقوا في تقديم بعضهم على بعض كالمشاهير قبل أن يتخاضوا في الجدل وانما قالوا - وإما أن نكون نحن الملقين - ولم يقولوا وإما أن نلقى كما قالوا - يا موسى إما أن تلقى - لرغبتهم في أن يلقوا قبله وتشوفهم الى التقدم عليه وذلك لما فيه من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل . . . وما يجري على هذا المنهج قوله عز وجل « فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف: إنك أنت الأعلى » فتوكيد الضمير هاهنا في قوله - لا تخف انك أنت الأعلى - نفي الخوف من قلب موسى وأثبت في نفسه الغلبة والقهر ولو قال لا تخف انك الأعلى أو - وأنت الأعلى - لم يكن في التأكيد لنفي الخوف من قلب موسى كما له من القوة في تقرير الغلبة ونفي الخوف بقوله - انك أنت الأعلى - وذلك لأن في هذه الثلاث كلمات وهي قوله تعالى - انك أنت الأعلى - ست فوائد . الاولى إن المشددة التي من شأنها التأكيد لما يأتي بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول إن زيدا قائم ففي قولك ان زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد والتقدير له ما ليس في قولك زيد قائم . الثانية تكرير الضمير في قوله تعالى - انك أنت - ولو قال فأنت الأعلى لما كان بهذه المثابة من التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره . الثالثة لام التعريف في قوله - الأعلى - فلو قال انك أنت أعلى ففكره وكان صالحاً لكل واحد من جنسه كقولك

رجل فانه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال وإذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته عالماً فيهم . وكذلك قوله - إنك أنت الاعلى - أي أنت الاعلى دون غيرك . الرابعة لفظ أفعل الذي هو من شأنه التفضيل ولم يقل العالى . الخامسة اثبات الغلبة من عالى . السادسة الاستثناء فى قوله - إنك أنت الاعلى - ولم يقل لأنك أنت الاعلى لأنه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه لأنه عالى وإنما نفي الخوف عنه أولاً بقوله - لا تخف - ثم استأنف الكلام بقوله - إنك أنت الاعلى - فكان ذلك أبلغ فى تقرير الغلبة لموسى عليه الصلاة والسلام واثبات ذلك فى قلبه ونفسه . فهذه ست فوائد فى هذه الكلمات الثلاث فانظر أيها المتأمل الى هذه البلاغة المعجبية التى تحيّر العقول وتذهب الالباب ومعجز هذا الكلام العزيز الذى أعجز البلغاء وأخفم النصحاء ورجل فرسان الكلام (فان قيل) لو كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ من الاختصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه فى كتابه حيث هو أحق بما هو أبلغ من الكلام وقد رأينا فى الكتاب العزيز مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير » فما الموجب لذلك ان كان تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ فى بابه من الاختصار على أحدهما دون الآخر فقد كان يجب عند ذكر الله تعالى نفسه لأنه أحق بالأبلغ من العلاء وان كان الامر بخلاف ذلك فكيف قلنا ان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ (الجواب) عن ذلك انا نقول توكيد المتصل بالمنفصل انما يرد فى الكلام لتقرير المعنى واثباته فى الذهن وما يختص بالله تعالى لا يفتقر الى تقرير ولا اثبات لأنه اذا قيل عنه انه على كل شئ قدير لم يحتاج فى ذلك الى توكيد حتى يتحقق ويتبين أنه على كل شئ قدير بل علم وعرف أنه على كل شئ قدير وأن قدرته جارية على كل مخلوق فصار هذا من الامر المعروف الذى لا يعترضه شك ولا يعترضه ريب وما هذا سبيله فى الوضوح والبيان فلا حاجة فيه الى التوكيد اذ كان التوكيد من شأنه التقرير للمعنى المراد اثباته فى النفس . وكون الله سبحانه على كل شئ قدير ثابت فى النفوس فلم يحتاج الى تقرير

وابتات (فان قيل) فقد ورد في القرآن العزيز عند ذكر الله تعالى نفسه التأكيد بالضمير المنفصل للضمير المتصل كقوله تعالى « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » الى قوله « انك أنت غلام الغيوب » كما انك على كل شيء قدير . فذا السبب في هذا وهلا كان الجميع شرعاً واحداً (فالجواب على ذلك) انا نقول تأكيد الضميرين أحدهما بالآخر في هذه الآية لا ينقض علينا ما أشرنا اليه أولاً لانه ان وقع الاختصار على أحدهما دون الآخر فان القول في ذلك ما تقدم في الآية الأولى وان جرى بهما معاً فان ذلك أبلغ في بابه وأكد والله تعالى أحق بما هو أبلغ من الكلام وأكد . ولتمثل لك في استعمال الضميرين معاً والاختصار على أحدهما دون الآخر مثلاً تتبعه فقول اذا كان المعنى المقصود أمراً معلوماً قد ثبت في النفس ورسخ في الالباب فانت بالخيار بين أن تؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه وبين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر لانك ان وكدت الكلام فيه أعطيت المعنى حقه وان لم تؤكد فانه لا يحتاج الى تأكيد لبيانه وظهوره فان كان المعنى المقصود خفياً ليس بظاهر ولا معلوم فالأولى تأكيد أحد الضميرين بالآخر لتقرره وتكسبه وضوحاً وبياناً . ألا ترى الى قوله موسى عليه السلام قلنا لا تخف انك أنت الاعلى - فانه كان ظهور موسى عليه السلام على السحرة وقهره لهم أمراً مستقرآ في ضمن الغيب لا يعلم ولا يعرف وأراد الله عز وجل أن يخبره بذلك ليذهب عنه الخوف والحذر بالأبلغ من الكلام ليكون ذلك أثبت في نفس موسى وأقوى دليلاً عنده في انتفاء الخوف عنه فؤكد الضمير المتصل بالمنفصل فجاء المعنى كما ترى ولو لم يؤكد كان ذلك أيضاً اخباراً لموسى عليه الصلاة والسلام بنفي الخوف عنه واستظهاره على السحرة ولكن ليس له من التقرير في نفس موسى عليه الصلاة والسلام ما لقوله انك انت الاعلى فاعرف (وعلى) نحو من ذلك قوله تعالى - قالوا يا موسى اما أن تأتي وإما أن نكون نحن الملقين - فان ارادة الالتقاء قبل موسى لم يكن معلوماً عنده لانهم لم يعرجوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم لموسى الى ما هو تأكيد ما هو لهم بالضميرين علم أنهم يريدون التقدم عليه واللقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم لموسى عليه الصلاة والسلام

مثله أن يقولوا اما أن تأتي واما أن تأتي لتكون الجملتان متقابلتين حيث قالوا عن أنفسهم - واما أن تكون نحن الملقين - استدل بذلك على ارادتهم الالتقاء قبله فهذه معان لطيفة ورموز غامضة لا ينتبه لها إلا الفطن اللبيب فاعرفها

— القسم الخامس والسبعون —

الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية
المؤكددة بأن المشددة وتفضيل احدهما على الاخرى

وذلك كقولنا قام زيد وان زيدا قائم فقولنا قام زيد معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم اخبار عن زيد بالقيام أيضاً إلا أن في الثانية زيادة ليست في الاولى وهى توكيده بان المشددة التى من شأنها الاثبات لما يأتى بعدها من الكلام . . ومن هذا النحو قوله تعالى « واذا اقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن » فانهم انما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بان المشددة فقالوا فى خطاب المؤمنين - آمنا - ولاخوانهم - انا معكم - لانهم فى مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط وكان ذلك مُتقبلاً منهم ورأجاً عند اخوانهم وما قالوه للمؤمنين فانما قالوه تكلفاً واظهاراً للإيمان خزيماً ومدحاً وكانوا يعلمون أنهم لو قالوا بأوكد لفظ وأشدّه لما راج لهم عندهم إلا رواجاً ظاهراً لا باطناً ولأنهم ليس لهم من عقائدهم باعث قوى على النطق فى خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا فى خطاب المؤمنين بخلاف ما قالوه فى خطاب اخوانهم وصريحاً فى كلامهم لـ اخوانهم أن ما خاطبوا به المؤمنين انما هو هراء فقالوا « انما نحن مستهزؤن » . . وهذه نكت دقيقة ولطائف خفية لا توجد فى نوع من الكلام العربى الا فى القرآن الكريم وما أ كثر ذلك وأمثاله فى آياته وأوفره مودعاً فى غرضه فاعرفه وقس عليه ترشد

- القسم السادس والسبعون -

(في لام التأكيد)

اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان وعلماء العربية اتفقوا على أن هذه اللام تدخل في الكلام لنوع من المبالغة وذلك أنهم إذا عبروا عن أمر يعز وجوده أو يعظم أمر أحداثه ووقوعه جرى بها محققة لذلك وشاهدة .. فن ذلك قوله تعالى « أفرايتم ما تخرجون أنتم تزرعونهُ أم نحن الزارعون لو نشاء لجمعناهُ حطاماً » . وقوله تعالى « أفرايتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون » ألا ترى كيف دخلت اللام في آية المطعوم دون آية المشروب وإنما جاءت كذلك لان جعل الماء العذب مالحاً ليس بعظيم ولأن كثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الاراضي المتغيرة التربة حالها الى الملوحة والمرارة فلم يحتاج في جعل الماء العذب مالحاً الى زيادة تأكيد فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق وأما المطعوم فان جعله صعب فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره وتقرير إيجاده . وكونه هكذا يفعل بكل كلام فيه نوع خصوصية

- القسم السابع والسبعون -

(في الاقتصاد والافراط والتفريط)

قال ابن الاثير رحمه الله الاقتصاد أن يكون المعنى المضمن في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته .. وأما التفريط والافراط فهو أن يكون المعنى المضمن في العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة المعبر عنه . أما لانحطاطه دونها وهو التفريط وأما تجاوزاً عنها وهو الافراط لان أصل التفريط في وضع اللغة من فرط في الامر اذا قصر فيه وضعه وأصل الافراط في وضع اللغة من أفرط في الامر اذا تجاوز عنه .. والتفريط

عيب في الكلام فاحش كقول الأعشى

وما زبدت من خليج الفرا تـ جـون غواربه تلنطم

بأجود منه بما عونه إذا ما ساء لهم لم تنم

فانه قد مدح ملكا يجود بما عونه - والماعون - هو كل ما يستعمل من قدوم أو فاس أو قصيعة أو قدر وما أشبه ذلك فلا سبيل الى جعله مدحا للبه بل هو الى الذم أقرب منه الى المدح فهذا من أقبح التفريط فاعرفه . وأما الافراط فهو بمنزلة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رجلا جاءه فكلمه فقال ما شاء الله وشئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أ جعلتني لله ندًا قل ما شاء الله وخده . . ومن هذا الباب قول عنزة

وأنا المنية في المواطن كلها والطعن مني سابق الآجال

فان الطعن لا يسبق الأجل لأن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر ويروى بالياء باثنتين من تحتها وهو أقرب أمراً من كونه بالياء الموحدة غير أن كليهما افراط . . واعلم أن علماء علم البيان في استعمال الافراط على ثلاثة أضرب . فمنهم من يكرهه ولا يراه صواباً كأبي عثمان الجاحظ فيما روى عنه ومنهم من يختاره ويؤثره كقدامة بن جعفر الكاتب فانه كان يقول الغلو عندى أجود المذهبين فان أحسن الشعر أ كذبه . ومنهم من يذهب الى التوسط بين الغلو والتفريط وهو الاقتصاد وذلك أن يجعل الغلو وهو الافراط مثلاً ثم يستثنى فيه بأو أو يكاد أو ما جرى هذا المجرى فيذكر مراده ويسلم من عيب عائب أو طعن طاعن وذلك كقول بعضهم في مدح الحسين

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

. . وكقول أبي عباد البحتري

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسي اليك المنبر

وهذا المذهب المتوسط أبقى المذاهب الثلاثة وأدخلها في الصنعة فاعرفه (قال المصنف عفا الله عنه) أما الاقتصاد والافراط فقد ورد في الكتاب العزيز منه شيء كثير وقد تقدم بيانه . وأما التفريط فليس في القرآن منه شيء

القسم الثامن والسبعون

(الغزل)

وهو من محاسن النظم والغزل التصابي والاشتهار بمودة النساء وهذا قال بعضهم
أيام تدعوني الشيطان من غزل وكن يهويني اذ كنتُ شيطاناً
واشتقاقه من الرقة لان الغزل يرقق ألفاظه حتى يستحيل بها القلوب ويعدها للرسائل
والوسائل بين الحب والمحجوب • وينبئ أن تكون ألفاظه مُستعذبة ومجانبة مُلهية
مُطربة • وينبئ أن يكثر فيه من ذكر الاجرع والحلمى • ولعام • والنقى • وطويلع •
وقبا • والعقيق • وحاجر • والمنحنى وما أشبه ذلك من الألفاظ مثل ذكر المنازل التي
ترشفت ذكرها القلوب وتصبو اليها النفوس من غير أن تراها وكذلك يُكثر فيه من
ذكر الحنين والتشويق والتحزين • وقد يحتاج في بعض المواضع الى ذكر الكرم
والشجاعة والفصاحة والبراعة ليعمل بذلك قلب المحبوب ويكون مدعاة الى نيل المطلوب
ألا ترى الى قول بعض الشعراء

يَودُّ بأن يُسمى عليلاً لعلها اذا سمعت منه يشكوى ترأسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى لنحمد يوماً عند سلمى شئائله

• • ومثل قول المتنبي

أيقنتُ أن سعيداً أخذُ بدمي لما بصرتُ به بالرمح مُعتقلاً
اراد انها اذا رآته على هذه الصورة المليحة هويته فنالها من هواه كما نال المتنبي من
هواها فكانه أخذ بشاره • • ومنه قوله في هذه القصيدة أيضاً

علّ الأمير يرى ذليّ فيشفعَ لي الى التي جعلتني في الهوى منار
يشير الى أنها اذا أحبت الأمير علمت مقدار المحبة وعزرت من يحبها كما قيل
انما يرحم الحبّ المحبو نَ ويحنو على المشوقِ المشوقُ

والقرآن العظيم من جملة إعجازه كثرة الشجاعة وترقيقه للقلوب واستماتته للنفوس بحيث أنه

لا يسمعه أحد إلا وماز إليه قلبه وامتلأت به جوانحه وانطوت على مثل جمر الفضا
 ضلوعه وجرت على صفحات خده دموعه وفيه من وصف الجنة ونعيمها ومنازل الزلفى
 وطيب رسومها ما يشوق القلوب الى لقائها ويسوق النفوس الى الحلول بفنائها مثل قوله
 تعالى « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهارٌ من ماء غير آسن وأنهارٌ من لبن
 لم يتغير طعمه وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين وأنهارٌ من عسل مُضفى ولهم فيها من
 كل الثمرات ومغفرة من ربهم » . وقوله تعالى « إن المتقين فى جناتٍ ونهرٍ فى
 مَعَدٍ صدقِ عندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ » . وقوله تعالى « ولَكُمْ فيها ما تشتهى أنفسكم
 ولكم فيها ما تَدْعُونَ نزلاً من غفورٍ رَحِيمٍ » . وقوله تعالى « إن الأبرارَ يَشْرَبُونَ
 من كأسٍ كانَ مزاجها كافوراً » الى آخر السورة . وقوله تعالى « ولَمَن خافَ مَقامَ
 رَبِّهِ جَنَّاتٍ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ » الى آخر السورة . وفى القرآن العظيم من هذا النوع كثير

❦ القسم التاسع والسبعون ❦

(فى التشيب)

وهو اللفظ الدال على محاسن النساء ومحاسن أخلاقهن وتصرف أحوال الهوى
 معهن ويدخل فيه الشوق والتذكر لمعاهد الأوبة وتغيرها بالرياح الهابّة والبروق
 اللامعة وأمثالها . . ومن محاسن التشيب قول بعضهم

لَوْ جَادَهْنَ غَدَاةَ رُؤْمٍ رَوَّاحَا	غَيْثٌ كَدَمَى مَا أَرْدَنَ بَرَّاحَا
مَاتَتْ بِفَقْدِ الظَّاعِنِينَ دِيَارُهُمْ	فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا لَهَا أَرْوَاحَا
النَّائِبَاتُ النَّافِذَاتُ نَوَاطِرَا	وَالنَّافِذِينَ أَسِنَّةٌ وَسِلَاحَا
وَأَرَى الْعَيُونَ وَلَا كَأَعْيُنِ عَامِرٍ	قَدَرَا مَعَ الْقَدَرِ امْتِنَاحَا
مُتَوَارِتِي مَرَضِ الْعَيُونِ وَأَمَّا	مَرَضُ الْعَيُونِ بَأَن يَكُنْ صِحَّاحَا
لَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ شُجِّ نِسَانِهِمْ	وَمِنَ السَّامِخَةِ أَنْ يَكُونَ شَجَّاحَا

طَرَقَتْهُ فِي أَتْرَابِهَا جَلَّتْ لَهُ وَهِنًا مِنَ الْغُرُورِ الصَّبَاحِ صَبَاحًا
وَبَسَمَنَ عَنْ بَرْدٍ تَأَلَّفَ نَظْمُهُ فَرَأَيْتُ ضَوْءَ الْبَرَقِ ثَمَّتَ لَاحًا
أَبْرَزَنَ مِنْ تِلْكَ الْعِيُونِ أَسِنَّةً وَهَزَنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُودِ رِمَاحًا
يَا حَبْدًا ذَاكَ السَّلَاحُ وَجَدًا وَقْتُ يَكُونُ الْحَسَنُ فِيهِ سِلَاحًا

والأشعار في مثل هذا كثيرة . وفي القرآن العظيم من وصف النساء كثير مثل قوله
تبارك وتعالى « عسى ربُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرَ أَمْنِكُنَّ مُسَلَّمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ
قَانِتَاتٍ تَلْبِثْنَ عَابِدَاتٍ سَاجِدَاتٍ يَتَذَكَّرْنَ أَوْبَكَرًا » . وقوله تعالى « حُورٌ مَّقْصُورَاتُ
فِي الْخِيَامِ » . وقوله تعالى « قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ » الآية . وفي القرآن العظيم كثير

— — — — —
— القسم الموفى ثمانين —

(الاستدراج)

قال ابن الاثير وهو التوصل الى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ
المعنى المقصود من حيث لا يشعر به . وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يؤثّر في السامع
ويطرب به لأن بناء صناعة التأليف عليه ومنشأها . ومن هذا الباب قوله تعالى « واذكر
في الكتاب ابراهيمَ إنه كان صديقاً نبيّاً اذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تَعْبُدُ » الى قوله
« فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً » هذا الكلام يهز أعطاف السامعين ويهيج نفوس المتأملين
فعليك أيها المترشح لهذه الصناعة امعان النظر في مطلوبه وترداد الفكر في شأنه واتخاذ
قدوة لك ونهجاً تعتقبه ألا ترى حين أراد ابراهيم أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً
فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل كيف رتب الكلام معه في أحسن
سياق وانتظام مع استعمال المجاملة والالطف واللين والادب الجميل والخلق الحسن
مستصحباً في ذلك نصيحته وذلك أنه طلب منه أولاً نقله عن خطيئته طلب منه على
تماديه موقظ له من إفراطه وقلة تناهيه لأن المعبود لو كان حياً ممزاً سميعاً بصيراً

مقدراً على الثواب والعقاب إلا أنه بمضى الخلق لا يشك في نقص عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلق كالملائكة والنبين فكيف بمن جمل المعبود جاداً لا يسمع ولا يبصر ثم نبي ذلك بدعوته الى الحق مترقياً به ومتلطفاً فلم ينهم أباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولكن قال ان معي لطائف وشيئاً منه وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستكف وهب أني وإياك في مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجيك من أن تضل فتنبه ثم نلت بتشيطه ونبيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك وعدو أبيك آدم هو الذي ورطك في هذه الورطة وألفاك في هذه الضلالة إلا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لامعانه في الخلاص لم يذكر من جنابة الشيطان إلا الذي يخص منها بالله عز وجل وهي عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وبنيه ثم رجع ذلك بتخويفه سوء العاقبة وما ينتج عليه من الوبال ولم يخل هذا الكلام من حسن أدب حيث لم يصرح بالعقاب اللاحق بأبيه ولكنه قال - اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فذكر الخوف والمس اعظماً لهما وترك العقاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه أكثر من العذاب وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله - ياأبت - توسلاً اليه واستعطافاً فقال له في الجواب دأراغب أنت عن آلهي يا ابراهيم لأن لم تنته لأرجنك وأهجرني ملياً ، ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قول - ياأبت - بيايني وقدم الخبر على المبتدأ في قوله - أراغب أنت عن آلهي يا ابراهيم - لانه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب أحد عنها ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الى قوله « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطف مغزاه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً فكذبه يعزده عليه ولا يتخطاه وإن كان صادقاً فصيبكم بعض الذي يمدكم ان

تعرضتم له . وفي هذا الكلام من حسن الأدب والانصاف ما أذكره لك أيها المتأمل . وأقول إنما قال يصبكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وإن كل ما يعدهم به لابد من أن يصيبهم لا بعضه ولأنه احتاج مع أدلة خضم موسى أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول وبأنبيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام النصف في مقابلة خصمه غير المشتط فيه وذلك حين وصفه الله بكونه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يقرب به لكنه أردفه بقوله « يصبكم بعض الذي يعدكم » ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وأفياً فضلاً من أن يتعصب له وتقديس الكاذب على الصادق من هذا القبيل وكذا قوله « إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » أي لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله بالنبوة ولا عضده بالبينات فتبين أيها المتأمل لهذه الدقائق اللطيفة الصنع تدل على التيقظ في صناعة التأليف

❦ القسم الحادى والثمانون ❦

(خذلان المخاطب)

وهو الامر بعكس المراد ويدل ذلك على الاستهانة بالمأمور وقلة المبالاة بأمره أي أنا مقابلك على فعلك ومجازيك بحسبه . فمن ذلك قوله تعالى « وإذا مس الإنسان ضرراً دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً أنك من أصحاب النار » . فقوله قل تمتع بكفرك من باب الخذلان كأنه قال له إذ قد آيت ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتأمرك بتركه . وهذا مبالغة في خذلانه لأن المبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على ضد ما أمر به . . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قل الله أعبد مخاصمه ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه » فإن المراد بهذا الامر الوارد على

وجه التخيير المبالغة في الخذلان على ما سبق ذكره . وفي هذا الكلام معنيان لطيفان . الاول أى أن عبادتكم لله وعبادتكم لغيره انما تنفع أو تضر لكم لالسواكم قاله تعالى . مستغن عن عبادتكم له . الثانى توعده لهم بالمقابلة على فعلهم من غير تصريح بالوعيد وذلك أبلغ من الاصرار به لوقوع الموعود في حيرة من أمره وتراعى وهمه عند ذلك الى كل خطب عظيم من المجازاة والمقابلة كقولك لمن عصاك افعل ما شئت أى اتى مقابلك عليه . وهذا نوع من علم البيان شريف

- القسم الثانى والثمانون -

(التعليق والادماج)

وهو أن يدمج مدحاً بمدح أو هجواً بهجواً أو معنىً بمعنى كما قال المتنبي
الى كم تردُّ الرُّسل عما أناب به كأنهم فيها وهبت ملامُ
أدمج رد الرسل برد اللوم وكلاهما مدح . . وقوله أيضاً
حسنٌ في وجوه أعدائه أقبح من ضيفه رأته السَّوامُ
أدمج الحسن مع القبح وكلاهما مدح وصفه بالكرم لأن ابله اذا رأته ضيفه علمت أنه
ينحرفها له وقد سمي العسكري هذا النوع في كتاب الصناعتين له المضاعف وأنشد فيه
وأسرعتْ نحوكَ كما دعوت كأتى نوالك في سرعته
. . ومثله في وجيه الدولة

وبات أسعدنا حظاً بصاحبه من كان في الحب أشقانا بصاحبه
وقاعدة هذا الباب أن يكون أحد المعنيين تلويحاً والآخر نصريحاً . وفي القرآن العظيم
من هذا النوع كثير



— القسم الثالث والثمانون —

(الاستخدام)

وهو أن تكون الكلمة لها معنيان فيحتاج اليهما فيذكرها وحدها فيستخدم المعنيين كما قال الله تبارك وتعالى « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » والصلاة هاهنا يحتمل أن تكون فعل الصلاة أو موضع الصلاة فاستخدم الصلاة بلفظ واحد لأنه قال سبحانه « إلا عابرى سبيل » فدل على أنه أراد موضع الصلاة . وقال تعالى « حتى تعلموا ما تقولون » فدل على أنه أراد فعل الصلاة . . . وأنشدوا للبحرئى

فسقى الفضا والساكين وانهم شَبَّوهُ بين جوانحِ وقلوبِ

— الفضا — يحتمل أن يكون الموضع ويحتمل أن يكون الشجر فاستخدم المعنيين به — والساكين — أراد المكان والشجر بقوله — وانهم شبَّوه — ومن ذلك لبعض العرب إذا نزل السماء بأرض قومٍ رَعَيْنَاهُ وإن كانوا غَضَابَا

— والسماء — يحتمل معنيين المطر والنبات فاستخدم المعنيين بقوله — إذا نزل — يعنى المطر — رَعَيْنَاهُ — يعنى النبات . . . وكما قال الشيخ أبو العلاء

وفقيه أفكارُهُ شِدْنٌ للنع — مانٍ مامٍ يَشِدُّهُ شَعْرُ زِيَادٍ

يحتمل معنيين أحدهما أن يكون النعمان بن المنذر الملك والآخر أن يكون النعمان بن ثابت الفقيه فاستخدم المعنيين بلفظ واحد فقال — شَدْنٌ للنعمان — يعنى أبا حنيفة رضى الله عنه وقال — شعر زياد — يعنى النعمان بن المنذر لأن زياداً هو النابغة مدح النعمان . . . وكما قال أبو تمام

وإذا مَشَتْ تَرَكْتَ بِصَدْرِكَ ضَعْفَ مَا بِجَلْبَتِهَا مِنْ شِدَّةِ الْوَسْوَاسِ

لأن — الوسواس — يحتمل معنيين وهو بلابل الصدر وصوت الحلي فاستخدم المعنيين بقوله — تَرَكْتَ بِصَدْرِكَ — يعنى البلابل وبقوله — ضَعْفَ مَا بِجَلْبَتِهَا — يعنى صوت الحلي . . . ومنه اسمٌ مَنْ مَلَأَ وَمِنْ صَدْعٍ عَنِ وَجْفَانِي لَفِيرِ ذَنْبٍ وَجُرْمِ

والذى ضنّ بالوصلِ علينا مثل ما ضنّ بالهوى قلبُ نغم
هذا استخدام فى الاعراب لان قلب مرفوع بالخبر وفاعل ضن وهو أيضاً استخدام
فى المعنى لانها بمعنى قلب من المقلوب لان الاسم - معن - فهو معكوس - نعم - فاعرفه
• ومنه فى الكتاب العزيز كثير من ذلك قوله تعالى « وكان وراءهم ملك يأخذ
كل سفينة غصبا » يحتمل أن يكون أراد - وراءهم - أى فى طلبهم ويحتمل أن يكون
أراد أمامهم • ومن ذلك قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »
- والقرء - الحيض والقرء أيضاً الطهر واللفظ يحتمل المعنيين فاعرفه

القسم الرابع والثمانون

(التنقيح)

وهو أن يأتى فى البيت ذكر نكتة أو بيت أو رسالة أو خطبة أو غير ذلك فى يوم
اليها الشاعر أو النثر مثل قوله تعالى « فيهن قاصرات الطرف » فان امرأ القيس
أوما اليه بقوله

من القاصرات الطرف لو دُبَّ مُحَوِّلٌ من الذر فوق الأنف منها لأثرا
• • ومنه قول الآخر

الومُ زياداً فى ركاكة رأيه وفى قوله أئى الرجال المهذب
وهل يحسن التهذيب منك خلائفاً أرق من الماء الزلال وأطيب



الفن الثاني

ما يتعلق بالألفاظ من الفصاحة كما أن ما يتعلق بالمعاني من البلاغة ولهذا
قبل معنى بليغ ولفظ فصيح يقال أفصح الأعجمي وفصح اللحن . وهذا
الفن يسمى أيضاً البديع . والبديع علم يبحث فيه عن أحوال اللفظ
المؤلف من حيث لا يمكن أن يوثق به إلا بحسن انتظام وهو ينقسم إلى أقسام

(الاول التهذيب)

وهو تخليص الألفاظ من ثقل العجمية ومحنة الحوشية وفظاظة النبطية وأن يترك
الكلام عذب المساق حسن الاتساق قريباً من فهم السامع عذب المساق في اللهوات
والمسامع يدخل الأذن بغير إذن ويتصور معناه في العقل بدقيق التدبر ولطيف
التفكير . والقرآن العظيم كله من أوله إلى آخره على هذه المثابة غير ما فيه من
المتشابه فانه يحتاج إلى الامعان في التذكر وترديد التدبر وذلك أيضاً على غاية ما يكون
من الحسن فكل في بابه قد استوفى بديع نصابه قد بسقت أشجاره وعذبت ثماره وانسقت
ألفاظه واستحكمت معانيه وحسن رونقه وعظمت حلاوته وطلاوته لا تملأ الاسماع مع
كثرة ترداده ولا تنفر منه الطباع مع ابراقه وازعاده بل هو الذي أحكمت آياته وفصلت
وكتلت معانيه في ألفاظه وحصلت وأحكمت أحكامه وأصلت فهو كما قال الله تعالى
« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت » قد سلم من حوشى الألفاظ ورذلتها وتخلص من
من فظاظة العجمة وثقلها وكل كلمة منه حلت محلها وقرنت بمنلها فهو كما قال البحترى .

واذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه

فاللفظ يقرب فهمه في بعده مناً ويبعد نيله في قرب

حكم سحائبها خلال بنانه هطالة وقلبيها في قلبه

كالروض مؤلفاً بحمرة نوره وبياض زهرته وخضرة عشبه

وكأنها والسمع معقود بها شخص الحبيب بدا لعين محبه

وهذه الابيات من أحسن ما قيل في التهذيب وأبلغ ما نظم في التقيق والترتيب ويتبعين

على كل ناظم ونائر أن لا يبدى قصيدة أو رسالة أو خطبة حتى يتلمحها بعين بصيرته .
ويقدح لها . زناد فكرته وقريحته ويهذب ألفاظها ويحقق معانيها ويحسن مساعها ويؤسس
مبانيها كما قيل

لا تعرض على الرواة قصيدة مالم تبلغ قبل في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب عدوه مثل وساوس تهذيبها

- القسم الثاني -

(الانسجام)

وهو أن يأتي الكلام سهل المساق عذب المذاق حسن الاتساق متحدر رآفى الاسماع
كتحدر الماء المنسجم حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون موقعاً في
النفوس وعذوبة في القلوب ما ليس لغيره مع بعده من التصنع وأكثر ما يقع غير
مقصود كمثل الكلام الموزون الذي تأتى به الفصاحة في ضمن الترفعوا كأنصاف أبيات
وقعت في أثناء الكتاب العزيز وفي السنة . وقد وقع من ذلك كثير في الخطب والرسائل
ومن ^(١) أن يكون بيتاً أو نصف بيت . وقد وقع في غير القرآن بيتان فصاعداً وليس بشعر
وان لم يقصده . فأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا مثل البيت الواحد أو النصف
والبيت المفرد لا يسمى شعراً وأيضاً فإن الشعر انما سُمى شعراً لكونهم شعروا به أى
فطنوا . وهذا انما جاء عفواً في درج الكلام . . فما ورد من ذلك في القرآن
العزيز قوله تعالى « وجفان كالجوابى وقدور راسيات » فوافق هذا في درج الكلام
قول امرئ القيس

امرؤ القيس رهين مولى بالفتيات
مكرم الضيف بلحم وشحوم البكرات
في جفان كالجوابى وقدور راسيات

•• وقد قال بعض أهل العلم بالمعروض ان الذى فى القرآن من ذلك ليس بمنزن ولا موافق لبحر بيت امرئ القيس وهو صحيح •• ومن ذلك قوله تعالى « إِنْ يَنْتَهَوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ » • وقوله عز وجل « نَحْنُ عِبَادِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » • وقوله تعالى « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ » والتلاوة أيضاً لا تستقيم على الوزن انما الوزن يكون على نجبوا دون النون كما قال بعض الشعراء
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ

•• وقد جوز الحذاق الماهرين بأوزان القريض العالمون بضروبه واجزائه وتقطيعه هذه الآيات فلم يجدوها موزونة بل مباينة لأوزان الشعر إما بزيادة أو نقصان ولولا خشية التطويل لينت ذلك

القسم الثالث

(الاشتقاق) ويسميه بعضهم الاقتضاب أيضاً وهو من باب التجنيس وان عُدَّ أصلاً برأيه

وهو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد فى اللغة كقوله تعالى « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ » •• وقول أبى تمام

عَمَّتْ الْخَلْقَ مِنْ نَعْمَاكَ حَتَّى غَدَا الثَّقَلَانِ مِنْهَا مُثْقَلَانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) هذا الباب أولى بأن يكون من أجناس التجنيس والآية التى استشهد بها هى من التجنيس المغاير والبيت الذى استشهد به من التجنيس المائل • وسند كر أجناس التجنيس وأقسامه فى فصل مفرد بعد أن شاء الله تعالى •• ومما يشبه هذا النوع وليس منه ويسمى المشابهة قوله تعالى « إِنْ لِي لَعَلِّكُمْ مِنَ الْقَالِينَ » •• وقول الجحترى

وَإِذَا مَا رِيَّاحٌ جُودَكَ هَبَّتْ صَارَ قَوْلُ الْعِدَاةِ فِيهَا هَبَاءً

ذكره الزنجاني في تكملته .. قال ابن الاثير الاشتقاق على قسمين . صغير . وكبير .
 فالصغير أن تأخذ أصلاً من الأصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغه ومبانيه
 كتركيب س ل م فانك تأخذ معنى السلامة في تصرفه نحو سلم وسلمان وسلمى
 وسلمى والسليم للدينغ أطلق عليه ذلك تفاؤلاً بسلامته . وعلى هذا جاء غيره من
 الأصول كقولنا هشمتهك هاشم وحاربك محارب وسلمك سالم وأصاب الارض صيب لأن
 الصيب هو المطر الذي يشتد صوته ووقعه على الارض . وأمثال ذلك كثير .. ولهذا
 الضرب من الكلام رونق لا يخفى على العارف بهذه الصناعة .. فما جاء منه قول بعضهم
 * أمحلتنى سلمى بكاطمة أسلمة *

.. وكذلك قول الآخر وهو جرير بن عطية
 وما زال معقولاً عقلاً عن النداء وما زال محبوساً عن الخير حابس
 .. وقال غيره

* أن قومي لهم جدادُ الجديد *

.. وشكى الى بعض الخلفاء جور عامل له وسئل أن يكتب اليه كتاباً فقال ما ترك
 فضة الا فضها ولا ذهباً الا أذهبه ولا غنمة الا غنمها ولا مالا الا مال عليه فأى شيء
 بعد يكتب اليه . وأمثال هذا كثير فاعرفها .. قال ابن الاثير وأما الاشتقاق الكبير
 فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك
 التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شيء من ذلك رُدَّ بلفظ الصيغة والتأويل اليها كما
 يفعل الاشتقاقيون . ولنضرب لذلك مثلاً فنقول ان لفظة ق ر م من الثلاثي لها
 ستة تراكيب وهى قرم . قر . رمق . رقم . مقر . مرق . فهذه التراكيب الستة
 يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة - والقرم - شدة شهوة اللحم - وقر - الرجل
 اذا غلب من يقامره - والرقم - الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من أمره
 وعيش - مرمق - أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضاً - والمقر - شبه الصبر يقال أقر
 الشيء اذا أقر وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة - ومرق - السهم اذا نفذ من الرمية
 وذلك لشدة مضائه وقوته .. واعلم انه اذا سقط من تركيب الكلمة شيء جاز ذلك في

الاشتقاق لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت الى معنى واحد يجمعها .. فنال ما سقط من تركيب الثلاثى لفظة و س ق فان لها خمسة تراكيب وهى و س ق . و ق س . و ق س ق . و س ق و . و س ق و س . وسقط من جملة التركيب قسم واحد وهو س ق و وجميع هذه الكلمة تدل على القوة والشدة - فالوسق - من قولهم استوسق الامر أى اجتمع وقوى - والوقس - ابتداء الحرب وفى ذلك شدة على من يصيبه - والسوق - متابعة السير وفى هذا عناء وشدة على السائق والمسوق - والقسوة - شدة القلب وغلظه - والقوس - معروف وفيه نوع من الشدة والقوة لسرعة السهم واخراجه الى ذلك الرمي المتباعد .. واعلم انا لا ندعى أن هذا يطرّد فى جميع اللغة بل قد جاء شئ منها كذلك وهذا مما يدل على متانتها وحكمها لأن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التكاليف وهى مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أعجب الأمور التى توجد فى لغة العرب واعذبها فاعرفه

— القسم الرابع —

(الجزالة والردالة)

أما الجزالة فقد تقدم الكلام عليها والقرآن العظيم من وجوه اعجازه جزالة ألفاظه وهو من أوله الى آخره لا يسرّ حلال الجزالة والفصاحة سالم من الردالة والفظاعة .. وأما الردالة فهى نى غير القرآن فمنها فى المنظوم والنثور كثير .. أما المنظوم فنل قول بعض العرب

زياد بن عيينه تحب حاجبه واستانه بيض وقد طرّ شاربه
ومثله ما أنشد سيبويه فى كتابه
إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله التريد
.. ومثل قول أبى العتاهية

مات الخليفة أئيبها الثقلان فكانت أفطرت في رمضان
وأما النثر فمثل قولهم - فلان لئيم الخليم كأن كفه ميم وكأن عقله جيم ان واصلته منع
وان أعطيته قطع - والقرآن العظيم أجل وأعظم من أن يكون فيه شيء من ذلك أو يماثله

﴿ القسم الخامس ﴾

﴿ السهل الممتع ﴾

وهو الذي يظن من سمعه لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه أنه قادر على الاتيان
بمثله فاذا أراد الاتيان بمثله عزَّ عليه مثاله وامتنع عن طالب معارضته فلا يتاله والقرآن
العظيم كله على هذا المنوال خلا ما فيه من التشابه والحروف التي في أوائل السور
فاذا فسرت كانت كذلك • ومنه في السنة كثير • • من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- تنكح المرأة لجأها ومالها وخسبها عليك بذات الدين تربت يداك - • وقوله صلى
الله عليه وسلم - اياكم وخضراء الدِّمَنِ قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في
المنبت السوء - • وقوله صلى الله عليه وسلم - المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء
وعودوا كل جسد ما اعتاد - • وقوله صلى الله عليه وسلم - الخيل معقود في نواصيها الخير
الى يوم القيامة ظهورها عز وبطونها كثر - • • وأما في النثر والنظم فقليل • مثاله في
النثر قول العماد الكاتب - ولو جعل الله حظه من الذهب كحظه من الادب لاستجدي
من سعته قارون واستعان بفصاحته هارون - • • ومنه في الشعر مثل قول مروان
ابن أبي حفصة

أَسْوَدُ لَهَا مِنْ غَيْلٍ خَفَانٍ أَشْبَلُ	بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَأَنَّهُمْ
لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاءِ كَيْنَ مَنْزِلُ	هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا
أَجَابُوا وَإِنْ أُعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا	هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا
كَأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أُولُ	بِهَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ
وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَأَجَلُوا	وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالِهِمْ
وَأَحْلَاهُمْ مِنْهَا لَدَى الْوِزْنِ أَثْقَلُ	ثَلَاثُ بَأْمَالِ الْجِبَالِ حُبَاهُمْ

﴿ القسم السادس ﴾

(الرشاقة والجهامة)

فأما الرشاقة فقد ذكرناها آنفاً وفي القرآن العظيم منه كثير .. وأما الجهامة فليس في القرآن منها شيء فان الجهامة لا تكون الا عن غلط طبع وشدة حصر ولكن القرآن العظيم منزّه عن ذلك

﴿ القسم السابع ﴾

(الفك والسبك)

أما الفك فهو أن يفصل المصراع الاول من المصراع الثاني أو الفقرة الاولى من الفقرة الثانية أو الجملة الاولى من الجملة الثانية ولا تتعلق الثانية بشيء من معنى الاولى مثل قول زهير

حىّ الديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الاوواح والديم .. ومن ذلك قول المتنبي

جللاً كما بي فليك التبريح أغدا إذا الرشا اغن الشيخ

.. وهذا النوع منه في القرآن كثير فانه يأتي بجملة أثر جملة ليس لها تعلق بالتي قبلها والنسبة يسمون ذلك الجمل المعترضة .. وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله الى آخره ولهذا قيل خير الكلام المسبوك المحبوك الذي يأخذ بعضه برباق بعضه . والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه



﴿ القسم الثامن ﴾

﴿ الحل والعقد ﴾

وهو أن يأخذ لفظاً منظوماً فينثره أو منشوراً فينظمه مع الاتفاق في المعنى . . وهذا القسم يختص بالانشاء معروف بالكتاب البلقاء الفصحاء وهو من أجل ما يمتون به وأعظم ما يرفعون بسببه . . وفي القرآن العظيم من جنسه وهو ما ورد فيه من آية مجمة فسرتها آية أخرى أو مفسرة أجلتها آية أخرى فأشبه ذلك الحل والعقد . . وأكثر ما يقع هذا النوع في الشعر والرسائل فإن الشعر معقود والنثر يحلله والنثر محلول والشعر يعقده وللماهرين في صناعة الانشاء من هذه كثير ليس هذا موضع ذكره اذ ليس غرضنا في هذا الكتاب الا اثبات ما وقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة وبدائع البديع أو ما يجري مجرى ذلك

﴿ القسم التاسع ﴾

﴿ الازدواج ﴾

وهو أن يزاوج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب وألفاظ حلوة . . ومثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . وقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » . وقوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم » . ومثله قوله تعالى « وكان الله عليهما حكيماً » وقد جاء في الكلام الفصيح وأشعار العرب وغيرها مؤلفاً ومختلفاً ويكون كلمة وكلمتين . . ومنه الحديث - اما محسناً فيزداد واما مسيئاً فيستعيب - . . ومنه قول الشاعر
عتبتُ عليه فما أعتبا وعنه اعتذرتُ وقد أذنبنا

❦ القسم العاشر ❦

(تضمين المزدوج)

وهو أن يقع في الفقرات لفظان مسجمان بعد مراعاة حدود الاسجاع والقوافي الأصلية كقوله تعالى « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَنْدُؤَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِثِينَ لَا أَعْدَبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بَسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينٍ » بعد مراعاة اللفظ في مقاطع الآي وهي - الغائين و مبین - . . . ومنه في الشعر والنثر كثير . فمن النثر قول بعض البلغاء فلان رفع دعامة الجِدِّ والمجد باحسانه وبرَّرَ بالجِدِّ والجِدِّ على أقرانه . . . ومثاله من النظم قول الشاعر

تَعَوَّدَ رَسْمَ الْوَهَبِ وَالنَّهْبِ فِي الْعَلَا وَهَذَا نِ وَقْتُ اللَّطْفِ وَالْعُنْفِ دَابُّهُ
فِي اللَّطْفِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ هِبَاتُهُ وَفِي الْعُنْفِ أَعْمَارُ الْعِدَاءِ نِهَابُهُ

❦ القسم الحادى عشر ❦

(التسجيع . . والكلام عليه من وجوه)

الاول في أقسامه . الثانى اختلاف العلماء في جواز استعماله وحظره . الثالث في شرطه وما ينبغى أن يكون فيه (الاول) قد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة في التسجيع فقال قوم هو على ثلاثة أقسام . المتوازى . والمنطرف . والمستحسن . . أما المتوازى فهو رعاية البكمتين الاخيرتين في الوزن والروى . وذكر الروى في النثر توسعة في الكلام والآ فالروى مخصوص بالشعر . مثاله من كتاب الله تعالى قوله عز وجل « فِيهَا سُورٌ مُّرفُوعَةٌ وَأُكُوبٌ مُّوضُوعَةٌ » . . . ومثاله من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً - . . . وأما المنطرف فهو

أن تنفق الكلمتان الاخيزتان في الحرف الاخير دون الوزن . مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً » . ومنه قول بعض البلاء - جنبه محط الرحال ونجتم الآمال - . وأما المتوازن فنثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » . وقال قوم هو على ثلاثة أقسام . قصير . موزن . ومتوسط . معجز . وطويل . مفصح . مبين . للمعنى . مبرز . . أما الاول وهو القصير فاعلم ان أقصر الفقرات القصار في السجع ما يكون من لفظين كقوله تعالى « والعاديات ضبحاً فالمواريات قدحاً فالغيرات ضبحاً » . وقوله تعالى « والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً » . وقوله تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر » . وأطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات وما بين هذين متوسط كقوله تعالى « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى » . وقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر » . . وأقصر الطوال ما يكون من أحد عشر لفظة وأطولها غير مضبوط وكلما طالت الفقر زاد بيانها وافصحها . وقد وقع في الفقر المطولة ما هو من عشرين لفظة فما حوالها مثل قوله تعالى « اذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراهم كثيراً لفشتهم ولتتازعن في الأمر ولكن الله سأم إنه عليم بذات الصدور اذ يريكهم اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً والى الله ترجع الأمور » . . ومثاله فيما دون ذلك قوله تعالى « ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفوراً ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح نخور » . . وقوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . . والفقرات المسجوعة إما أن تكون متساوية أو لا . . أما المتساوية ففي الاكثر انما توجد في الفقرات القصار كما في قوله تعالى « فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر » . . وأما

المختلفة فاختلافها إما أن يكون في فقرتين أو أكثر .. أما المختلفة في فقرتين فلا حسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى ولا تزيد بقدر كثير كقوله تعالى « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً وإذا ألقوا منها مكاناً مقربين دعوا هنالك نبوراً » . وكذلك قوله تعالى « وقالوا اتخذوا الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأً » .. وأما المختلف في أكثر من فقرتين فأحسنه أن تكون الفقرة الثالثة زائدة والاوليتان متساويتان أو الثانية منه أزيد يسيراً .. وأقل السجع حسناً ما يكون المتأخر من الفقرات أقل مما قبلها (أما الثاني) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . فمنهم من قال باستحسان السجع وفضله على الاسترسال في الكلام ورجحه .. ومنهم من كره السجع واقبحه واحتج على ذلك بأمرين . أحدهما اشتاله على الكلفة . والثاني قوله عليه الصلاة والسلام - أسجعاً كسجع الجاهلية - وكلا الحجتين فاسدة .. أما الاولى فلا أنه لم يخل شيئاً من الكلام من تكلف ما .. وأما الثانية فلا أن الانكار إنما كان لسجع مخصوص وهو ما قصد به ابطال حق أو تحقيق باطل ولو كان السجع قبيحاً لاستحال وروده في القرآن .. والتسجيع وعدمه أسلوبان جرت عليهما السنة فصحاء العرب وخطبائهم يأتون بذلك بغير تكلف ولا تعسف .. وورد في القرآن العظيم آيات كثيرة خالية من السجع وآيات كثيرة مشحونة بالسجع حتى أن بعض السور شملها السجع من أولها الى آخرها مثل اقتربت الساعة وسورة الضحى والكوثر فاعرفه (الثالث) قال علماء علم البيان الانسجام موضوعه على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفاً عليها لان الغرض أن يجانس بين القرأتين ويزاوج بينهما ولا يتم ذلك الا بالوقوف ألا ترى أنك لو وصلت قوله مامن عزه الا والى جنبها عزه وقولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت لم يكن بُدٌّ من اجراء كل الفقرات على ما يقتضيه حكم الاعراب فتكون قد عطلت عمل الساجع وقوة عزمه .. وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها من الازدواج فيقولون أتيتك بالعديا والعشايا . وهناتي الطعام ومراني . وأخذته ما حدث وما قدم . وانصرفن

مأزورات غير مأجورات • وقال عليه الصلاة والسلام انفق بلان ولا نخش من ذي العرش
إقلال مع أن فيه ارتكاب ما يخالف اللغة فما ظنك بهم في ذلك

القسم الثاني عشر

(الترصيع)

وهو أن تكون ألفاظ الكلام مستوية الاوزان متفقة الاعجاز مثل قوله عز وجل
« إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ وإنَّ الفجارَ لفي جحيمٍ » • وقوله تعالى « إنَّ الينا إياهم ثم
إن علينا حسابهم » • وقوله تعالى « فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً » وهو في كتاب
الله كثير • ومنه في الشعر كثير منه قول الحريري وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه
ويقرع الاسماع بزواجر وعظه • • وهو في الشعر كثير منه قول أبي فراس
وأفعاله للراغبين كريمة وأمواله للطالين زهاب

• • وقول آخر

ثمانية لم تفرق مذجعتها فلا فترقت ما ذب عن ناظرٍ سُفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى ولفظك والمعنى وحرُّبك والنصر

• • ومنه قول أبي الورد

يروح اليهم عازبُ الحمدِ وافيًا ويفدو اليهم طالبُ الرfid عافيا
• • وقد يحى مع التجنيس كقولهم اذا قلت الانصار كانت الانصار وما وراء الخلق
الدميم الا الخلقُ الذميم • • وقول المطرزي

وزند ندا فواضله ورى ورنند ربا فضائله نصير
ودر جلاله أبدأ ثمين ودرو نواله أبدأ غزير

﴿ القسم الثالث عشر ﴾

(التسييط)

وهو على قسمين (الاول) أن يكون في صدر الكلام أو الرسالة أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ثم يجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضى أو رسالة حتى تنهى فنصير كالسيط الذي احتوى على جواهر متشاكله . ومنه قوله تعالى « اذا الشمس كورت » واذا النجوم انكدرت » الى قوله « علمت نفس ما أحضرت » وقوله تعالى « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس » . وقوله تعالى « اذا السماء انفطرت » الى قوله « علمت نفس مقدمات وأخرت » وقوله تعالى « اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت » . وقوله تعالى « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان » . ومثله في القرآن كثير . ومنه قول امرئ القيس

ومستأنم كسفت بالريح ذيله أقت بعضب ذى شقاشق ميله
فجعت به فى ملتقى الحرب خيله تركت عناق الطير يحجلن حوله
كان على سر باله نضح جريال

.. وكقول الآخر

حلوه شمائله تندى أماله ان جاء سائله أغناه نائله

حتى يروح له ماشاء من مال

(القسم الثانى) أن يصير كل بيت أربعة أقسام كقول جنوب الهذلية

وجرد وردت وتمر سدوت وعالج شدت عليه الحالا
ومال حوت وخيل حميت وضيف قرئت يخاف الوكالا

• وقد أبدع الحريري في التوشيح بقصيدته التي أولها
 خلّ أذكّاراً الأربيع والمعهد المرتبوع والظاعن المودع
 وعدّه عنه ودّع
 واندب زماناً سلفاً سوّدت فيه الصحف ولم تزل مُعتكفا
 على القبيح الشنيع
 •• ومن بديع التسميط أيضاً قوله في قصيدته التي يقول فيها
 وإن لآلح لك النقش من الأصفر تهشّ وإن مرّ بك النعش
 تغامت ولا غمّ
 ستذري الدم لا الدمع إذا عاينت لا جمع بقي في عرصة الجمع
 ولا خال ولا غمّ
 جعل قصيدته كلها على هذا المنوال

❦ القسم الرابع عشر ❦

(التجزى)

وهو أن يكون الكلام مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء • مثال الثلاثة أجزاء
 من الكتاب العزيز قوله تعالى « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ إِن شَاءَ لَكَ
 هُوَ الْابْتَرُ » • • ومثال الأربعة قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعظ
 أباه بقوله « يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصَرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ
 جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ
 الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
 لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً » وفي القرآن منه كثير • • ومنه قول ابن المعتز في الثلاثة

عجبا لمنصلك المقلد كيف لم تسل الدماء عاينك منه سيولا
 لك حسنه متقلداً وبهاؤه متشكبا ومضاهؤه مسلولا

•• ومثال الاربعة الاجزاء قول المتنبي
فمحن في جدلٍ والرومُ في وجلٍ والبحرُ في خجلٍ والبرُّ في سُغلٍ
•• ومنه قول ابن المقرئ
اذا صلّدوا أو رى وان عجلوا ارتأى وان بخلوا أعطى وان غدرُوا وافرّى
فللوجود ما أبقي وللمجد ما أبقي وللناس ما أبدى ولله ما أخفى

— القسم الخامس عشر —

(في التوشيح)

التوشيح أن تكون ذبول الايات ذات قافيتين على بحرین أو ضربین من بحر واحد
فعلى أى القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً كقوله
اسلم وذُمتَ على الحوا دث ما رسا ركنائير أو هضاب حراء
وكل المراد منها ممكناً على رغم الدهور وفز بطول بقاء
قافيتهما على ثانی قافية من ثانی الكامل وعلى الاول من سادسه •• وأما ما هو من
بحر واحد وقد يسمى هذا النوع المتلون وذكره الزنجاني وأنشد فيه
أبى لا تنظم بمكة لا الصغير ولا الكبير ولا الفقير البائس
وقال ان قيده كان من سابع الكامل وان أطلقته كان من سادسه • وهذا النوع في
القرآن العظيم ما يشبهه وهو ما ورد في الآيات من الوقف الكافي والتمام إن وقفت
على الوقف الكافي كان حسناً وان وقفت على التمام كان أجود كقوله تعالى « والذين
يوثنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون » ابن وقفت على
— من قبلك — كان وقفاً حسناً وان وقفت على — يوقنون — كان أحسن وهو تمام
وكذلك كل ما أشبهه

— ❧ القسم السادس عشر ❧ —

(براعة المطلب وحسن التوسل)

وهو أن تكون ألفاظ المطلب مهذبة مقترنة بتعظيم الممدوح كقوله تعالى وقلقى آدم من رب كلماتٍ فساب عليه إنه هو التواب الرحيم . • وكقوله تعالى في قصة نوح عليه الصلاة والسلام « إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » • وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام « ربنا إني أسكنت » الى قوله « لعلهم يشكرون » • وقول تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام « رب قد آتيتني من الملك » الى قوله « وألحقني بالصالحين » • وقوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام « قال ابن أم إن القوم استضعفوني » الى قوله « الظالمين » • وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام « فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » • وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » الى قوله « فانك أنت العزيز الحكيم » • وقوله تعالى فيما حكاه رسوله عليه الصلاة والسلام عن عباده المؤمنين « إن في خلق السموات والأرض » الى قوله « فاستجاب لهم ربهم » • • وجاء من هذا النوع في الشعر كثير • منه قول المتنبي

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سُكوتِي بيانٌ عندها وخطابُ

— ❧ القسم السابع عشر ❧ —

(المخالفة)

اعلم أن المخالفة هو الخروج عن مذهب الشعراء وترك الاعتداء بآثارهم مثل
(٣٠ - فوائد)

قول نصيب

طَرَفَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزَّيَارَةِ فَارْجِعْ بِسَلَامٍ
وليس من الممهود رد المحبوب على عقبه اذا زار .. ومثل قول ابن عتيق
جَمَلَ النَّدَى وَالْأَلْوَةُ وَالْمَسْكُ أَصِيلاً لَهَا عَلَى الْكَافُورِ
.. ومعلوم أن الزنج على متن رانختهم لو تطيخوا ببعض هذا الطيب لطابت رانختهم وانما
الحسن الجيد قول امرئ القيس

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كَلِمًا جِئْتُ نَحْوَهَا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ

.. ومن ذلك قول امرئ القيس

أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبِّكَ قَاتِلِي وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرُ الْقَلْبَ يَفْعَلِ

وهذا مخالف للمعتاد لأن فيه توعداً للمحسوب والمحبة لا يتوعد محبوبه .. وكذلك قوله
وَأَنْ تَنْكَ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسَلِّ نِيَابِي مِنْ نِيَابِكَ تَنْسَلِي
.. والقرآن العظيم كله مخالف لأساليب الشعر وقوانين النظم والنثر التي يستعملها
الناظمون والناثرون . ولهذا قال الغفاري لقد عرضته على اقراء الشعر فلم يلتئم فانه
ليس بالشعر

القسم الثامن عشر

(لزوم ما لا يلزم)

ويسمى التضيق والتشديد والاعتناء وهو التزام أن يكون ما قبل القافية حرفاً
معيناً كما في قوله تعالى « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ » .
وقوله تعالى « وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُسْطُورٍ » . وقوله تعالى « فَذَكَّرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
بِكَاهِنٍ وَلَا يَجْنُونَ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ » . وقوله تعالى « فِي

سِذْرٍ مَخْضُودٍ وطلحٍ مَنْضُودٍ « وهو في القرآن كثير .. وجاء في الحماسة
 انّ التي زَعَمَتْ فَوَادَكَ مَلَّمَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى إِلَهَا
 بِيضَاءَ بَاكَرِهَا النِّعَمُ قِصَاغُهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَهَا وَأَجْلَهَا
 حَجَبَتْ نَحْمِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِمَا حَبَى مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا
 وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَلَمَّمَا
 .. وكذلك قول كثير غَزَّة في أبيات له
 خَلِيلِي هَذَا رَسْمُ غَزَّةٍ فَأَعْقِلَا قُلُوبَ صِيكَا نَمِ ائْزِلَا حَيْثُ حَلَّتْ
 فَكَانَتْ لِقَطْعِ الْجَبَلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَنَازِرَةٌ تَذَرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ
 .. وقول المعري

لَا تَطْلُبَنَّ بِغَيْرِ جِدِّ حَاجَةٍ قَلَمُ الْبَالِغِ بِغَيْرِ جِدِّ مَغْزَلٍ
 سَكَنَ السَّمَاءُ كَانَ السَّمَاءُ كَلَاهَا هَذَا لَهُ رُمُحٌ وَهَذَا أُعْزَلُ

• وفي هذا القرآن العظيم من هذا النوع كثير .. ومن ذلك قوله تعالى « وجاءت
 سكرة الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيد » وتفخ في الصور ذلك يوم الوعيد »
 لزم الياء والادال في أكثر هذه السورة • وقوله تعالى « هل أتى على الإنسان حين من
 الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » • الى قوله « يفجرونها تفجيراً » التزم قافية توافق
 قافية .. ومن ذلك قوله تعالى « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولاً
 ألقى عليه أسورة من ذهب أوجاء معه الملائكة مقرّبين » والقرآن مشحون بهذا
 .. وهذا النوع أتى في القرآن عفواً من غير قصد وربما وقع في أقوال فصحاء العرب
 من غير قصد والمتأخرون يقصدون ذلك ويتكلفون في استعماله
 * ليس التكحل في العينين كالكحل *

﴿ القسم التاسع عشر ﴾

(التفويف)

والمنفوف عند أرباب هذه الصناعة فيه قولان • الاول أن تكون ألفاظه سهلة

المخارج عليها رونق الفصاحة وبهجة الطلاوة وعدوبة الحلاوة مع الخلو من الشاعة ملطفة عند الطلب والسؤال مفحمة عند الفخار والنزال . . . وان كان شعراً فليكن شعره سهل العروض وقوافيه عذبة المخارج سهلة الحروف ومعانيه مواجهة للغرض المطلوب ظاهرة منه حيث لا يحتاج الى اعمال الفكر في استنباط معانيه فاذا كان كذلك سمي مفوقاً بمانوع من ألفاظه ومعانيه فأشبه البرد المفوق الذي فيه ألوان مختلفة وألوان متقابلة . . . وأصل التفويف بياض يكون على الاظفار . الثاني المفوف من الكلام والشعر هو الذي يكون فيه التزامات لا تنزيم تكتب بأصباغ مختلفة حتى يفظن للالتزامات التي جعلت عليه وعلى كلا القولين فالقرآن العزيز كله كذلك فان كان التفويف بأصباغ مختلفة الألوان فتفويف القرآن العظيم مقاطع آياته وفوائدها وتحزينه وتعميره وارباعه واخماسه واسباعه فان العلماء رضى الله عنهم رخصوا بأن يكون ذلك بالحمرة أو الخضرة أو الصفرة أو بألوان مخالفة للون الجبر والمداد حتى يعلم انها ليست من نفس القرآن فاستحبوا ذلك فاذا صار على هذه الصفة أشبه البرد المفوف بل أجل وأحسن وأبهى وألطف وان كان التفويف القول الاول فالقرآن العظيم كله كذلك أيضاً فاعرف ذلك

— القسم الموفى عشرين —

(النطريز)

قال علماء البيان النطريز هو أن تأتي قبل القافية بسجعات متشابهة فيبقى في الايات أواخر الكلام كالطراز في الثوب . . . ومنه قول الشاعر

أُمسى وأصبحُ من هجرانكم دنفاً	يرثني لى المُشفقانِ الأهلُ والولدُ
قد خددُ الدمعُ خدتي من تذكركم	وهدني المضيانِ الشوقُ والكمدُ
كأنما مُهجتي شلُو بمسبعة	ينتابها الضاريانِ الذئبُ والاسدُ
لم يبقَ غيرُ خفي الروحِ من جسدي	فدا لك الفانيانِ الروحُ والجسدُ
اني لاحسدُ في العشاقِ مُضطرباً	وحسبك البقايتانِ الحبُّ والحسدُ

(قال المصنف عني الله عنه) هذا النوع استخرجه المتأخرون وليس في شعر القدماء شيء منه ولا في كلامهم وقد استقريته من الكتاب العزيز واشعار المولدين فوجده على ثلاثة أقسام . الأول ماله علمان علم من أوله وعلم من آخره . الثاني ماله علم من أوله . الثالث ماله علم من آخره . فأما الذي له علمان فكقوله تعالى «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً» ان في ذلك لآيات لقوم يفتكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتعاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماءً فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » . . ومنه في الشعر قول بعضهم من أبيات

والمسعدانِ عليها الصبر والجلدُ
والعاذلانِ عليها ردةً عندهما
والباقيانِ هواها والغرامُ بها

..ومنه قوله تعالى «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ بِهِ حُدَّاقِ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُهُمُ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهُهُمُ اللَّهُ بَلْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يَجْعَبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُهُمُ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمِنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ تَنْشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمِنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهُهُمُ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» وَأَمَّا الَّذِي طَرَّاهُ مِنْ أَوَّلِهِ فَمِنْهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يَسْبَحُ

له مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم . . . وهذا النوع قد ورد فيه من أشعار المتقدمين والمتأخرين فمن ذلك قول البيهقي

تعلوا الوفود ثلاثة في أرضه إفضاله وجداه والانعام
وثلاثة تغشاك مهما زرتة إرفاده والمن والاكرام
وثلاثة قد جانبت أخلاقه قول البذا والزور والآثام
وثلاثة في الغريم أفعاله تديره والنقض والابرار

. . . وأما الذى علمه من آخره فى القرآن منه كثير . فمن ذلك قوله تعالى « خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان » الى آخر السورة . ومنه قوله تعالى « فكيف كان عذابى ونذرى انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا » الى آخر السورة . . . ومن ذلك فى الرسائل قوله تعالى « ويل يومئذ للمكذبين » الى آخر السورة

❦ القسم الحادى والعشرون ❦

(ما يقرأ من الجنتين)

مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « كل فى فلك يسبحون » . وقوله تعالى « وربك فكبر » وأرباب علم البيان يسمون هذا النوع العكس والتقليب وهو عندهم على أربعة أنواع . الاول قلب البعض وهو أن تقلب حروف الكلمة وهو كقوله عليه الصلاة والسلام - اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا - . ومنه قول الحريري

لجوب البلاد مع المترية أحب الى من المترية

. الثانى مقلوب الكل كقولهم - كفه بحر وجنابه رجب . الثالث المنجح وهو أن يقع مقلوب الكل فى جناح البيت أو جناحي المصراع كقوله

لاح أنوار الذي من كفه في كل حال
 • الرابع المسوى وهو أن يقرأ طرداً وعكساً من الجهتين • ومنه الكلمتان في الآيتين
 للتقدمتين • ومنه قول الحريري
 أسن أرملا اذا عرا وارع اذا المرء أسا
 الايات • • ومنه قول الآخر

أراهن نادمنه ليل لهو وهل ليلهن مدان نهارا
 • • ومن أنواع هذا الباب ما اذا انعكست الكلمات يخرج منها كلام صحيح كالرسالة المشقة
 على مائتي كلمة للحريري في المقامة القهقرية التي أولها الانسان صنيعه الاحسان الى
 أن ختم بقوله الاجرار عند الاسرار • • ومن هذا النوع أيضاً ما تقلب فيه الألفاظ
 بطريق العكس لتفيد معنى آخر كقولهم كلام الملوك ملوك الكلام وعادات الاشراف
 أشراف العادات

- القسم الثاني والعشرون -

(رد المعجز على الصدر • ويسمى التصدير)

وهو أيضاً من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان • ومنه قوله تعالى « فما كان
 لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم » • • ومنه قولهم القتل
 أنفى للقتل • • ومنه قول بعض البلغاء الحيلة ترك الحيلة • • ومنه قول الشاعر
 تسير النجوم الدارات بحكمه وذاك اذا عدت علاه يسير
 • • وقول الآخر

لقد حاز أنواع الفضائل كلها وأمسى وحيداً في فنون الفضائل
 • • وقول الآخر

سألت صروف الدهر حفظ مملكتي فشحت وجادت لي بحفظ أدبي

﴿ فصل ﴾

ومن هذا الضرب التجنيس وهو عند أكثر علماء علم البيان على قسمين • تجنيس حقيقى • ومشبه بالتجنيس • • أما التجنيس الحقيقى فهو أن تأتى بكلمتين كل واحدة منهما موافقة للأخرى فى الحروف مغايرة لها فى المعنى ولم يرد ذلك فى الكتاب العزيز إلا فى آية واحدة وهى قوله تعالى « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » • • وأما المشبه بالتجنيس فكثير وقد احتوى الكتاب العزيز منها على الباب وأتى منها بالعجب العجائب وهو على ضربين (الأول) التجنيس المماثل وهو أن يكون من اسمين أو فعلين مثل قوله تعالى « يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » • وقوله تعالى « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » • وقوله تعالى « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » • وقوله تعالى « ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يا كلُّ مماتٍ آكلون منه ويشرب مما تشربون » (الثانى) التجنيس المغاير وهو يكون من اسم وفعل • ومنه قوله تعالى « وأسأمت مع سليمان لله رب العالمين » • وقوله تعالى « أُرِفَتِ الآزِفَةُ » • وقوله تعالى « فطاف عليها طائفٌ من ربك » وفى القرآن منه كثير • • وقد جمع بعض الشعراء فى أبيات نذكرها فى آخر هذا الفصل فيها أجناس من التجنيس (الثالث) تجنيس التصحيف وهو أن يكون اللفظ فرقاً بين الكلمتين • ومنه قوله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » • ومنه قول الشاعر

القابضون على العليا بكفهم والقابضون من الدنيا بأطراف
الحسبون إذا جدَّ الفخارُ بهم والمحسنون إذا سيلوا بالحاف

(الرابع) تجنيس التحريف وهو أن يكون الحرف فرقاً بين الكلمتين • • ومنه قوله تعالى « وهم ي نهون عنه ويتأون عنه » • وقوله تعالى « فلا أقسم بالخاس الجوار الكنس » (الخامس) تجنيس التشكيل وهو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين • • ومنه قوله تعالى « ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المذرين » • وقوله

تعالى « أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُبْنَىٰ مِنْهَا كَأَنَّهَا خَلَقَ فَسَوَّىٰ » .. ومنه قول بعضهم

أَأَنْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنِّي غَيْرُ عَاشِقٍ وَأَنْتِي لَا أَعْبَابِينَ مُفَارِقِي
فَلَمْ تَقْرَحِي يَوْمَ الْوَدَاعِ مَدَامِي وَلَمْ تُشَابِ مِنْهُوْلِ الْفِرَاقِ مُفَارِقِي

(وهذه) أبيات جئت فيها أجناس من التجنيس التي تقدم ذكرها وهي

رُبَّ خَوْذٍ عَرَفْتُ فِي عَرَافَاتٍ سَابَقَتْنِي بِحُسْنِهَا حَسَنَاتِي
وَرَمَتْ بِالْجَمَارِ حَبَّةً قَلْبِي أَيُّ قَلْبٍ يَقْوَىٰ عَلَى الْجَمَرَاتِ
وَأَفَاضَتْ مَعَ الْحَبِيبِ فَفَاضَتْ مِنْ دُمُوعِي سَوَابِقُ الْعِبَرَاتِ
حَرَمْتُ حِينَ أَحْرَمْتُ نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحْتُ حِمَايَ بِاللِحَظَّاتِ
لَمْ أُنَلْ فِي مَنِيٍّ مَنِيٍّ الْنَفْسِ لَكِنْ خِفْتُ بِالْخِيفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي

فقوله - عرفت في عرفات - تجنيس مغاير وقوله - سابقتني بحسنها حسناتي - مماثل وكذلك - وأفاضت ففاضت - وكذلك - حرمت وأحرمت - وكذلك - بالجمار والجمرات - وقوله - ولم أنل في مني مني النفس - تجنيس التشكيل وقوله - خفت بالخيف - تجنيس مغاير (السادس) تجنيس العكس وهو أن تكون حروف الكلمتين غير مرتبة . مثله من القرآن قوله تعالى « اني أخف أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي » وقد جاء في الشعر أن يقدم حرفا في كلمة ويؤخره في أخرى .. ومنه قول حسان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ غَشِي نَوْرُهُ الظُّلْمَا

(السابع) تجنيس التركيب وهو أن يجمع بين اسمين أو اسم وفعل ثم يجعلهما كالكلمة الواحدة مثال الاسم مع الاسم - بعل بك . ومعدى كرب - ومثال الفعل مع الاسم حضر موت . ورام هُرمز . وقد جاء في القرآن العظيم « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ » .. وفي الشعر كثير . من ذلك قول بعضهم

إِنَّ أَسْيَافَنَا الْغَضَابَ الدَّوَامِي جَعَلَتْ مُلْكَنَا مَدِيدَ الدَّوَامِ
بِاقْتِسَامِ الْأَمْوَالِ مِنْ وَقْتِ سَامِ وَاقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ مِنْ وَقْتِ حَامِ

•• ومنه

بأبي غزالته نام عن وصي به وسجود دمي في الهوى وصبيه

•• ومنه قول المتنبي

وشادن قلت له هل لك في المنادمة

فقال كم من عاشق سفتك بالني دمة

ومنه في الشعر كثير (الثامن) تجنيس التصريف وهو أن تنفرد إحدى الكلمتين عن الأخرى بحرف مثل قوله تعالى « ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون » • ومثل قوله تعالى « وهم يهزون عنه وينأون عنه » • ومثل قوله « لا تكونن أهدي من إحدى الأمم » • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم - الخيل معقود في نواصيها الخير - •• ومنه قول الأعشى

ورأيت أن الشيب خا نته البشاشة والبشارة

(التاسع) تجنيس الترجيع وهو أن ترجع الكلمة بذاتها كما قال الله عز وجل « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات » • ومنه قوله عز وجل « إن ربهم بهم يومئذ خير » • وقوله تعالى « ولكننا كنّا مرسلين » •• ومنه قول الشاعر

وما منعت دار ولا عزاً أهلها من الناس إلا بالقنا والقنابل

•• وقال الخليل

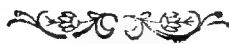
فأنت عليه وماله من ماله مما أفاء ولا أفاد عناق

•• وقال آخر

عذيري من دهرٍ موارٍ موارٍ له حسنات كلهن ذنوب

•• ولأبي تمام

يمدّون من أيدي عواصٍ عواصم تصول بأسياق قواضٍ قواضب



القسم الثالث والعشرون

(التسهيل)

وهو أن يكون في القافية ما يدل على الكلام أو في أول الكلام ما يدل على القافية كقول أبي حية

إذا ما تقاضى المرء يومٌ وليلةٌ * تقاضاه دهرٌ لا يملُ التقاضيا

.. ومثله

فليس الذي حَلَّتْهُ بِمَحَالٍ وليس الذي حرَّمَتْهُ بِمَحَرَّمٍ

.. ومثله

هي الدترُ منشوراً إذا ما تكَلَّمْتُ وكالدترُ منظوماً إذا لم تكَلِّمْ

القسم الرابع والعشرون

(الاتفاق والاطراد)

وهو أن يوفق شيئاً لا يتفق عاجلاً مثل قول أبي تمام في الفزل

لَسَلِمَى سُلَامَانٌ وَعَمْرَةَ عَامِرٍ وهند بنى هندٍ وسعد بنى سعدٍ
.. وقوله أيضاً يصف حصاناً

بحوافٍ حَفَرٍ وَصَلْبٍ مُصَلَّبٍ ومشاعرٍ شَعَرٍ وَخَاقٍ أُخْلِقُ
.. ومن ذلك أيضاً

حَمْدَانُ حَمْدُونَ وَحَدَانُ حَارِثٍ ولَقْمَانُ لَقْمَانٍ ولَقْمَانُ رَاشِدٍ
وهذه كلها تعسفات ليس في القرآن العظيم منها شيء



﴿ فصل ﴾

وقد كان ينبغي أن يكون مقدماً في أول الكتاب ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وبيان معانيها . . أما القرآن فاشتقاقه فيه قولان . أحدهما التبع والجمع من قولهم قرأت الماء في الحوض إذا تتبعته وجمعه فيه فهو جامع لما في كتب الأولين المنزلة على سائر النبين . والثاني أنه مشتق من الاظهار والبيان لأنه أظهر سائر العلوم المحتاج إليها أمر الدين والدنيا وجمع بينها وكلاهما حسن والاول أظهر وقد يأتي القرآن بمعنى الصلاة في مثل قوله تعالى « وقرآن الفجر » أي صلاة الفجر وبمعنى القراءة . . وفي مرثية عثمان رضى الله عنه

نَحْوًا بِأَشْمَطِ عَنَوَانِ السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقَرَأَنَا

. . وأما السورة ففيها أربعة أقوال . الاول أنها سميت بذلك لعظمها وعلو شأنها من قولهم فلان سورة من المجد . الثاني سميت بذلك لكرمها وتماها من قولهم فلان سورة من الاهل أى أقوام كرام . الثالث أنها قطعة من القرآن واشتقاقها من السؤر الذي، يفضل من الشارب وعلى هذا يكون أصلها الهمز وإنما ترك لانضمام ما قبله فأبدلوا منه واوا . الرابع سميت سورة لأن قارئها ينتقل من منزلة في الآخر الى منزلة أعلا منها . . قال الشاعر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَالِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ

ومعناه أعطاك منزلة فوق منازل الملوك وهو قول حسن . . وأما الآية ففيها أربعة أقوال . الاول أنها اشتقت من العلامة والآية علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها . الثاني أنها سميت بذلك لأنها كلمات مجتمعة من القرآن من قولهم خرج القوم بآيتهم أى بجمعهم . الثالث الآية الرسالة والقصد . . قال الشاعر

أَلَا أَبْلَغُ هَذَا الْمَعْرُضِ آيَةً أَيْقِظَانِ قَالَ الْقَوْلُ إِذْ قَالَ أَمْ حَلُمُ

معناه بلغاه رسالة والآية رسالة من الله الى نبيه وخلقه . الرابع إنما سميت بذلك لأنها

عجب لانها تشبه كلام البشر ولا يقدرّون على الاتيان بمنّلهما من قولهم فلان آية من الآيات أى عجب وهو قول حسن . . وأما الكلمة فهى اللفظة الدالة على المعنى المفرد أو على معنيين أحدها حقيقة والآخر مجاز وهى فى كتاب الله تعالى تطلق ويراد بها معان سبعة . أحدها كلمة التوحيد وهى لا إله إلا الله . الثانى تطلق ويراد بها الشرك قال الله تعالى « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » يعنى الشرك « وكلمة الله هى العليا » يعنى كلمة الاخلاص والتوحيد . ومنه قوله تعالى « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » قال مجاهد والسدى هى قول لا إله إلا الله . الثالث تطلق ويراد بها الوعد . ومنه قوله تعالى « ولولا كلمة سبقت من ربك » يعنى وعدهم الساعة . قال الله تعالى « بل الساعة موعدهم » . الرابع تطلق ويراد بها دعاء الله الخالق اليه . ومنه قوله تعالى « الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله » الآية . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام . ومنه قوله تعالى « وكنته ألقاها الى مريم وروح منه » ساء كلمة لأنه أوجده بالكلمة وهى قوله « كن » . السادس تطلق ويراد بها القصة والقصيدة والعرب يقولون كلمة امرئ القيس يريدون قصيدته ويقولون خبرنا كلمة فلان يريدون قصته . وفى الحديث - واستحلّتم فروجهن بكلمة الله - يعنى النساء كأنه يشير الى قوله تعالى « فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان » . السابع تطلق ويراد بها الكلمة الواحدة المفردة التى جمعها كلمات . والكلمات فى كتاب الله تعالى تأتى على ستة معان . الاول تطلق ويراد بها علم الله سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لنفقد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » . الثانى يراد بها مواعيده سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لا تبدل لكلمات الله » أى لا تخلف لما وعد . الثالث تطلق ويراد بها الخصال . ومنه قوله تعالى « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن » أى بعشر خصال من الطهارة معروفة . الرابع تطلق ويراد بها الاعتراف وطلب المغفرة . ومنه قوله تعالى « فتلقي آدم من ربه كلمات » وهى قوله تعالى « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام قاله الهروى فى قوله تعالى « وصدقت بكلمات ربها » . السادس تطلق ويراد

بها القرآن . ومنه الحديث - أعوذ بكلمات الله التامات - يعنى القرآن قاله الهرولى أيضاً وغيره . . . وأما الحرف فله فى كتاب الله تعالى ولسان العرب محامل . أحدها اللفظ يقال هذا حرف بنى فلان أى لغتهم . الثانى يطلق ويراد به معنى من المعانى . ومنه الحديث - نزل القرآن على سبعة أحرف - أى على سبعة معان . الثالث يطلق ويراد به أحد القراءات وعليه حل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف . الرابع يطلق ويراد به الآية . ومنه الحديث - لكل حرف ظهر وبطن وحدث ومقطع - وفى رواية - ولكل آية منه ظهر وبطن وحد ومقطع - . الخامس يطلق ويراد به الشك . ومنه قوله تعالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف » أى على شك . وقال ابن عرفة معناه على غير طمأنينة . السادس يطلق ويراد به الجانب . ومنه قول ابن عباس - أهل الكتاب لا يأتون النساء الأعلى حرف - أى جنب . ومنه حرف الجبل جانبه . السابع الحرف الذاقة . . . ومنه قول كعب بن زهير

حرف أخوها أبوها من مُهَجَّةٍ وعُمها خالها قوداه رَمَلِيلُ

• الثامن يطلق ويراد به أحد حروف الهجاء التى يجمعها أبجد

﴿ فصل ﴾

(فى ذكر اعجاز القرآن العظيم)

قد تكلم العلماء فى ذلك فقال قوم إعجازه من جهة إيجازه واحتواء لفظه القابل على المعانى الكثيرة مثل قوله تعالى « ولكم فى القصص حياء » الآية . وقوله تعالى « اذ فرعوا فلا فوت » الآية . وقوله تعالى « فكللاً أخذنا بذنبه » الآية . وقوله تعالى « فاصدع بما تؤمر » . وقوله تعالى « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » . وقوله تعالى « فلما استياسوا منه خلصوا نجياً » . وقوله تعالى « ومن يطمع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » . وقوله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعده » . وقوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » الآية وأشبابها كثير اذا تأمات

الكتاب العزيز وجدت فيه من هذا كثير . . وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد في السنة وكلام العرب ما لفظه قليل ومعناه كثير مثل قوله صلى الله عليه وسلم - الاعمال بالنيات والمجالس بالأمانات - . وأشباهه كثير . . وقال قوم إعجازه من جهة حسن تركيبه وبديع ترتيب ألفاظه وعدوبة مساقها وجزالتها ونخامتها وفصل خطابها . . وقال قوم إعجازه من غرابة أسلوبه العجيب واتساقه الغريب الذي خرج عن أعاريض النظم وقوانين النثر وأساجيع الخطب وأنماط الأراجيز وضروب السجع . . وقد اعترض على هذا القول من وجوه . الأول لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بالأسلوب الشعر معجزاً . الثاني أن الابتداء بالأسلوب لا يمنع الغير من الاتيان بمثله . الثالث أن الذي تعاطاه مسيلة من الحماقة في معارضة « أنا أعطيناك الكوثر » - والطاحنات طعنًا - هو أسلوب في غاية الفظاظة والركاكة وكان مبتدئاً به ولم يعد ذلك معجزاً بل عدَّ سُخْفاً ومُحَقّاً . الرابع لما فاضلنا بين قوله تعالى « ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب » وبين قولهم - القتل أنفى للقتل - لم تكن المفاضلة بسبب الوزن وإنما تعاقب الإعجاز بما ظهرت به الفضيلة . الخامس أن وصف العرب القرآن بأن له حللوة وأن عليه لطلاوة لا يابق بالأسلوب . . وقال قوم إعجازه بمجموع هذه الوجوه الثلاثة وهذا الكلام يحتاج الى نظر لان مجموع هذه الأقسام الثلاثة إنما تكون معجزة في حق العرب خاصة لان الفصاحة والبلاغة فيهم جبلة وخلقة وهم فرسانها أصحاب قصبات السبق فيها الى الامد لا يباريهم فيها أحد ولا يجاريهم في مضمارها جواد ولا يباريهم في التفرد بها مارع ذو عناد قد ألفت الامم اليهم فيها مقاليد الاذعان وخفضوا لهم جناح الذل بما حصل لهم عندهم من العرفان فثبت لديهم أن أحداً لا يجاريهم في هذا المضمار ولا يداينهم في اظهار ولا إضمار فجاءهم هذا الكتاب العزيز بقاصمة الظهر وقادحة القهر ودعوا الى المعارضة فلم يقدموا وندبوا الى المساجلة والمجاربة فأمسكوا وأحجموا وقرعوا بقوارع التوبيخ والتقريع فركبوا خيول العجز واستلأموا فقامت الحجة عليهم بذلك وصحت المعجزة لديهم لحصول التحدى والعجز عن الاتيان بمثله . . وأما الأعاجم ومن يجري مجراهم فلا تقوم عليهم بذلك حجة ولا تنصح فيهم بذلك معجزة لانهم معترفون أن الفصاحة

ليست من شأنهم ولا مضارها من حليات ميدانهم والله سبحانه أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة احرمهم واسودهم قال الله تعالى « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً » . وقال تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » ولا يثبت إعجازه على الكافة الا بما يعزب على الكافة الاتيان بمثله مع اعترافهم بان في مقدورهم من جنسه ولو جاء موسى لقومه بالفصاحة وعيسى لبني اسرائيل بالبراعة لما قامت لهما على قومهما بذلك حجة . . وقال قوم انما وقع اعجازه بما فيه من المعاني الخفية والجلية وفنون العلوم النقلية والعقلية . . وأصحاب هذا القول لهم في ذلك خمسة مذاهب منهم من قال اعجازه فيما جاء فيه من أخبار القرون السالفة في الأزمنة الخالية والأعصر الماضية في الاماكن القاصية والدانية وقصص الانبياء مع أممها مما التمسوه منه مثل قصة أهل الكهف وقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وحال ذي القرنين ومما لم يسألوه عنه من قصص قصة الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين مع تحققهم أنه أمي لا يحسن الكتابة ولا تقدمت منه دراسة ولا سبقت منه رحلة ولا انتهت اليه نحلة ولم يكن بأرضه من يعلم الاخبار ويقتنى الآثار سوى أهل الكتاب الذين صرح بسبهم وأطلق لسانه في ثلبهم وضلل عقولهم وهجن طريقهم وأظهر معائبهم ولو كان أحد منهم أطاعه على شيء ذلك أو اعلمه به لقالوه بالافصاح في الرد عليه ولملؤا الارض بالتشنيع والتفريع وحيث لم يتقل ذلك علم أنه لم يعلمه بشر وليس ذلك الا من جهة الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد مع أنه قد تعرض جماعة من سفهائهم فقالوا ما أخبر الله عنهم « انما يعلمه بشر » وكانوا يقولون انه سلمان الفارسي وغيره فرد الله سبحانه عليهم بقوله « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي » وهذا لسان عربي مبين » . وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شيء من ذكر القرون الماضية والأعصر الخالية وتلك السورة معجزة قد تحداهم الله بالآتيان بمثلها فلم يقدرُوا . . ومنهم من قال اعجازه بما فيه من الاخبار بما يكون وما كان مما وقع على حكم ما أخبر به مثل قوله تعالى « اذا جاء نصر الله » الى آخرها وقوله « لندخان المسجد الحرام ان شاء الله آمين » . وقوله تعالى « ألم غلبت الروم » الآية وقوله « ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » . وقوله

«وعند الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات» الآية . وقوله « قل ان كانت لكم
الدار الآخرة الايتان . وقوله « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » . وقوله « انا نحن نزلنا
الذكر » الآية . وقوله « سيهزم الجمع ويولون الدبر » . وقوله « قاتلوهم بعدتهم
الله بأيديكم » الآية . وقوله « هو الله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق » .
وقوله « لن يضروكم الا اذى » . وقوله « من الذين هادوا سماعون للكذب » .
وقوله « يخفون في أنفسهم » . وقوله « ويقولون في أنفسهم » . وقوله « من الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » . وقوله « يمدكم الله احدى الطائفتين » .
وقوله « انا كفيناك المستهزين » . وقوله « والله يعصمك من الناس » الى غير ذلك
مما كشف به اخبار المارقين وأسرار المنافقين وكان جميعه كما أخبر وصدق الله ورسوله .
وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شيء من الاخبار بالمغيبات وتلك
السور معجزة قد تحداهم الله بالاثبات بمنلها فلم يقدر و اعلى ذلك وضاعت عليهم مع فصاحتهم
المسالك . . ومنهم من قال اعجازه بما احتوى عليه من العلوم التي لم يسبق اليها أحد من
البشر قبل نزوله ولا اهدت اليها فطن العرب ولا غيرهم من الامم . . وقد اعترض على
هذا القول بأنه قد وجد في السنة وكلام العرب مثل هذا ولم يمد معجزة . . ومنهم
من قال اعجازه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية وغير الواعية اليه واقبالها بوجه
المودة عليه واستحلاء طعم عذوبة ألفاظه ومعانيه وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشرات
المبهجة ومخدراته المزججة وآياته المقلقة وأخباره الموفقة مع كثرة قرعه للاسماع وصدعه
بما يخالف الطباع ومع ذلك فالقلوب مقبلة على اذكاره راغبة في تكراره شجيرة عند
سماع مزماره يمد ذلك منهم السر والفاجر والمؤمن والكافر قال الله تبارك وتعالى
« الله نزل أحسن الحديث » الآية . . وروى أن نصرانياً مرّ بقارئ فوقف يبكي ف قيل
له مم بكائك قال الشجاء والنظم . . وفي الحديث الذي وصف به النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تنفد عجائبه هو الفصل ليس
بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الالهواء ولا تلتبس به الالسنه وهو الذي لم تلبث
الجن حين سمعته أن قالوا « انا سمعنا قرآنا عجيباً » الآيات . . وقد اعترض على ها

القول بأنه قد يوجد في السنة وكلام فصحاء العرب وأشعار فحول الشعراء ما يحسن موقعه وتشرب النفوس الى سماعه ولا تمله على تكراره . ومنهم من قال اعجازه بما يقع في النفوس . منه عند تلاوته من الروعة وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة وما ياحقها من الخشية سواء كانت فاهمة لغانيه أو غير فاهمة أو عالمة بما يحتويه أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحسك فهذه الغيبة لم تزل تعتري من سمعه وقد اعترت جماعة من الصحابة قبل الاسلام وبعده فمات منهم خلق كثير من المؤمنين وسلبت به عقول كثير من الموقنين وتدلته به ألباب جماعة من المحسنين . وقد صح أن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْغَالِقُونَ » . الى قوله تعالى الميطرون كاد قاي أن يطير . وفي رواية أول ما وقر الايمان في قاي . وروى أن عتبة بن ربيعة كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ماجاء به من خلاف قومه فنلا عليهم « حَمِ فَصَّات » . الى قوله صَاعِقَةٌ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ » فأمسك عتبة على في رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف . وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مُصنَعُ مُنَاقٍ بيده خلف ظهره معتقداً عاها حتى انتهى الى السجدة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدرى بما يراجمه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتسذرو اليهم وقال لقد كلنى كلاماً ما سمعت أذنأى بمثله قط فما دريت ما أقول له ومثل هذا كثير . . وأما من مات عند سماع تلاوة القرآن من المؤمنين وزال عقله وتدلته من الحيين وراجع الامر من المذنبين العاصين فكثير لا يمكن حصره ولا يسعنا هاهنا ذكره فكتب الرقائق فيها من ذلك كثير . . وقد اعترض هذا القول بأن جماعة من أرباب القلوب وذوى الاستغراق في بديع أوصاف المحبوب حصل له من سماع بعض الاشعار ما أخرجه عن طوره وربما مات على فوره . . وقال قوم اعجازه حفظ آياته من التبديل وصون كلماته من النقل والتحويل ولا يستطيع أحد أن يتحيف منه سماً ولا يزيده شكلاً ولا نقطاً ولا يدخل فيه كلمة من غيره ولا يخرج منه أخرى ولا يبدل حرفاً بحرف وذلك من آياته

السكبرى وكم جهد أهل العناد فى ذلك فما قدروا له وما استطاعوا وكم قضدوا تحريفه فأتى الله ذلك فأذعنوا له وأطاعوا . . روى أن يهودياً تكلم فى مجلس المتوكل فأحسن الكلام وناظر فعلم أنه من جلة الاعلام وناضل فتحققوا أنه مسدد السهام فندعاه المتوكل الى الاسلام فأتى وأقام لفرط الالباء على مذهب الآباء بعد أن بذل له المتوكل ضروباً من الانعام وصنوفاً من الرفعة والاكرام وراجعته فى ذلك مرة بعد أخرى فلم يزد ذلك الا طغياناً وكفراً فغاب عنه مدة ثم دخل الى مجلسه وهو يعلن الاسلام ويدين دينه فقال له المتوكل أسألت قال نعم قال ما سبب اسلامك فقال لما قطعت من عنق قلادة التقليد وصرت من رتبة الاجتهاد الى مرتقى ما عليه مزيد نظرت فى الاديان وطلبت الحق حيث كان فأخذت التوراة فنظرت فيها وتدبرت بمعانيها وكتبتها بخطى وزدت فيها ونقصت ودخلت بها السوق وبعيتها فلم ينكر أحد من اليهود منها شيئاً وأخذت الانجيل وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعيته فلم ينكر أحد من النصارى منه شيئاً وأخذت القرآن وقرأته وتأملته فاذا « انا نحن نزلنا الذكر » وأنه له الحافظون « فكتبت وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعيته فنظر فيه المسلمون فعرفوا المواضع التى زدت فيها ونقصت وردوا كل كلمة الى موضعها وكل حرف الى مكانه فعلمت أنه الحق لتحقيق وصفه بأنه كلام الله الذى لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فأمنت به وصدقت ما جاء به

﴿ فصل ﴾

اختار القاضى عياض وجماعة أن الاعجاز الظاهر المتحقق انما هو فى الاربعة الاول حسن تأليفه والتشام كلّه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادات العرب . الثانى صورة نظمه العجيب الاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب . الثالث ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبيات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما أخبره الرابع ما أتى به من اخبار الفرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة وما عدى هذه الاربعة ومادلت عليه خصائص تفرّد بها وما أثر يستأثر بحصولها . . وقال قوم وجوه اعجازه ثمانية وفد

قد منهاها في الفصل الذي قبل هذا الفصل وزاد بعضهم على هذا ونقص آخرون . . وقال قوم اعجازه في خروج الايتان بمثله عن مقدور البشر . . وقال قوم اعجازه صرف الله خلقه عن القدرة على الايتان بمثله ولولا ذلك لدخل تحت مقدورهم . . وقد اعترض على هذا القول بوجوه ثلاثة . الاول أن عجز العرب عن المعارضة لو كان من أجل أن الله تعالى عجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحته بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً لهم كما أن نبياً لو قال معجزتي أني أضع يدي على رأسي هذه الساعة ويكون ذلك متعذراً عليكم ويكون الامر كما زعم لم يكن تعجب القوم من وضعه يده على رأسه بل من تعذر ذلك عليهم ولما علمنا بالضرورة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسه بطل القول بالصرف . الثاني لو كان كلامهم مقاربا في الفصاحة قبل التحدي لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك ولما كان الفرق بين كلامهم بعد التحدي وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدي وبين القرآن ولما لم يكن كذلك بطل ذلك . الثالث أن نسيان الصيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدي فبطل أن يكون الاعجاز بالصرف بل الاعجاز ليس بالصرف . . وكل واحد من هذه الافوال يحتمل أن يكون معجزة اذا تحدى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وعجزوا عن الايتان بمثل ما تحدى به . وسمى هذا القول معجزة لتعجزه من رام معارضته والايتان بمثله لانها اسم فاعل من أعجزت يقال أعجزت هذه القصة فهي معجزة . . والذي يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه ومعانيه وبعضه وكله معجزة اما لسلب قدرتهم عن الايتان بمثله واما لصرفهم عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به وعرض عليهم الايتان بمثله فعجزوا عن ذلك ولأن الله سبحانه أخبر انهم لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أو عشر سور من مثله فعجزوا عن ذلك أو سورة منه أو آية لتحديه صلى الله عليه وسلم بها وعجزهم عن الايتان بمثلها هذا الذي وقع عليه تصريح الكتاب وصريح الخطاب ولا مهربة في ذلك ولا خلاف (فان قال قائل) ان سورة من القرآن معجزة ومع هذا انها لم تحتو على جميع ما أودع القرآن من الايجاز وضروب

البيان وعذوبة المساق وغرابة الاسلوب والاخبار عن القرون السالفة في الأعصر الماضية الى غير ذلك مما تقدم ذكره (فالجواب عنه) أن السورة من القرآن جامعة لجميع ما ذكرناه اما منطوق به أو مشار اليه ولهذا قال سبحانه وتعالى « فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله » فما وقع التحدى الا بسورة منكرة أى سورة كانت فهذا دليل على أن القرآن العظيم قد احتوت أقصر سورة فيه من المعاني البديعة والفصاحة التي تسد بها عن معارضته الذريعة ونضرب لك مثالا ليتحقق عندك ما ذكرناه فنقول سورة الكوثر أقصر سورة وفيها من الالفاظ البديعة الرائقة التي اقتضت بها أن تكون مبهجة والمعاني المنيرة الفاتقة التي اقتضت بها أن تكون معجزة أحد وعشرون نهاية في قوله « انا أعطيناك الكوثر » ونهاية في قوله « فصلّ لربك وانحر » وخمسة في قوله « إن شئت لك هو الأثر » أما الثمانية التي في قوله « انا أعطيناك الكوثر » فالاول ان قوله « انا أعطيناك الكوثر » دلّ على عطية كثيرة مسندة الى معط كبير ومن كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده وأراد بالكوثر الخير الكثير ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده الى يوم القيامة من أمته . جاء في قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم - ومن الخير الذي وعد به ما أعطاه الله في الدارين من مزايا التعظيم والتقديم والثواب ما لم يعرفه الا الله . وقيل ان الكوثر ما اختص به من النهر الذي مؤه أحلى من كل شئ وعلى حافاته أوانى الذهب والفضة كالنجوم أو كعدد النجوم . . الثانية أنه جمع ضمير المتكلم وهو يشعر بعظم الربوبية . . الثالثة انه بنى الفعل على المبتدأ فدل على خصوصية وتحقيق على ما بينا في باب التقديم والتأخير . . الرابعة انه صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم . . الخامسة انه أورد الفعل بلفظ الماضى دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة ودلالة على أن المتوقع من سيب الكريم في حكم الواقع . . السادسة جاء بالكوثر محذوف الموصوف لأن اثبت ليس فيه ما فى المحذوف من فرط الايهام والشياع والتناول على طريق الاتساع . . السابعة اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة . . الثامنة أتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعروف

بالاستغراق لشكون لما يؤصف بها شاملة وفي اعطاء معنى الكثرة كاملة . وأما الثمانية
التي في قوله « فصل لربك وانحر » فالاول فاء التعقيب هاهنا مستفادة من معنى التسبب
لمعنيين . أحدهما جعل الأنعام الكثيرة سبباً للقيام بشكر المنعم وعبادته . الثانية جعله
لترك المبالاة بقول العدو فان سبب نزول هذه السورة أن العاص بن وائل قال ان محمداً
صنبوراً - والصنبور - الذى لا عقب له فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله تعالى هذه السورة . الثالثة قصده بالأمر التعريض بذكر العاص وأشباهه
من كانت عبادته ونحره لغير الله وثبت قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصراط
المستقيم واخلصه العبادة لوجهه الكريم . الرابعة أشار بهاتين العبادتين الى نوعى
العبادات أعنى الاعمال البدنية التى الصلاة قوامها والمالية التى نحر الابل سنامها للتنبيه على
ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاختصاص فى الصلاة التى جُمِلت فيها قرة عينه
ونحر الابل التى همته فيه قوية . روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أهدى مائة بدنة
فيها جل فى أنفه بُرَّة من ذهب . الخامسة حذف اللام الأخرى لدلالة الاولى عليها
السادسة مراعاة حق السجع الذى هو من جملة صنعة البديع اذا ساقه قائله مساقاً
مطبوعاً ولم يكن متكلفاً . السابعة قوله - لربك - فيه حسنان . وروده على طريق
الالتفات التى هى أم من الامهات . وصرف الكلام عن لفظ المضمر الى لفظ المظهر
وفيه اظهار لكبرياء شأنه واثباته لعز سلطانه ومنه أخذ الخلفاء - بأمرك أمير المؤمنين
بكذا - وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين خطب الازدية الى أهلها قال خطب
اليكم سيد شباب قريش مروان بن الحكم . الثامنة علم بهذا أن من حقوق الله التى
تعبد العباد بها انه ربههم ومالكهم وعرض بترك التماس العطاء من عبد مرئوب ترك
عبادة ربه . . وأما قوله جل جلاله - ان شئت لك هو الابتر - ففيه خمس فوائد .
الاولى انه علل الامر بالاقبال على شأنه وترك الاحتفال بشأنيه على سبيل الاستثفاف
الذى هو حسن حسن الموقع وقد كثرت فى التنزيل موافقه . الثانية ويتجه أن نجعلها
جملة الاعتراض مرسله ارسال الحكمة الخاتمة الاغراض كقوله تعالى « إن خير من
استأجرت القوى الأمين » وعنى بالشأن العاص بن وائل . الثالثة انما لم يسمه باسمه

ليتناول كل من كان في مثل حاله . الرابعة صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم وعبر عنه بالاسم الذى فيه دلالة على انه لم يتوجه بقلبه الى الصدق ولم يقصده بلسانه الافصاح عن الحق بل نطق بالشكّان الذى هو قرين البنى والحسد وعين البغضاء والحرد ولذلك وسمه بما يبنى عن الحقد . الخامسة جعل الخبر معرفة وهو الايتر والشائى حتى كأنه الجمهور الذى يقال له الصنبور . ثم هذه السورة مع علو مطامها وتام مقطعها واتصافها بما هو طراز الامركله من بحيثها مشحونة بالتشكك الجللائن مكتنزة بالحاسن غير القلائل فهى خالية عن تصنع من يتناول التشكيت ويعمل بعمل من يتعاطى بمحاجته التشكيت (قال المصنف عفا الله عنه) والاقترب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيح والتحريف والزيادة والنقصان فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن (وقال بعض العلماء) ان اعجازه انما وقع بكون المتكلم به علماً براده من كل كلمة وما يليق بها وما يبنى أن يلائمها من الكلام وما يناسبها فى المعنى لا يخفى عنه ما دق من ذلك وما جل ولا . مصرف كل كلمة ولا مآلها وغير الله تعالى لا يقدر على ذلك لأنه أحاط بكل شئ علماً وأحصى كل شئ عدداً وهذا القول من الاقوال التى لا مطعن عليها . وقد عدد العلماء وجوهاً من اعجازه غير ما ذكرناه الاولى أن تعد من خصائصه (وقال قوم) اعجازه من جهة أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة قائمة بالذات وان العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له والانيان بمثله أو بمثل بعضه كلفوا ما لا يطاق . ومن هذه الجهة وقع عجزهم . وهذا القول أيضاً حسن والله أعلم

﴿ فصل ﴾

فما احتوى عليه هذا الكتاب العزيز من تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والامثال مفصلاً ومجماً خاطب العرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم والخطاب

الوارد عليهم يتقسم الى قسمين باق على أصل مدلوله وموضوعه ومعدول به عن حقيقته الى مسدوعه والمجموع ما عدل وما لم يعدل مائة وعشرون قسماً (الاول) خطاب عام وهو ما أريد به جميع من يعقل مثل قوله تعالى « واتقوا الذي خلقكم والجليلة الأولى » وقوله « والله خلقكم وما تعملون » . (الثاني) خطاب خاص بلفظ عام كقوله تعالى « أ كفرتم بعد ايمانكم » وقوله تعالى « هذا ما كنزتم لانفسكم » . (الثالث) خطاب الجنس مثل قوله تعالى « يا أيها الناس » . (الرابع) خطاب النوع مثل قوله تعالى « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » ويريد بنى آدم من صلبه خاصة وقوله تعالى « يا بني اسرائيل » . (الخامس) خطاب العين كقوله تعالى « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » . يانوح اهبط بسلام منا . يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . (السادس) خطاب المدح مثل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » . (السابع) خطاب الذم كقوله « يا أيها الذين كفروا » . (الثامن) خطاب الكرامة كقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ » . (التاسع) خطاب الالهانة كقوله تعالى « انك رجيم » . (العاشر) خطاب الجمع بلفظ الواحد كقوله تعالى « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » . (الحادى عشر) خطاب الواحد بلفظ الجمع كقوله تعالى « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولن صبرتم لهن خير للصابرين » خاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله « واصبر وما صبرك الا بالله » . ومنه قوله تعالى « ولا تأتوا أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفووا وليصنعوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » خاطب بذلك أبا بكر رضى الله عنه حين حرم مسطحاً ر فدره حين تكلم فى حديث الافك (الثانى عشر) خطاب الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى « القيا فى جهنم كل كفار عنيد » والخطاب لملك خازن النار تقديره ألقى ألقى وقد سمع عن بعض العرب يا حرسى اضربا عنقه سو قد حمل بعض الائمة قول امرئ القيس

* قنابك من ذكرى حبيب ومنزل *

على هذا الحمل (الثالث عشر) خطاب العين والمراد به الغير كقوله تعالى يخاطب به

النبي صلى الله عليه وسلم « لئن أشركت ليحبطن عملك » والمراد به أمته . الرابع عشر الخروج بخطاب الحضرة الى الغيبة مثل قوله تعالى « حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم » . الخامس عشر الخروج من الغيبة الى الحضور كقوله تعالى « فاما الذين اسودت وجوههم أ كفرتم بعد ايمانكم » . وقوله تعالى « وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » . السادس عشر خطاب النحن مثل قوله تعالى « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » الى قوله « تشعرون » . السابع عشر اطلاق اسم العلم على المعلوم . الثامن عشر اطلاق المعلوم على العلم . التاسع عشر اطلاق القدرة على المقدور . العشرون اطلاق اسم الارادة على المراد . الحادى والعشرون اطلاق اسم المراد على الارادة . الثانى والعشرون اطلاق اسم الفعل على أول جزء منه وعلى آخر جزء منه . الثالث والعشرون اطلاق اسم الأمل على المأمول . الرابع والعشرون اطلاق اسم الوعد والوعيد على الموعد . الخامس والعشرون اطلاق اسم العقد والعهد على الملتزم بهما . السادس والعشرون اطلاق اسم البشرى على الم بشر به . السابع والعشرون اطلاق اسم القول على المقول . الثامن والعشرون اطلاق اسم النبأ على النبأ به . التاسع والعشرون اطلاق الاسم على المسمى . الثلاثون اطلاق اسم الكلمة على المتكلم . الحادى والثلاثون اطلاق اسم اليمين على المحلوف عليه . الثانى والثلاثون اطلاق اسم الحكم على المحكوم به . الثالث والثلاثون اطلاق العزم على المعزوم عليه . الرابع والثلاثون اطلاق اسم الهوى على المهوى . الخامس والثلاثون اطلاق اسم الخشية على الخشى . السادس والثلاثون اطلاق الحب على المحبوب . السابع والثلاثون اطلاق اسم الظن على المظنون . الثامن والثلاثون اليقين على المتيقن . التاسع والثلاثون اطلاق اسم الشهوة على المشتهى . الاربعون اطلاق اسم الحاجة على المحتاج . الحادى والاربعون اطلاق اسم السبب على المسبب . الثانى والاربعون اطلاق اسم الكتابة على الحفظ . الثالث والاربعون اطلاق اسم السمع على القبول . الرابع والاربعون اطلاق اسم الايمان على ما نشأ عنه . الخامس والاربعون اطلاق اسم المسبب على السبب . السادس والاربعون اطلاق

اسم العقوبة على الاساءة . السابع والاربعون اطلاق اسم الأكل على الأخذ . الثامن والاربعون اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التي هي سبب عنها . التاسع والاربعون اطلاق اسم الرّجز والرجس على عبادة الاصنام . الخمسون اطلاق اسم المغفرة على التوبة . الحادى والخمسون اطلاق اسم الكبرياء على الملك . الثانى والخمسون اطلاق اسم القوة على السلاح . الثالث والخمسون اطلاق اسم الاعطاء والاياء على الالتزام . الرابع والخمسون اطلاق اسم الفعل على غير فاعله . الخامس والخمسون اطلاق اسم الفعل على سببه . السادس والخمسون اطلاق اسم الفعل على الامر به . السابع والخمسون اطلاق اسم البعض على الكل . الثامن والخمسون اطلاق اسم الشكل على البعض . التاسع والخمسون اطلاق اسم القيام على الصلاة . الستون اطلاق اسم الركوع عليها . الحادى والستون اطلاق اسم السجود عليها . الثانى والستون اطلاق اسم القراءة عليها . الثالث والستون اطلاق اسم التسبيح عليها . الرابع والستون اطلاق اسم الذكر عليها . الخامس والستون اطلاق اسم الاستغفار عليها . السادس والستون اطلاق اسم الذقن على الوجه . السابع والستون اطلاق اسم الانف على الوجه . الثامن والستون اطلاق اسم الرقبة على الجملة . التاسع والستون اطلاق اسم اليدين على الجملة . السبعون اطلاق اسم اليمين على الجملة . الحادى والسبعون اطلاق اسم المضد على الجملة . الثانى والسبعون اطلاق اسم الاصابع على الارجل . الثالث والسبعون اطلاق اسم الوجه على الجملة . الرابع والسبعون اطلاق اسم بعض الرأس على الرأس . الخامس والسبعون اطلاق اسم بعض الاذن على الاذن . السادس والسبعون وصف الوجه بالخشوع والخشوع انما يكون فى القلوب . السابع والسبعون وصفها بالرضى . الثامن والسبعون وصف الجميع بما هو وصف البعض . التاسع والسبعون اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه . الثمانون اطلاق اسم الفعل على ما كان عليه . الحادى والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يؤل اليه . الثانى والثمانون اطلاق اسم المتوهم على المتحقق . الثالث والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يظنه الناظر وهو على خلافه . الرابع والثمانون التعبير بالاذن عن المشبهة . الخامس والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما لازمه . السادس والثمانون اطلاق

اسم الحال على المحل • السابع والثمانون اطلاق اسم الافواه على الألسن • الثامن
والثمانون التعبير بالألسنة عن اللغات التاسع والثمانون اطلاق ترك الكلام على الغضب
• التسعون التعبير بالاياس عن العلم • الحادى والتسعون التعبير بالدخول عن الوطء •
الثانى والتسعون اطلاق اسم الاسد على الشجاع • الثالث والتسعون اطلاق اسم الفوز
والحياة على الايمان • الرابع والتسعون اطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل •
الخامس والتسعون اطلاق اسم السراج والنور على الهادى • السادس والتسعون
اطلاق اسم الخطب على النخبة • السابع والتسعون اطلاق اسم الانسان على تمثاله •
الثامن والتسعون التجوز بالمضى عن المستقبل • التاسع والتسعون التجوز عن الماضى
بالمستقبل • المائة اطلاق اسم الخبر عن النهى • الحادى بعد المائة اطلاق لفظ الخبر عن
الدعاء • الثانى بعد المائة اطلاق الامر على الخبر • الثالث بعد المائة تؤكد الخبر •
الرابع بعد المائة التجوز بجواب الشرط عن الامر • الخامس بعد المائة التجوز بلفظ
النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى وانما يراد بها ما يقاربها ويلازمها • السادس بعد
المائة التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيها وانما المراد به من يصح نهيها • السابع بعد المائة
التجوز بنهى من يصح نهيها والنهى فى الحقيقة غيره • الثامن بعد المائة التجوز بهل عن
الامر والنهى والتقرير • التاسع بعد المائة التجوز بهمزة الاستفهام عن الامر والايجاب
والتقرير والتوبيخ • العاشر بعد المائة التجوز بنى ويتجوز بها فى مواضع قد تقدم
ذكرها فى فصل المجاز • الحادى عشر بعد المائة التجوز بعلى ويتجوز بها فى مواضع
مضى ذكرها فى باب المجاز عن وعن وهى حقيقة مجاوزة جرم عن جرم ويتجوز بها فى
المعاني وقد تقدم ذكره • الثانى عشر بعد المائة التجوز بمن وهى حقيقة فى ابتداء الغاية
فى الامكنة ويتجوز بها عن ابتداء الغاية فى الازمنة • الثالث عشر بعد المائة حرف ثم
وتستعمل حقيقة فى التراخى المعنوى ومجازاً فى التراخى الزمانى • الرابع عشر بعد المائة
حرف - ما - قال سيويوه هى للاصناف والاخلاط وهى حقيقة فى الاجرام وتجاوز
فى المعانى • الخامس عشر بعد المائة حرفا - لعل وعسى - وحقيقتهمما الترجى والتوقع
ويتجاوز بهما فى الايجاب

فهذه مائة وخمسة عشر قصبا اذا حررت بتفاصيلها جاوزت المائة وعشرين نوبا بل
أكثر من ذلك وقد ذكرناها مفصلة معينة بشواهدها من الكتاب العزيز والكلام
الفصيح وأشعار العرب والمختصرين والمتأخرين ولسأل الله العون والصون والتوفيق الى
ما يقربنا اليه ويزلفنا لديه والله الموفق لا رب غيره ولا يستعان بسواه ..

﴿ يقول مصححه عفا الله عنه ﴾

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى (وبعد) فقد تم بعون
الله وحسن توفيقه طبع كتاب (الفوائد المشوق الى علوم القرآن
وعلم البيان) لمؤلفه شيخ الاسلام على التحقيق ناصر
السنة قانع البدع شمس الدين أبي عبد الله محمد
المعروف بابن قسيم الجوزية وهو كما ترى لم يؤلف في
بلاغة القرآن مؤلف على مثاله ولم تنسج
يد ناسج على منواله . وكان طبعه
بمصر والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله
وصحبه ماتعاقبت
الافاق

فهرست كتاب

الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان

صفحة	الموضوع
٢	خطبة الكتاب
٩	القسم الأول في الكلام على الفصاحة والبلاغة وفيه عدة أقسام ...
٩	القسم الأول في حد الفصاحة والبلاغة واشتقاقهما والفرق بينهما ...
١٠	الكلام في الحقيقة وأقسامها ...
١٠	الكلام في المجاز وأقسامه ...
١٦	القسم الثاني : اطلاق اسم السبب على المسبب ...
١٨	القسم ٣ اطلاق اسم المسبب على السبب ...
٢٠	القسم ٤ اطلاق اسم الفعل على غير فاعله ...
٢١	القسم ٥ الأخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم ...
٢٢	القسم ٦ اطلاق اسم البعض على الكل ...
٢٣	القسم ٧ اطلاق اسم الكل على البعض ...
٢٤	القسم ٨ وصف الكل بصفة البعض ...
٢٥	القسم ٩ اطلاق اسم الفعل على مقاربه ...
٢٥	القسم ١٠ اطلاق اسم الشيء على ما كان عليه ...
٢٥	القسم ١١ اطلاق اسم الشيء على ما يؤثر اليه ...

القسم ١٢	اطلاق اسم المتوهم على المحقق	٢٦
القسم ١٣	اطلاق اسم الشيء على الشيء الذي يظنه المعتقد والأمر على خلافه	٢٦
القسم ١٤	التضمنين	٢٧
القسم ١٥	في مجاز اللزوم	٢٨
القسم ١٦	التجوز بالمجاز عن المجاز	٣١
القسم ١٧	التجوز في الأسماء	٣١
القسم ١٨	التجوز في الأفعال	٣٢
القسم ١٩	التجوز بالحروف	٣٦
القسم ٢٠	الاستعارة	٤٣
فصل	وهذه جملة مما احتوى عليه القرآن الكريم من أقسام الاستعارة	٤٦
القسم ٢١	في التشبيه	٥٤
فصل	في التمثيل	٦٦
القسم ٢٢	في الإيجاز والاختصار	٦٨
القسم ٢٣	في التقديم والتأخير	٨٢
القسم ٢٤	في الجمع بين الحقيقة والمجاز	٨٦

(الكلام على ما يختص بالمعاني وينقسم إلى عدة أقسام)

القسم ١	التناسب ويسمى التشابه أيضاً	٨٧
القسم ٢	التكميل	٨٩
القسم ٣	التميم	٩٠
القسم ٤	التقسيم	٩٠
القسم ٥	المؤاخاة	٩٣
القسم ٦	الإعراض والحشو	٩٤

٩٨	الالتفات	٧	القسم
١٠٤	الحمل على المعنى	٨	القسم
١٠٦	الزيارة في البناء	٩	القسم
١٠٦	الإطالة والإسهاب	١٠	القسم
١١١	التكرار	١١	القسم
١١٦	القسم	١٢	القسم
١١٧	الاقتباس	١٣	القسم
١٢١	التذليل	١٤	القسم
١٢٢	المغالطة	١٥	القسم
١٢٥	الإشارة	١٦	القسم
١٢٦	في الكناية	١٧	القسم
١٣٣	التعريض	١٨	القسم
١٣٥	الاستطراد	١٩	القسم
١٣٦	التورية	٢٠	القسم
١٣٦	الاحتجاج النظري	٢١	القسم
١٣٧	حسن المطالع والمبادئ	٢٢	القسم
١٣٨	حسن المقطع	٢٣	القسم
١٣٩	براعة الاستهلال	٢٤	القسم
١٤٠	الانتقال من فن إلى فن ويسمى التخلص	٢٥	القسم
١٤١	الاقتضاب	٢٦	القسم
١٤٥	التطبيق	٢٧	القسم
١٤٧	المقابلة	٢٨	القسم
١٥٢	الاحتراس	٢٩	القسم
١٥٢	الاختصاص	٣٠	القسم

الموضوع	صفحة
القسم ٣١ الاختراع	١٥٦
القسم ٣٢ الهدم	١٥٧
القسم ٣٣ الاستفهام	١٥٨
القسم ٣٤ المزلزل	١٦٠
القسم ٣٥ التعجب	١٦١
القسم ٣٦ السلب والإيجاب	١٦١
القسم ٣٧ الهزل الذي يراد به الجحد	١٦٢
القسم ٣٨ التلميح	١٦٢
القسم ٣٩ النسخ والسلب والمسح	١٦٣
القسم ٤٠ التعديد	١٦٤
القسم ٤١ الموجه	١٦٥
القسم ٤٢ المحتمل الضدين	١٦٥
القسم ٤٣ التجريد	١٦٧
القسم ٤٤ الرجوع والاستدراك	١٦٨
القسم ٤٥ السؤال والجواب	١٦٩
القسم ٤٦ التوهم	١٧٠
القسم ٤٧ التشعيب	١٧١
القسم ٤٨ الاستثناء	١٧١
القسم ٤٩ الغرابة والظرافة والسهولة	١٧٢
القسم ٥٠ ما يوهم فساداً وليس بفساد	١٧٥
القسم ٥١ النادر والبارد	١٧٨
القسم ٥٢ المساواة والتقصير	١٧٨
القسم ٥٣ التصريح بعد الإبهام	١٧٩
القسم ٥٤ التعقيب المصدري	١٨١

صفحة

الموضوع

١٨٢	القسم ٥٥	النفي والإثبات
١٨٤	القسم ٥٦	الضمائر وما يتعلق بها
١٨٥	القسم ٥٧	الفصل والوصل
											فصل يشتمل على ذكر جمل عطف بعضها على بعض بالواو والفاء
١٨٨		و ثم ...
١٨٩	القسم ٥٨	في الوصف
١٩٠	القسم ٥٩	تنسيق الصفات بغير حرف نسق
١٩١	القسم ٦٠	حسن النسق
١٩٢	القسم ٦١	المدح والذم
١٩٤	القسم ٦٢	الحمد والشكر
١٩٥	القسم ٦٣	تأكيد المدح بما يشبه الذم
١٩٥	القسم ٦٤	المبالغة
١٩٧	القسم ٦٥	الثناء والتعزية
١٩٨	القسم ٦٦	الشكاية
١٩٩	القسم ٦٧	الحكاية
٢٠٠	القسم ٦٨	الاقتضاء
٢٠١	القسم ٦٩	التذكير
٢٠١	القسم ٧٠	الوعد والوعيد
٢٠٢	القسم ٧١	العتاب والإنذار
٢٠٣	القسم ٧٢	الاعتاب
٢٠٣	القسم ٧٣	الاعتذار
٢٠٤	القسم ٧٤	تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل
٢٠٧	القسم ٧٥	الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية

الموضوع	صفحة
القسم ٧٦ لام التأكيد	٢٠٨
القسم ٧٧ الاقتصاد والإفراط والتفريط	٢٠٨
القسم ٧٨ الغزل	٢١٠
القسم ٧٩ التشبيب	٢١١
القسم ٨٠ الاستدراج	٢١٢
القسم ٨١ خذلان المخاطب	٢١٤
القسم ٨٢ التعليق والإدماج	٢١٥
القسم ٨٣ الاستخدام	٢١٦
القسم ٨٤ التفقير	٢١٧

الفن الثاني

القسم الأول التهذيب	٢١٨
القسم ٢ الانسجام	٢١٩
القسم ٣ الاشتقاق	٢٢٠
القسم ٤ الجزالة والرزالة	٢٢٢
القسم ٥ السهل الممتنع	٢٢٣
القسم ٦ الرشاقة والجهامة	٢٢٤
القسم ٧ الفك والسبك	٢٢٤
القسم ٨ الحل والعقد	٢٢٥
القسم ٩ الازدواج	٢٢٥
القسم ١٠ تضمين المزدوج	٢٢٦
القسم ١١ التسجيع	٢٢٦
القسم ١٢ الترصيع	٢٢٩
القسم ١٣ التسميط	٢٣٠

الموضوع	صفحة
القسم ١٤ التجزي	٢٣١
القسم ١٥ التوشيح	٢٣٢
القسم ١٦ براعة المطلب وحسن التوسل	٢٣٣
القسم ١٧ المخالفة	٢٣٣
القسم ١٨ لزوم ما لا يلزم	٢٣٤
القسم ١٩ التفويف	٢٣٥
القسم ٢٠ التطريز	٢٣٦
القسم ٢١ ما يقرأ من الجهتين	٢٣٨
القسم ٢٢ رد العجز على الصدر	٢٣٩
فصل	٢٤٠
القسم ٢٣ التسهيل	٢٤٣
القسم ٢٤ الاتفاق والاطراد	٢٤٣
فصل	٢٤٤
فصل في إعجاز القرآن العظيم	٢٤٦
فصل	٢٥١
فصل	٢٥٥
فهرست	٢٦١